



الجامعة الإسلامية - غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

العناية الربانية بنبي البشرية

"دراسة قرآنية موضوعية"

إعداد

الباحث/ أحمد جهاد أبودية

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عبدالسلام حمدان اللوح

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾

[الطُّور: ٤٨]

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[الأعراف: ١٥٧]

يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه:

(وَمَا كَانَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ ،
وَمَا كُنْتُ أَطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ ؛ إِجْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا
أَطَقْتُ ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ)

(صحيح مسلم - ١١٢٠١)

الإهداء

أهدي هذا البحث على استحياء إلى طبِّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان
وشفائها، سيدي وحببي وقوتي، سيد ولد آدم، وإمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين
رسول الله محمد ﷺ ...

كما أهدي هذا البحث،،،

إلى روح أخي الشهيد محمد وهي تسرح من الجنة حيث شاءت بإذن الله تعالى في جوف
طير خضر..

إلى مَنْ كان لهما عليّ أعظم الفضل والإحسان بعد الله تعالى والديّ العزيزين ... وفاء
وعرفاناً؛ أسأل الله أن يبارك في عمرهما، ويجعلني باراً بهما ﴿... وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]

إلى زوجتي الغالية التي لم تدخر جهداً في مساعدتي، فواصلت معي الليل بالنهار ..
إلى العينين اللتين أبصر بهما الأمل بنياتي الحبيبات (فريال وملك) أسأل الله ﷻ أن ينفث
فيهنّ الطهارة والتقوى والنجاح والفلاح، وأن يجعلهنّ مناط طهر ونقاء، وأن يعيذهن
من الشيطان الرجيم ...

إلى الإخوة والأخوات وعائلي الكريمة، ومن أحبني في الله وأحبه فيه، وكل من مدّ لي
يد العون بجهد أو دعاء، وأخصُّ أخي الكبير أشرف، وأخي محمود اللذين كانا لي الدعم
والسند في كتابتي للبحث ...

إلى كل الذين قضوا نحبهم وأيديهم على الزناد ثابتين في سبيل الله ...
إلى الذين ينتظرون الشهادة في سبيل الله وما بدّلوا تبديلاً ...

إلى كل هؤلاء أهدي هذا الجهد المتواضع سائلاً المولى ﷻ أن يتقبله مني بقبول حسن،،

شكر وتقدير

﴿... وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]

الحمد لله على نعمه العظام، وآلائه الجسام؛ بأن وفقني لخدمة كتابه سبحانه، وسنة نبيه المصطفى خير الأنام، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه البررة الكرام، ما توالى الأيام، وتتابعت السُّنُون والأعوام، وله الحمد سبحانه أولاً وآخراً على عونه وتوفيقه أن منَّ عليَّ بالبحث في هذا الموضوع الجليل، وإتمامه، وأسأله ﷻ أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم..

وبعد شكر الله سبحانه كان من واجبي أن أعود بالحقِّ إلى نصَّابه، وبالفضلِ إلى أهله ودَّوبه، فإنَّ الأمانة تقتضي أن أُرْجِي خالص شكري ودعواتي لأستاذي وشيخي فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد السلام حمدان اللوح لقبوله الإشراف على هذه الرسالة، وصبره عليَّ ومتابعتي وتقديم الإرشادات والنصائح القيمة؛ فلم يدَّخر جهداً ولا سبيلاً لإنجاح هذا البحث، والوصول إلى هذا الإنجاز المتواضع؛ فجزاه الله عني كل خير، وجعل ذلك في ميزان حسناته .. كما أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي الفاضلين عضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور/ زكريا إبراهيم الزميلي حفظه الله،،

الدكتور/ سامي محمود أحمد حفظه الله،،

الذين منحاني شرف الموافقة على مناقشة البحث، وإثرائه بما أنعم الله ﷻ عليهم من العلم والحكمة، والاستفادة من خبرتهم الطويلة، وتجربتهم الرائدة في الدراسات والبحث العلمي، بما يثري هذا البحث حتى يخرج في أبهى حلة، وأجمل صورة فجزاهم الله عني كل خير.

كما أتقدم بعظيم شكري وامتناني إلى كلية أصول الدين عميداً وأكاديميين وإداريين الذين لم يتوانوا في خدمة طلاب العلم ورواده ..

والشكر موصول لبيتي الثاني لهذا الصرح الشامخ، رائد العلم، ومخرِّج العلماء والمجاهدين، والشهداء الجامعة الإسلامية، ممثلة برئاستها وعمدائها وإداريها، وكذلك عمادة الدراسات العليا، والمكتبة المركزية على ما يبذلون من جهد مشكور لرعاية طلبة العلم، وتذليل الصعاب أمامهم .

فجزاهم الله خير الجزاء ،،،

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنُسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ تَعَالَى مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضَلِّلْ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَصَفِيهِ وَخَلِيلِهِ، أَدَى الْأَمَانَةَ وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَنَصَحَ لِلأُمَّةِ، وَعَبَدَ رَبَّهُ حَتَّى لَبَّى دَاعِيَهُ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ حَتَّى أَجَابَ مَنَادِيَهُ، خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مَقَامًا، وَأَحْسَنَ الْأَنْبِيَاءِ كَلَامًا، أَرْسَلَهُ اللَّهُ ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَخْتَمَ بِهِ الرِّسَالَةَ، وَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَقَامَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعُوجَاءَ، وَأَوْضَحَ بِهِ الْحُجَّةَ الْبَيضَاءَ، فَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ بِدَعْوَتِهِ بَعْدَ ظَلَامِهَا، وَتَأَلَّفَتْ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ شَتَاتِهَا .. فَاللَّهُمَّ اجْزِهِ عَنَا خَيْرَ مَا جَزَيْتَ نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، وَرَسُولًا عَنْ دَعْوَتِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَأَصْحَابِهِ الْغُرِّ الْمِيَامِينَ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ، وَاقْتَفَى أَثْرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَا بَعْدُ:

فَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِالْهُدَى، وَدِينِ الْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ، وَاجْتَبَاهُ، وَطَهَّرَهُ، وَزَكَّاهُ، وَخْتَمَ بِهِ رِسَالَتَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وَعَظَّمَ شَأْنَهُ، وَجَعَلَ رِسَالَتَهُ لِلْعَالَمِينَ مَنَّةً بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

إِنَّ الْإِشْتِغَالَ بِذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَنَشْرَ مَحَاسِنِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْقَرِيبَاتِ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، لَا يَزَالُ يَهْتَمُّ بِهَا الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لِأَسِيْمَا فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي نَشْهَدُ فِيهِ تَطَاوُلًا مِنْ شُدَّادِ الْآفَاقِ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَحَبِيبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّ مَنْ وَاجِبَ كُلِّ مُسْلِمٍ غِيُورٍ عَلَى دِينِهِ، مَحَبِّ لِرَسُولِهِ الْمُسْطَفَى ﷺ، أَنْ يُعْبِرَ عَنِ غَضَبِهِ تَجَاهَ هَذَا الْجَرْمِ الْعَظِيمِ مِنْ نَاحِيَةِ، وَأَنْ يَفْرَحَ فَرِحَةَ غَامِرَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى بِهَذِهِ الْهَبَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَحْمُودِيَّةِ، دِفَاعًا رَائِعًا عَنِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، فَقَدْ أَثْبَتَتْ هَذِهِ الْإِسَاءَاتِ الدَّنِيَّةُ أَنَّ أُمَّتَنَا أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ؛ فَإِنَّهَا إِذَا مَرَضَتْ لَا تَمُوتُ، وَفِيهَا رِجَالٌ يَذُودُونَ بِكُلِّ مَا أَوْتُوا دُونَ نَبِيِّ اللَّهِ الْكَرِيمِ ﷺ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْخَيْرِ الْمَتَّصِلِ فِي كِيَانِ الْأُمَّةِ، وَالْمُسْتَقَرِّ فِي وَجْدَانِهَا؛ حَيْثُ قَالَ الْمُسْطَفَى ﷺ: (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا

يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) ^(١) فمع توالي النكبات، وكثرة الطعنات التي تُوجه إلى صدر الأمة من أعداء الإسلام، وممن أعلنوا الحرب الصهيونية الصليبية على الإسلام جلية واضحة، دون مهادنة، إلا أننا نجد روحاً جديدة تسري في جسد الأمة؛ تذكرنا بحديث المصطفى ﷺ : (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى) ^(٢) .

وانطلاقاً من حبّ النبي ﷺ ، تكافتت الأمة، وتداعت إلى الحقّ، فربّ ضارّة نافعة، فقد هبّ المسلمون من جميع أصقاع المعمورة لنصرة نبيهم، وشحذّ الدعاة الهمم والعزائم في الدود عن حياض حامل الرسالة الربانية ﷺ ، ومن جانب آخر بدأ الغرب يبحث عن سيرة هذا النبي العظيم، وقد ترامى إلى أسماعنا تحول كثير من الغرب من ظلمات الكفر والإلحاد إلى نور الإسلام؛ ما جعل الغرب يندم على اللحظة التي أساء فيها إلى حبيبنا المصطفى ﷺ !!

ونظراً لما شعر به الباحث في نفسه من شدة حبّ هذا النبي الكريم ﷺ ، ورغبتها في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بذلك، مع ضعف العمل وقلة الزاد، أراد تكليفها بإبراز عناية الله ﷻ بحبيبه المصطفى ﷺ وتكريمه سبحانه له، وإيجاب حبه وتوقيره، والتوعد لمن يؤذيه ويستهزئ به، وسميت بحثي هذا (العناية الربانية بنبي البشرية - دراسة قرآنية موضوعية -)

أولاً : أهمية الدراسة وسبب اختيارها:

تظهر أهمية البحث وأسباب اختياره من خلال عدة نقاط ، أذكر أهمها فيما يلي:

١. كونها عبادة لله ﷻ وقربة له سبحانه، حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ

كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

٢. إن فيها مصلحة عظيمة لمن يلج هذا الباب، ويسلك هذا الطريق، ويسير عليه و يمتثله، فأبي

سعادة أفضل وأعظم من طرق أبواب رضوان الله ﷻ والجنة .

٣. تكمن أهميته في الحديث عن حامل ومبلّغ هذا الدين خيرة خلق الله محمد ﷺ نظراً لتجرؤ حثالة

من الصليبيين، واليهود الحاقدين على الإساءة لأظهر من عرفته البشرية، والتي كان آخرها ذلك

الفيلم المسيء من صليبي حاقد .

(١) صحيح مسلم - كتابُ الإمارة - بابُ قوله ﷺ : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ

خَالَفَهُمْ) - ٣ / ١٥٢٣ - رقم ١٩٢٠ .

(٢) صحيح البخاري - كتابُ الأدب - بابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ - ٨ / ١٠ - رقم ٦٠١١ .

٤. من خلال قراءة الباحث للقرآن الكريم وقف على آيات كثيرة تناولت هذا الموضوع مما شجعه على الكتابة فيه .

٥. تشجيع بعض الأساتذة للباحث للكتابة في هذا الموضوع الذي لم يطرح من قبل في رسالة علمية حسب علمه، وحسب ما أفاد البحث في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٦. حب الباحث الشديد للنبي ﷺ دفعه بشدة للكتابة في هذا الموضوع ، عسى أن يحظى في الجنة بصحبة من يحب.

ثانياً : أهداف الدراسة

لهذه الدراسة أهداف عديدة سامية، سأكتفي بذكر أهمها فيما يلي :

١. مرضاة الله سبحانه وتعالى، فهي الغاية الأسمى التي أرجوها من كتابة هذا البحث .
٢. إبراز دور القرآن في عنايته ودفاعه عن أشرف الخلق محمد ﷺ من قبل البعثة، وحتى يوم البعث، وصولاً إلى مكانته، ومنزلته الرفيعة في الجنة؛ في ظل الإساءة له من خنازير اليهود، وعُباد الصَّليب ..
٣. التعرف على مواقف المشركين والمنافقين وأهل الكتاب وأذاهم للنبي ﷺ ، وكيف دافع الله سبحانه عن حبيبه، واعتنى بخليته ﷺ .
٤. اثراء المكتبة الاسلامية ببحث علمي في هذا الموضوع المهم، حيث إن الباحث لم يجد أي رسالة علمية جامعة في هذا الموضوع .

ثالثاً : الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة في هذا الموضوع، ومن خلال البحث في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومن خلال الكشف في المكتبة الالكترونية في الجامعة الاسلامية في غزة، لم يجد الباحث رسالة تتناول هذا الموضوع من كل جوانبه؛ لكنه ورد على شكل اشارات في بعض الكتب، أو على شكل مقالات بسيطة، على الشبكات الالكترونية، أو بعض المجالات، أو من خلال دراسات غير متخصصة في التفسير وعلوم القرآن .

رابعاً : منهج الدراسة :

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي الاستنباطي حسب خطوات التفسير الموضوعي، وذلك كما يلي:

١. جمع الآيات القرآنية التي سنتناول الدراسة من جميع جوانبها .

٢. تصنيف الآيات وعنوانها بوضع الآيات التي تتحدث عن موضوع معين على حده، مع وضع عنوان مناسب لها.
٣. التحدث عن الفصول والمباحث والمطالب من منطلق الآيات القرآنية ، مع ذكر أقوال المفسرين وأهل العلم .
٤. كتابة الآيات مدار البحث بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم _ رحمهما الله_، وعزوها إلى سورها ، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن .
٥. تفسير الآيات من كتب التفسير القديمة والحديثة، بما يجعل الدراسة تفسيرية بالدرجة الأولى
٦. ذكر سبب نزول الآيات إن وجد .
٧. الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث، وعزوها الى مصادرها، مع ذكر حكم العلماء عليه ما أمكن .
٨. عمل تراجم للأعلام المغمورين، وكذلك البلدان والأماكن غير المشهورة .
٩. توثيق النصوص المنقولة في الهامش حسب الأصول، وذلك بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف، وترك البيانات التفصيلية لفهرس المصادر والمراجع ، مع تحري الأمانة العلمية في النقل والتوثيق .
١٠. توضيح الكلمات الغريبة من خلال المعاجم اللغوية .
١١. عمل خاتمة للرسالة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات .
١٢. عمل فهرس للرسالة ليسهل الرجوع إلى المعلومة بسهولة ويسر كالتالي:
فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس الأحاديث النبوية ، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

خامساً : خطة الدراسة :

وتحقيقاً لأهداف البحث وغاياته فقد جعلت الدراسة في مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، ومجموعة فهرس، وذلك كما يلي :

المقدمة

وتشتمل على:

أولاً: أهمية الدراسة وسبب اختيارها

ثانياً: أهداف الدراسة

ثالثاً: الدراسات السابقة

رابعاً: منهج الدراسة
خامساً: خطة الدراسة

التمهيد

ويحتوي على الأمور التالية :
أولاً : المقصود بالعبارة الربانية لغة واصطلاحاً .
ثانياً : أنواع العبارة .
ثالثاً : التعريف بنبي البشرية ﷺ .

الفصل الأول

عبارة الله العامة بالنبي ﷺ

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر عبارة الله بالنبي ﷺ قبل بعثته

ويشتمل على ستة مطالب :

- المطلب الأول : نسب النبي ﷺ والقوم الذين نشأ فيهم .
 - المطلب الثاني : حفظ النبي ﷺ عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام .
 - المطلب الثالث: نشأة النبي ﷺ على الصدق والأمانة .
 - المطلب الرابع: ذكر النبي ﷺ في الكتب السماوية السابقة والتبشير بقدمه.
 - المطلب الخامس: عصمة النبي ﷺ عما لا يليق به .
 - المطلب السادس: شرف النبي ﷺ بوضع الحجر الأسود في مكانه .
- المبحث الثاني: مظاهر عبارة الله بالنبي ﷺ بعد بعثته
ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: عبارة الله التكرمية للنبي ﷺ

المطلب الثاني: عبارة الله برسالة النبي ﷺ

المطلب الثالث : عبارة الله التشريعية للنبي ﷺ

المبحث الثالث : مظاهر عبارة الله بالنبي ﷺ بعد البعث :

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: ما اعتنى الله بالنبي ﷺ في ذاته

المطلب الثاني : ما اعتنى الله بالنبي ﷺ في أمته

الفصل الثاني

عناية الله بالنبي ﷺ من إيذاء المشركين

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: معنى الأذى وأنواعه

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : معنى الأذى لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني : أنواع أذى المشركين للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به

المبحث الثاني: حقيقة المشركين وأسباب إيذائهم للنبي ﷺ قديماً وحديثاً :

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الشرك وحقيقته

المطلب الثاني : أسباب إيذاء المشركين للنبي ﷺ قديماً

المطلب الثالث: أسباب إيذاء المشركين للنبي ﷺ حديثاً (في الوقت المعاصر)

المبحث الثالث : أوجه إيذاء المشركين للنبي ﷺ وعناية الله به

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : إيذاء المشركين الجسدي للنبي ﷺ

المطلب الثاني : إيذاء المشركين للنبي ﷺ بافتراءهم على شخصه

المطلب الثالث : إيذاء المشركين للنبي ﷺ بافتراءهم على رسالته

المطلب الرابع : إيذاء المشركين للنبي ﷺ باستهزائهم به

" الفصل الثالث "

"عناية الله بالنبي ﷺ من أذى المنافقين "

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة المنافقين وبيان خطرهم

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول: تعريف النفاق وأنواعه

المطلب الثاني : خطر المنافقين على الدعوة الإسلامية والمجتمع الإسلامي

المبحث الثاني: إيذاء المنافقين الجسدي والنفسي للنبي ﷺ

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : التآمر على قتل النبي ﷺ

المطلب الثاني : إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالطعن في عِزِّهِ الشَّرِيفِ ﷺ

المطلب الثالث : إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالتآمر على دعوته ببنائهم لمسجد ضِرار

المطلب الرابع : إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالسخرية والاستهزاء منه ﷺ ومن أصحابه، والطعن في رسالته

المطلب الخامس : إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالطعن في قِسْمَتِهِ وأمانته

المبحث الثالث: خذلان المنافقين للنبي ﷺ (في أحوج الأوقات) وعناية الله ﷻ به
ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : موقف المنافقين في غزوة أحد في ضوء (سورة آل عمران)

المطلب الثاني : موقف المنافقين في غزوة بني النضير في ضوء (سورة الحشر)

المطلب الثالث : موقف المنافقين في غزوة الخندق في ضوء (سورة الأحزاب)

المطلب الرابع : موقف المنافقين في غزوة بني المصطلق في ضوء (سورة المنافقون)

الفصل الرابع

"عناية الله بالنبي ﷺ من أذى أهل الكتاب"

ويشتمل على توطئة ومبحثين :

المبحث الأول: إيذاء أهل الكتاب القولي للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به :

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : إيذاؤهم للنبي ﷺ بالطعن في نبوته ﷺ بعد تيقنهم من صدقه وإيثارهم الشرك على الإيمان

المطلب الثاني : إيذاؤهم للنبي ﷺ بتعننتهم معه واتهامه في غايته النبيلة

المطلب الثالث : إيذاؤهم للنبي ﷺ بحسدهم وكبريائهم وجحودهم الحق الذي جاء به

المطلب الرابع : إيذاؤهم للنبي ﷺ بالتعالي عليه وادعائهم الخصوصية والأفضلية على أمته

المبحث الثاني: إيذاء أهل الكتاب العملي للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به :

ويشتمل على خمسة مطالب :

المطلب الأول : إيذاؤهم للنبي ﷺ بإثارتهم الفتنة بين المسلمين، وتجروهم على نساء المؤمنين

المطلب الثاني : إيذاؤهم للنبي ﷺ بمحاولة قتله، والغدر به
المطلب الثالث: إيذاؤهم للنبي ﷺ بتأليبهم للناس ضده ، وخيانتهم ونكثهم لعهودهم معه
المطلب الرابع : إيذاؤهم للنبي ﷺ باستهزائهم به وبالموحدين معه .
المطلب الخامس : إيذاؤهم للنبي ﷺ بالتشكيك في نبوته، ودخولهم في الإسلام ثم الارتداد عنه
الخاتمة

وتشمل أهم ما توصل إليه الباحث من النتائج والتوصيات .

الفهارس

وتشتمل على :

- أولاً : فهرس الآيات القرآنية .
- ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية والآثار .
- ثالثاً : فهرس الأعلام المترجم لهم .
- رابعاً : فهرس المصادر والمراجع .
- خامساً : فهرس الموضوعات .

التمهيد

ويحتوي على الأمور التالية:

أولاً : المقصود بالعناية الربانية لغةً واصطلاحاً

ثانياً : أنواع العناية

ثالثاً : التعريف بنبي البشرية ﷺ

أولاً : المقصود بالعناية الربانية لغةً واصطلاحاً :

(١) العناية الربانية لغة :

أ) العناية لغة: هي الاهتمام بالشيء، قال ابن فارس: "عَنَانِي هَذَا الْأَمْرُ يَعْنِينِي عِنَايَةً، وَأَنَا مَعْنِي بِهِ، وَأَعْتَنَيْتُ بِهِ وَبِأَمْرِهِ" (١) ، وقال الفيومي في المصباح المنير: "وَأَعْتَنَيْتُ بِأَمْرِهِ اهْتَمَمْتُ، وَعَنَى اللَّهُ بِهِ حَفِظَهُ" (٢) ، وقال الحميري: "عناه الأمر عنايةً ، فهو مَعْنِي" (٣) .

وقال أبو الحسن بن اسماعيل: "عناه الأمر يعنيه عنايةً وعُنِيًا: أهمه، وقوله تعالى ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ﴾ [عبس:٣٧] ، وقرئ (يعنيه) فَمَنْ قَرَأَ يَعْنِيهِ بِالْعَيْنِ؛ فَمَعْنَاهُ لَهُ شَأْنٌ لَا يَهْمُهُ مَعَهُ غَيْرُهُ، وَكَذَلِكَ شَأْنٌ يُعْنِيهِ، أَي لَا يَقْدِرُ مَعَ الْإِهْتِمَامِ بِهِ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بغيرِهِ" (٤) .

ب) الربانية لغة : اختلف أهل اللغة حول الأصل الاشتقاقي للربانية، ابتداءً من ظن بعضهم أن الكلمة ليست عربية أصلاً، وقالوا إنما هي عبرانية أو سريانية، حيث زعموا أن العرب لا تعرف الربانيين، وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم (٥) .

وأكثر آراء اللغويين في أصل الربانية تذهب إلى أنه مأخوذ من (الرَّبُّ) بمعنى الخالق، الرازق المدبر، أو من الرّب بمعنى الإصلاح، وبين الأصلين صلة وثيقة، حيث قال الطبري: "وأولى الأقوال عندي بالصواب في (الربانيين) أنهم جمع (ربانيّ)، وأنّ (الربانيّ) المنسوب إلى (الربان)، الذي يربُّ الناس، وهو الذي يُصلح أمورهم، و(يربُّها)، ويقوم بها، يقال منه: رَبَّ أَمْرِي

(١) مقاييس اللغة - ٤ / ١٤٦ .

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - ٢ / ٤٣٤ .

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم - ٧ / ٤٧٩٥ .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم - ٢ / ٢٤٦ .

(٥) انظر: تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهرى - ١٣٠/١٥ .

فلان، فهو يُرثه رَبًّا، وهو رَبُّه؛ فإذا أُريد به المبالغة في مدحه قيل: (هو رَبَّان) ، كما يقال: (هو نَعسان) من قولهم: نَعَسَ يَنعُسُ (١) .

وقال الخطيب البغدادي: " بلغني عن أبي بكر بن الأنباري، عن النحويين، أن الرِّبَّانين منسوبون إلى الرَّبِّ، وأن الألف والنون زيدتا للمبالغة في النسب، كما تقول: لحياني، إذا كان عظيم اللحية" (٢) .
٢) العناية الربانية بنبي البشرية اصطلاحاً :

تحرى الباحث عن معنى (العناية الربانية) في الاصطلاح فلم يجد، لذا فإنه يجتهد في تحديد المراد بهذا المصطلح المركب: وهي اهتمام الله ﷻ ، وولاية أمر نبيه المصطفى ﷺ ، والتكفل بحفظه، ورعايته، وعصمته، وكفايته من كل أنواع الأذى؛ وذلك في كل مراحل حياته .

ثانياً : أنواع العناية :

سأكتفي هنا بذكر أنواع العناية؛ لأنه سيأتي تفصيلها وبيانها لاحقاً أثناء الدراسة، وهي كالتالي:

- ١) العناية بنسبه ﷺ .
- ٢) العناية بمولده ﷺ .
- ٣) العناية بمرحلة شبابه ﷺ .
- ٤) العناية بمرحلة مبعثه ﷺ .
- ٥) العناية بمرحلة تبليغ دعوته ﷺ .
- ٦) العناية بمرحلة جهاده ﷺ .
- ٧) العناية به بعد وفاته ﷺ .

ثالثاً : التعريف بنبي البشرية ﷺ :

أولاً: اسمه ونسبه الشريف ﷺ:

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كِلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن حُزَيْمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَد بن عدنان، روي هذا عن النبي ﷺ ، واتفق على صحته أهل العلم بالنَّسَب، لم يختلفوا في شيء منه؛ وإنما اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وفيما بين إبراهيم وآدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ اختلافاً كثيراً لا يقطع على صحة

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٦ / ٥٤٣ .

(٢) انظر: الفقيه والمتفقه - ١ / ١٨٥ .

شيء منه (١) ، وغاية الأمر أنهم أجمعوا على أن نَسَب الرسول ﷺ ينتهي إلى إسماعيل بن إبراهيم أب العرب، نسب شريف؛ آباء طاهرون، وأمّهات طاهرات، لم يزل ﷺ ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء؛ حتى اختاره الله ﷻ هادياً، مهدياً من أوسط العرب نسباً، فهو من صميم قريش التي لها القدم الأولى في الشرف، وعلو المكانة بين العرب، ولا تجد في سلسلة آبائه إلا كراماً ليس فيهم مستردل؛ بل كلهم سادة، وقادة، وكذلك أمهات آبائه من أرفع قبائلهن شأنًا، ولا شك أن شرف النسب، وطهارة المولد من شروط النبوة، وكل اجتماع بين آبائه وأمّهاته كان شرعياً بحسب الأصول العربية، ولم يَنَلْ نسبه الشريف ﷺ شيء من سفاح الجاهلية؛ بل طهره الله ﷻ من ذلك، وهذا من العناية الربانية بنبي البشرية ﷺ (٢) .

ثانياً : أسمائه ﷺ :

نُسِبَ إلى النبي ﷺ أسماء عديدة أوصلها البعض إلى ثلاثة وتسعين اسماً ولكنها لم تثبت كلها، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ومبلغ تحليه بالفضائل والآداب، والخصائص والميزات (٣) ؛ ومن أسمائه الثابتة ما رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَوْوفاً رَحِيماً) (٤) .

ثالثاً : مولده ﷺ :

ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين حيث أورد الطبري في تاريخه: " أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن يوم الإثنين، فقال: (ذلك يومٌ وُلِدْتُ فيه، ويومٌ بُعِثْتُ فيه، وَأُنزِلَ عَلَيَّ فيه) " (٥) في عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول؛ وقال بعضهم: لليلتين خلنا منه؛ وقال بعضهم: بعد الفيل

(١) انظر: الرحيق المختوم - المباركفوري - ص ٣٩ ، المقتفى من سيرة المصطفى - بدر الدين الحلبي -

ص ٢٦ ، المقدمات الممهدة - محمد القرطبي - ٣ / ٣٤٨ ، شرف المصطفى - عبد الملك النيسابوري -

٧ / ٢ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - القلقشندي - ص ٢٣ .

(٢) انظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس - حسين الديار بكري - ١ / ٥٦ ، نور اليقين في سيرة سيد

المرسلين - الشيخ الخضري - ص ٩ .

(٣) السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة - محمد أبو شُهبة - ١ / ١٧٨ .

(٤) صحيح مسلم - كتاب الفضائل - بَابٌ فِي أَسْمَائِهِ ﷺ - ٤ / ١٨٢٨ - رقم ٢٣٥٤ .

(٥) تاريخ الرسل والملوك - ٢ / ٢٩٣ .

بثلاثين يوماً؛ وأغلب الروايات تتجه إلى أن ذلك كان عام هجوم الأحباش على مكة سنة (٥٧٠ م) في الثاني عشر من ربيع الأول (٥٣ ق. هـ) (١) .

رابعاً : نسبه ومكانته في قومه ﷺ قبل البعثة :

وُلِدَ النبي ﷺ من أسرة زاكية المعدن، نبيلة النسب، جمعت خلاصة ما في العرب من فضائل، وترَفَعَت عما يشينهم من أوصار (٢) (٣) ، قال رسول الله ﷺ عن نفسه : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) (٤) ، فهو من أشرف الناس نسباً، وأكملهم خُلُقاً وَخُلُقاً، ولذلك لما سئل النبي ﷺ : أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ ؟ قال: (... فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي) ، قالوا: نعم، قال: (فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا) (٥) " (٦) .

خامساً : زوجاته ﷺ:

إنَّ زوجات النبي ﷺ هُنَّ أَفْضَلُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لِمَكَانَتِهِنَّ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ولأنهنَّ أمهات المؤمنين، ولأنهن زوجات النبي ﷺ في الآخرة، ولطهارتهنَّ من الرَّجْسِ؛ ولذلك يَكْفُرُ مَنْ قَذَفَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ؛ لأنَّ ذلك يَسْتَلْزِمُ نَقْصَ النَّبِيِّ ﷺ ، وتدنيس فراشه، وعددهن إحدى عشرة، توفيت اثنتان منهما حال حياته، وهما خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة، وتوفى النبي ﷺ عن تسع نسوة، القرشيات من زوجاته ست، والعربيات من غير قریش أربع، وواحدة من غير العرب وهي صفية من بنى إسرائيل، وأَسْمَاؤُهُنَّ كَالتَّالِي: خديجة بن خويلد، سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبي بكر الصديق، حفصة بنت عمر، زينب بنت خزيمة، أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومية، أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، جويرية بنت الحارث ، وكان اسمها برة، فسماها رسول الله ﷺ جويرية،

(١) انظر : العقد الفريد - ابن عبد ربه الأندلسي - ٣ / ٥ .

(٢) الوَضْرُ: وَسَخُ الدِّسَمِ وَاللَّبَنِ وَغُسَالَةُ السَّقَاءِ وَالْقَصْعَةَ (انظر: لسان العرب - ابن منظور - ٥ / ٢٨٤)

(٣) انظر: فقه السيرة - الغزالي - ص ٥٩ .

(٤) صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب فضل نسب النبي ﷺ وتسلم الحجر عليه قبل النبوة - ٤ / ١٧٨٢ - رقم ٢٢٧٦ .

(٥) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلاً} - ٤ / ١٤٠ - رقم ٣٣٥٣ .

(٦) انظر : فقه السيرة - الغزالي - ص ٥٩ ، رحمة للعالمين - د. سعيد القحطاني - ص ١٤ .

ميمونة بنت الحارث الهلالية، صفية بنت حيي بن أخطب، زينب بنت جحش (رضي الله تعالى عنهن أجمعين) .

وأفضل نسائه ﷺ خديجة وعائشة رضي الله عنهما، وكل واحدة منهما أفضل من الأخرى من جهة؛ فمزية خديجة رضي الله عنها أنها أول من آمن بالرسول ﷺ ، وأنها عاضدته على أمره في أول رسالته، وأنها أم أكثر أولاده؛ بل كلهم إلا إبراهيم، وأن لها منزلة عالية عنده، فكان يذكرها دائماً، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ومزية عائشة حُسُنُ عِشْرَتِهَا مع النبي ﷺ في آخر أمره، وأن الله ﷻ برأها في كتابه مما رماها به أهل الإفك، وأنزل فيها آيات تنلى إلى يوم القيامة، وأنها حفظت من هدي النبي ﷺ وسنته ما لم تحفظه امرأة سواها، وأنها نشرت العلم الكثير بين الأمة، وأن النبي ﷺ لم يتزوج بغير سواها، فكانت تربيتها الزوجية على يديه، وأن النبي ﷺ قال فيها: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ (١) عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ) (٢) " (٣)

سادساً : أبناؤه ﷺ :

أولاد النبي ﷺ وبناته كلهم من زوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها إلا إبراهيم فهو من سرية النبي ﷺ مارية رضي الله عنها والتي أهداها المقوقس ملك الإسكندرية، وعظيم القبط للنبي ﷺ ، وأولاده على الصحيح سبعة ثلاث ذكور، وأربع إناث .

فالذكور هم : القاسم ، عبدالله ، إبراهيم .

والإناث هن : زينب ، رقية ، أم كلثوم ، فاطمة

وكل أولاده ﷺ ماتوا في حياته إلا فاطمة رضي الله عنها؛ فإنها قبضت بعده رضي الله عنها^(٤)

سابعاً : بعثته ﷺ :

ذكر المباركفوري في تحديد تاريخ البعثة : وبعد النظر والتأمل في القرائن والدلائل يمكن لنا أن نرجح ونحدد ذلك اليوم بأنه كان يوم الإثنين لإحدى وعشرين مضت من شهر رمضان ليلاً،

(١) الثريد: ثردت الخبز أثرده وهو أن تفته ثم تبله بمرق وتشرفه في وسط الصحفة وتجعل له وقبة (انظر: أساس البلاغة - الزمخشري - ١ / ١٠٦) .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأطعمة - باب الثريد - ٧ / ٧٥ - رقم ٥٤١٩ .

(٣) انظر: شرف المصطفى - عبد الملك النيسابوري - ٣ / ٢٤٥ ، خاتم النبيين - أبو زهرة - ٣ / ١٠٩٧ ، معرفة الصحابة - ابن منده العبدوي - ص ٩٣٩ ، مذكرة على العقيدة الواسطية - محمد بن صالح بن محمد العثيمين - ص ٨٠ ، المعارف - عبد الله بن مسلم - ١ / ١٣٢ .

(٤) انظر: الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية - وحيد بن عبد السلام بالي - ص ١٣٢ ، المقتضى من سيرة المصطفى - بدر الدين الحلبي - ص ١٠٨ .

ويوافق ١٠ أغسطس سنة ٦١٠ م ، وكان عمره ﷺ إذ ذاك أربعين سنة قمرية، وستة أشهر، و ١٢ يوماً، وذلك نحو ٣٩ سنة شمسية وثلاثة أشهر و ١٢ يوماً^(١) .

ثامناً : نبي البشرية :

لقد أرسل الله ﷺ نبيه ﷺ وميَّزه عن غيره من الأنبياء بأن أرسله إلى الناس كافة، حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] قال الامام الطبري: " يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً مَنْ أطاعك، ونذيراً مَنْ كَذَّبَكَ " (٢) .

قال الزحيلي في تفسيرها: " أي وما أرسلناك إلا للناس جميعاً عربهم وعجمهم، وكافةً مانعاً لهم، من الكفِّ وهو المنع عن الكفر، ودعوتهم إلى الإسلام، أو جامعاً لهم بالإنذار والإبلاغ، من الكفِّ بمعنى الجمع " (٣) .

وقد أكد النبي ﷺ على أن الله ﷻ أرسله إلى الناس كافة ما رواه أبو ذرٍّ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، فَيُرْعَبُ الْعَدُوُّ وَهُوَ مِنِّي مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَقِيلَ لِي: سَلْ تُعْطَى، وَاخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي، فَهِيَ نَائِلَةٌ مِنْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا)^(٤) .

فأوضح الله ﷻ أنه أرسل نبيه ﷺ رسولاً للناس قاطبة، العرب والعجم، الأبيض والأسود، مبشراً الطائع بالجنة، ومنذراً العاصي بالنار، لكن أكثر الناس لا يعلمون بعموم الرسالة النبوية، ولا بمهمة التبشير والإنذار، ولا بخطورة الضلال.

(١) الرحيق المختوم - ص ٥٦ (بتصرف يسير) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ٢٠ / ٤٠٥ .

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - ٢٢ / ١٧٩ .

(٤) صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ - باب الحوض والشفاعة - ١٤ / ٣٧٥ - رقم ٦٤٦٢ ، حكم عليه المحقق

شعيب الأرنؤوط بأنه: صحيح .

تاسعاً : وفاته ﷺ :

إنَّ آخر سورة نزلت في كتاب الله على رسول الله ﷺ ، وقد نَعَتْ إلى رسول الله ﷺ أجله، أي: أُخبر فيها أنه سيموت ﷺ ، (حيث دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال: (قد نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي)، فَبَكَتْ، فقال: (لا تبكي فإنك أول أهلي لحاقاً بي) ؛ فضحكت، فرأها بعض أزواج النبي ﷺ ، فقلن: يا فاطمة، رأيناك بكيت، ثم ضحكت؟ قالت: إنه أخبرني أنه قد نُعِيَتْ إليه نفسه فبكيت، فقال لي لا تبكي فإنك أول أهلي لاحق بي؛ فَضَحِكْتُ (١) .

وقد تُوفِّي النبي ﷺ حين اشتدَّ الضُّحَى من يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة في يوم لم يُرَ في تاريخ الإسلام أظلم منه، قال أنس بن مالك ﷺ : (ما رأيت يوماً قط كان أحسن، ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ ، وما رأيت يوماً كان أقيح، ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ) (٢) ، وقد حكى أنس ﷺ عن ذلك اليوم فقال: بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ؛ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؛ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّمَ بِضَحْكَ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ عَلَى عَقْبَيْهِ لِيَصِلَ لَهُ الصَّفَّ، فَظَنَّ أَنَّهُ يُرِيدُ الْخُرُوجَ.. (٣) ولم يأت على النبي ﷺ صلاة أخرى بل بدأ الاحتضار، فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول رضي الله عنها: (إنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ وَبِيَدِهِ السَّوَّكُ، وَأَنَا مُسْنَدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَرَأَيْتَهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السَّوَّكُ، فَقُلْتُ: آخِذْ لَكَ، فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ؛ فَتَنَاوَلْتَهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أَلَيْسَ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنَّهُ، فَأَمَرَهُ، وَبَيَّنَ يَدَيْهِ رُكُوءَ أَوْ عُلبَةً، فَجَعَلَ يَدْخُلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسُحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكْرَاتٍ) ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: (فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى) حَتَّى فُيْضَ وَمَالَتْ يَدُهُ " (٤) ، ولحق المصطفى ﷺ بالرفيق الأعلى، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) سنن الدارمي - المقدمة - باب في وفاة النبي - ٥١ / ١ - رقم ٧٩ ، حكم عليه المحقق حسين الداراني بأن: إسناده صحيح .

(٢) مسند الإمام أحمد - مسند أنس بن مالك عنه - ٤٥١ / ٢١ - رقم ١٤٠٦٣ ، حكم عليه المحقق شعيب الأرنؤوط بأن: إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب : هَلْ يَلْتَفِتُ لِأَمْرِ يَنْزِلُ بِهِ، أَوْ يَرَى شَيْئًا، أَوْ بُصَافًا فِي الْقِبْلَةِ؟ - ١ / ١٥١ - رقم ٧٥٤ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب مرض النبي ﷺ ووفاته - ١٣ / ٦ - رقم ٤٤٤٨ .

الفصل الأول

عناية الله العامة بالنبي ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مظاهر عناية الله بالنبي ﷺ قبل بعثته

المبحث الثاني: مظاهر عناية الله بالنبي ﷺ بعد بعثته

المبحث الثالث: مظاهر عناية الله بالنبي ﷺ بعد البعث

المبحث الأول

مظاهر عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ قبل بعثته

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : نسب النبي ﷺ والقوم الذين نشأ فيهم

المطلب الثاني: حفظ النبي ﷺ عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام

المطلب الثالث: نشأة النبي ﷺ على الصدق والأمانة

المطلب الرابع: ذكر النبي ﷺ في الكتب السماوية السابقة والتبشير بقدومه

المطلب الخامس: عصمة النبي ﷺ عما لا يليق به

المطلب السادس: شرف النبي ﷺ بوضع الحجر الأسود في مكانه

المطلب الأول

نسب النبي ﷺ والقوم الذين نشأ فيهم

إِنَّ مِنْ عناية الله ﷻ ببنبيه ﷺ أَنَّهُ هَيَّا لَهُ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ جَمِيعَ أَسْبَابِ الشَّرَفِ، وَالرَّفْعَةِ، وَعُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ، وَوَقَّرَ فِيهِ جَمِيعَ الْخِصَالِ الَّتِي تُؤَهِّلُهُ لِلْقِيَامِ بِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ الْعِظْمَى الَّتِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ لَهَا، فَقَدْ جَعَلَ نَسَبَهُ فِي الذُّرْوَةِ مِنْ قَوْمِهِ، وَقَوْمِهِ فِي الذُّرْوَةِ مِنَ الْعَرَبِ، فَهُوَ ﷺ أَشْرَفُ الْعَرَبِ نَسَبًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ: (إِنَّ اللَّهَ ﷻ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَدِّ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى هَاشِمًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) (١) .

وقد كان منبت النبي ﷺ في أسرة لها شأنها، بعض ما أعدَّ الله ﷻ لرسالته من نجاح؛ فالمجتمع العربي الأول كان يقوم على العصبية القبلية الحادة، تلك العصبية التي تَفَنَّى القبيلة كلها دفاعاً عن كرامتها الخاصة، وكرامة من يمُتُّ إليها، وقريش كانت في الجاهلية قبل الإسلام زينة القبائل العربية الأصيلة، وزعيمة ورائدة القبائل العربية، وكانت تقطن في مركز الكرة الأرضية، في مكة أم القرى، وهي المشرفة المباشرة على البيت العتيق، فشرفت قريش بخدمتها لقاصدي بيت الله الحرام، فكانت قريش تتمتع بمكانة مرموقة، ومنزلة رفيعة بين قبائل العرب جميعاً، ومن يقلل من شأن قريش لا علم له، وبضاعته في العلم مُزجاة (٢) ، حيث روي في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في فضلها: عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ، لَمْ يَعْطَهَا أَحَدٌ قَبْلَهُمْ، وَلَا يَعْطَاهَا أَحَدٌ بَعْدَهُمْ: فَضَّلَ اللَّهُ قُرَيْشًا أَنِّي مِنْهُمْ، وَأَنَّ الْخِلاَفَةَ فِيهِمْ، وَأَنَّ الْحِجَابَةَ فِيهِمْ، وَأَنَّ السَّقَايَةَ فِيهِمْ، نَصَرَهُمْ يَوْمَ الْفِيلِ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، وَعَبَدُوا اللَّهَ عَشْرَ سِنِينَ لَا يَعْبُدُهُ غَيْرُهُمْ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا أَحَدًا غَيْرَهُمْ "إِيلَافِ قُرَيْشٍ" [قريش : ١]) (٣) ولمكانة هذا النسب الكريم في قريش لم نجد لها فيما طعنت به على النبي ﷺ لاتضاح نسبه بينهم، ولقد طعنت فيه بأشياء كثيرة مفتراة إلا هذا الأمر..

وهذا النسب الشريف، الطاهر العفيف، من العناية الربانية، بنبي الرحمة المهداة ﷺ .

(١) سبق تخريجه ص ٤ .

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب - سراج الدين الحنبلي - ٢٠ / ٥١٠ ، تفسير الشعراوي - ١٧ / ١٠٥٨٤ ، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي - عبد الشافي عبد اللطيف - ص ٦٣ .

(٣) المستدرك على الصحيحين - الحاكم النيسابوري - كتاب التفسير - تفسير سورة قريش - ٢ / ٥٣٦ .

المطلب الثاني

حفظ النبي ﷺ عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام

لقد حفظ الله ﷻ نبيه ﷺ وصانه عن شرك الجاهلية، فلم تنتكس فطرته كما حصل لعباد الأصنام؛ فقد أحاطت العناية الربانية به ﷺ منذ نعومة أظفاره، فنشأ على سلامة الفطرة، ونقاء القلب، حنيفاً مائلاً عن الشرك، فقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] ، نقلًا عن القاضي عياض حيث قال: والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله ﷻ ، وصفاته، والتشكك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حق ذلك، ذكر القاضي عياض: وأنا أقول إن قريشاً قد رمت نبينا ﷺ بكل ما افتترته، وعير كفار الأمم أنبياءهم بكل ما أمكنها واختلقته، مما نص الله ﷻ عليه، أو نقله إلينا الرواة ... إذ لو كان ذلك؛ لنقل، وما سكتوا عنه، ولكان توبيخهم عما كان يعبد قبل أظفارهم، وأقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركه آلهتهم، وما كان يعبد آباؤهم من قبل، ففي إطباقهم على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه، كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة، وقالوا: ﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] كما حكاه الله ﷻ عنهم، ذكر القرطبي: واعلم أن العلماء اختلفوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] فقال جماعة: معنى الإيمان في هذه الآية: شرائع الإيمان ومعالمه، ذكره الثعلبي، وقيل: تفاصيل هذا الشرع، قلت: الصحيح أنه ﷺ كان مؤمناً بالله ﷻ من حين نشأ إلى حين بلوغه، على ما تقدم (١) .

وقال الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]: "... كذلك الأنبياء قبله منذ ولدوا نشئوا على التوحيد، والإيمان قبل النبوة وبعدها، وأنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده، وبدل على ذلك أن قريشاً لما عابوا النبي ﷺ ، ورموه بكل

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٦ / ٥٦ (بتصرف يسير) ، وانظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع - تقي الدين المقرئ - ١١ / ٢٠٧ ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض - ٢ / ٢٥٨ ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - الشامي - ١١ / ٤٥٥ .

عيب سوى الشرك، وأمر الجاهلية؛ فإنهم لم يجدوا لهم عليه سبيلاً، إذ لو كان فيه لما سكتوا عنه، ولنقل ذلك، فبرأه الله تعالى من جميع ما قالوه فيه، وعبروه به " (١) .

كما ذكر بعض أصحاب السير أن بحيرا الراهب استخلف النبي ﷺ باللات والعزى حينما لقيه بالشام في سفره مع عمه أبي طالب وهو صبي، لمّا رأى فيه علامات النبوة، فقال بحيرا للنبي ﷺ: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه... فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه، وهيبته، وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره؛ فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام، فقال: ابني، فقال له بحيرا ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه، قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه، وعرفوا منه ما عرفت لبيغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة (٢) .

وروي عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثني جار لخديجة أنه سمع النبي ﷺ وهو يقول لخديجة: (... أَي خَدِيجَةٌ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا) (٣) ، إضافة إلى استكافه ﷺ عن وثنيات قومه، وتعظيمهم لآلهتهم التي كانوا يعبدونها، ويتوجهون إليها بالدعاء، ويجعلون لها النذور، ويقدمون لها القرابين المختلفة، ويذبحون لها الأنعام .

ذكر الصلابي معلقاً على ذلك: وهكذا فقد حفظه الله تعالى في شبابه من نزعات الشباب، ودواعيه التي تنزع وتميل إليها الشبوية بطبعها، ولكنها لا تلاثم وقار الهداة، وجلال المرشدين (٤) ، وعليه فلم يكن نبينا محمد ﷺ قبل البعثة على دين قومه، بل ولد مسلماً مؤمناً، كما قال الحافظ ابن رجب: " وقد استدل الإمام أحمد رحمه الله بحديث العرياض بن سارية السلمي ؓ عن النبي ﷺ أنه

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل - ٤ / ٤٣٩ .

(٢) انظر: الخصائص الكبرى - السيوطي - ١ / ١٤٣ ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - البيهقي - ٣٥ / ٢ ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام - القرطبي - ص ٢٨٧ ، السيرة النبوية - ابن كثير - ١ / ٢٤٥ ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - الشامي - ٢ / ١٤٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل - مسند الشاميين - حديث جار لخديجة بنت خويلد - ٢٩ / ٤٦٧ - رقم ١٧٩٤٧ ، حكم عليه محققه شعيب الأرنؤوط بأن: إسناده صحيح .

(٤) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - علي الصلابي - ص ٥٦ (بتصرف يسير) .

قال : (إني عبدُ الله لَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجِدٌ^(١) فِي طِينَتِهِ)^(٢) ، على أنَّ النبي ﷺ لم يزل على التوحيد منذ نشأ، وردَّ بذلك على من زعم غير ذلك، ذكر الحافظ ابن رجب: بل يُستدل بذلك على أنه ﷺ وُلِدَ نَبِيًّا، فَإِنَّ نَبُوْتَهُ وَجَبَتْ لَهُ مِنْ حِينِ أَخَذَ الْمِيثَاقَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾ [آل عمران: ٨١] حيث استُخْرِجَ مِنْ صُلْبِ آدَمَ ﷺ فكان نَبِيًّا مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَكِنْ مَدَّةُ خُرُوجِهِ إِلَى الدُّنْيَا كَانَتْ مَتَأَخَّرَةً عَنْ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ كَوْنَهُ نَبِيًّا قَبْلَ خُرُوجِهِ، كَمَا يُؤَلَّى وَلايَةً، وَيُؤَمَّرُ بِالتَّصَرُّفِ فِيهَا فِي زَمَنِ مُسْتَقْبَلٍ، فَحُكْمُ الْوَلَايَةِ ثَابِتٌ لَهُ مِنْ حِينِ وَلايَتِهِ، وَإِنْ كَانَ تَصَرُّفُهُ مَتَأَخَّرًا إِلَى حِينِ مَجِيءِ الْوَقْتِ^(٣) وَرَوَى عَنِ الْحَافِظِ أَيْضًا أَنَّهُ سَأَلَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: " مِنْ زَعَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ؟ قَالَ: هَذَا قَوْلٌ سَوْءٌ، يَنْبَغِي لِصَاحِبِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ أَنْ يُحَدِّثَ كَلَامَهُ، وَلَا يُجَالَسَ .. ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَبْقَى إِذَا زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَخْبِرًا عَنْ عِيسَى الْكَذَّابِ ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦] ، كَمَا احْتَجَّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِرُؤْيَا أَمِهِ النُّورِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ حَتَّى أَضَاعَتْ لَهُ قُصُورَ الشَّامِ ... ثُمَّ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: احذروا الكلام فإن أصحاب الكلام لا يؤول أمرهم إلى خير"^(٤) .

وهكذا كان حفظ الله ﷻ لنبيه ﷺ من أقدار الجاهلية وأدرانها، لتكون حياته ﷺ كلها صفحة بيضاء، ناصعة البياض، ليس فيها أي شائبة؛ مع أنه شاب عاش في بيئة جاهلية، وبين جاهليين، لم يُذكر عنه شيء من الرذائل، ولو عُرف شيء من ذلك لُعِيْبَ بِهِ، لَا سِيَّمَا مَعَ حِرْصِهِمُ الشَّدِيدِ عَلَى الْإِصَاقِ التَّهْمِ - الْكَاذِبَةِ - بِهِ بَعْدَ نَبُوْتِهِ ﷺ ، فَهُوَ ﷺ الْقُدْوَةُ وَالْأَسْوَةُ لِلْكَوْنِ كُلِّهِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَهَذَا الْحِفْظُ مِنْ شَرِكِ الْجَاهِلِيَّةِ لَهُوَ مِنَ الْعِنَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِنَبِيِّ الْبَشَرِيَّةِ ﷺ .

(١) المراد بالمنجدل : الطريح الملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه (انظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف - ابن رجب - ص ٨٢) .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل - مسند الشاميين - ٢٨ / ٣٨٠ - رقم ١٧١٥٠ ، حكم عليه المحقق شعيب الأرنؤوط بأنه: صحيح لغيره .

(٣) انظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف - ص ٨١ ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرر المضوية في عقد الفرقة المرضية - شمس الدين السفاريني - ٢ / ٣٠٦ ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - الشامي - ١ / ٨٤ .

(٤) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف - ص ٨١ (بتصرف) ، وانظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - شمس الدين الذهبي - ١٨ / ٩٠ .

المطلب الثالث

نشأة النبي ﷺ على الصدق والأمانة

لقد اشتهر النبي ﷺ قبل البعثة في قومه بالصدق والأمانة، وكان يعرف بينهم بالصادق الأمين، وهو لقب لا يتصف به إلا من بلغ الغاية في الصدق والأمانة، وغيرهما من خصال الخير، وقد شهد له الله ﷻ على صدقه، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٣]، والذي جاء بالصدق هو نبينا محمد ﷺ، والذي شهد لما جاء به هو الله ﷻ في قرآنه المنزَّل من فوق سبع سماوات، يقول ابن عاشور معلقاً على هذه الآية: "الذي جاء بالصدق هو محمد رسول الله، والصدق هو القرآن" (١).

كما شهد أعداؤه ﷺ بذلك، حيث ذكر القرطبي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣] "قال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك أنه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي ﷺ، فقال أبو جهل: والله إني لأعلم أنه لصادق، فقال له: مه، وما ذلك على ذلك، قال: يا أبا عبد شمس، كنا نسميه في صباه الصَّادِقَ الأَمِينِ، فلما تمَّ عقله، وكمل رشده، نُسِمِيهِ الكَذَّابَ الخَائِنَ؛ والله إني لأعلم أنه لصادق، قال: فما يمنعك أن تُصَدِّقَهُ، وتؤمن به، قال: تتحدث عني بنات قريش أني قد اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كِسْرَةِ، والللات والعزى إن اتبعتة أبداً فنزلت: وختم على سمعه وقلبه" (٢).

وقد كان رسول الله ﷺ مثالاً قدوة في صفة الصِّدْقِ؛ فقبل بعثته لُقِبَ من قبل قريش بالصادق الأمين؛ حيث كان يستودع القرشيون عند رسول الله ﷺ حوائجهم، ويأتمنونهم على أشياءهم وأسرارهم قبل بعثته، وحينما بُعث رسول الله ﷺ، وأظهر له بنو جلدته وعشيرته العداوة والبغض والكره والحرب؛ ظلَّ رسول الله ﷺ على حُسْنِ خُلُقِهِ وأمانته، وظهر ذلك في ردِّ الأمانات إلى قوم جعلوا أنفسهم أَعْدَى أَعْدَائِهِ، وعندما أمره الله ﷻ بإنذار عشيرته الأقربين صعد على جبل الصفا،

(١) تحرير المعنى السديد وتبوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد - ٧ / ٢٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - ١٦ / ١٧٠ ، وانظر: صفوة النفاسير - الصابوني - ٣ / ١٧٢ ، التفسير المنير - الزحيلي - ٢٥ / ٢٧٤ ، تحرير المعنى السديد وتبوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد - الطاهر بن عاشور - ٢٥ / ٣٥٩ .

وقال ﷺ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟) قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا... (١) ، كما شهد بصدقه أكثر الناس عداً له وهو النضر بن الحارث الذي قام خطيباً في سادة قريش قائلاً لهم: " يا معشر قريش، إنه والله قد نزلَ بكم أمرٌ ما أتيتُم له بحيلة بعدُ، قد كان محمدٌ فيكم غلاماً حدثاً؛ أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صدغيهِ (٢) الشَّيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتُم: ساحر، لا والله ما هو بساحر؛ لقد رأينا السَّحْرَةَ ونَقْنَهُمْ وَعَقْدَهُمْ، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن؛ قد رأينا الكهنة وتَخَالَجَهُمْ (٣) ، وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر لا والله ما هو بشاعر؛ قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها؛ هزجه ورجزه (٤) وقلتم: مجنون؛ لا والله ما هو بمجنون... فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيمٌ " (٥)، وقد قال الطبري في تفسير قوله ﷺ: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٩] " يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمداً، وأنه من أهل الصدق والأمانة؟ ﴿ فهم له منكرون ﴾ يقول: فينكروا قوله، أولم يعرفوه بالصدق، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه " (٦) ، وقال ابن كثير مستنكراً عليهم: " أفهمُ لا يعرفون محمداً وصدقه وأمانته وصيانتته التي نشأ بها فيهم، أفيفقدون على إنكار ذلك والمباهة فيه؟ " (٧) ، وقد روي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: " إنا لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَحْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] " (٨) .

(١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ} [الشعراء: ٢١٥] - ١١١ / ٦ - رقم ٤٧٧٠ .

(٢) الصَّدْعُ: ما بين العين والأذن، ويسمى أيضاً الشعر المتدلّي عليها صُدْعاً (انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - إسماعيل الفارابي - ٤ / ١٣٢٣) .

(٣) خَلَجَ الرجل حاجبيه عن عينيه، واخْتَلَجَ حاجباه وعيناه، إذا تحركتا (انظر: العين - الفراهيدي - ٤ / ١٦٠) .

(٤) الهزج: مدك الصَّوْتِ فِي التَّرْنَمِ؛ وَاسْمِي هَزَجُ الشَّعْرِ لِتَرْنَمِهِمْ كَأَنَّ فِيهِ ، وَالرَّجْزُ : ضَرْبٌ مِنَ الشَّعْرِ (انظر: جمهرة اللغة - أبو بكر الأزدی - ١ / ٤٧٣ ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - الفارابي - ٣ / ٨٧٨) .

(٥) السيرة النبوية - ابن هشام - ١ / ٣٠٠ ، وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية - ٥ / ٣٧٨ ، إظهار الحق - محمد الكيرانوي - ٤ / ١١٤٩ .

(٦) جامع البيان في تأويل آي القرآن ١٧ / ٨٧ .

(٧) تفسير القرآن العظيم - ٥ / ٤٨٤ .

(٨) وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ - النَّبَّهَانِي - ص ٢٢٧ .

وسأل هرقل أبا سفيان عن النبي ﷺ فقال له: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، قال أبو سفيان: لا (١) ؛ وهكذا فلم يستطيعوا مع إسرافهم في عداوته، واضطرارهم إلى صد الناس عن إتباعه، أن يذكر أحدهم أنه كذب، أو وقع منه ما يشبه الكذب .

وإنَّ أبرز الشواهد على صدقه وأمانته ﷺ ، نهوضه بتبليغ الرسالة التي أئتمنه الله عليها وكلفه أن يقوم بها ، حيث بلغها للناس أعظم ما يكون التبليغ، وقام بأدائها أعظم ما يكون القيام، واحتمل في سبيلها أشقَّ ما يحتمله بشر .

(١) انظر: منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ - عبد الله اللّحجي الحضرمي - ٢ / ٥٣٠ .

المطلب الرابع

ذكر النبي ﷺ في الكتب السماوية السابقة والتبشير بقدومه

لقد تواترت هذه البشارات والأخبار المبشرة ببعثته ﷺ بين شعوب الأرض جميعاً ، ذلك أن رسل الله عليهم السلام قد بشروا أقوامهم بمحمد ﷺ ، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف:٦] ذكر ابن كثير قول عيسى عليه السلام: " التوراة قد بشرت بي، وأنا مصداق ما أخبرت عنه، وأنا مبشر بمن بعدي، وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد " (١) ، فعيسى عليه السلام ، وهو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد أقام فيهم بشر بمحمد ﷺ ، وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي لا رسالة بعده ولا نبوة ، وقد أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَوْفًا رَحِيمًا) (٢) ، كما روي عن عطاء بن يسار، قال: " لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال: نعم، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن " (٣) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥] ، قال البيهقي: " أي : شاهداً للرسول بالتبليغ، ومبشراً لمن آمن بالجنّة، ونذيراً لمن كذب بآياتنا بالنار " (٤) .

كما أنّ تلك البشارات في الكتب السابقة كانت سبباً في إسلام كثير من الناس، حيث إنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا ينتظرون مبعث محمد ﷺ ، فلما بُعث؛ آمن به من آمن من علمائهم وأخبارهم، كعبد الله بن سلام..

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف:١٠] ، فقد روي عن عوف بن مالك

(١) تفسير القرآن العظيم - ٨ / ١٠٩ .

(٢) سبق تخريجه ص ٣ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب البيوع - باب كراهية السخب في السوق - ٣ / ٦٧ - رقم ٢١٢٥ .

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن - ٦ / ٣٦١ .

الأشجعي رضي الله عنه قال: انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم، وكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُرُونِي اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَحْطُّ اللَّهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَيْدِي السَّمَاءِ الْغَضَبِ الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِمْ) قال: فأمسكوا وما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم، فلم يُجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال صلى الله عليه وسلم: (أَبَيْتُمْ فَوَاللَّهِ لَأَنَا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُنْطَفَى، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَبْتُمْ) ثم انصرف وأنا معه حتى دنا أن يخرج، فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد، قال: فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله، ولا أفقه منك ولا من أبيك من قبلك ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، تم ردوا عليه وقالوا له شراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كَذَبْتُمْ لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ أَمَّا أَنفَا فَتَنْتُونِ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَنْتَيْتُمْ، وَأَمَّا إِذَا آمَنَ فَكَذَبْتُمُوهُ، وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ) قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وعبد الله بن سلام، فأنزل الله فيه: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ لَمْ يَهْدِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) ^(٢) قال السعدي: "شهد على صحته الموقفون من أهل الكتاب الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق، فآمنوا به واهتدوا، فتطابقت أنباء الأنبياء وأتباعهم النبلاء، واستكبرتم أيها الجهلاء الأغبياء، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر" ^(٣)، أما في تحديد الشاهد فقد قال ابن كثير في تفسيره: "هذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام وغيره، فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام" ^(٤) وكان ممن أسلم أيضاً على هذه البشارات جماعة من أهل الكتاب من نصارى الحبشة، ذكرهم الله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٢-٥٤]

ذكر القرطبي أن الله صلى الله عليه وسلم أخبر أن قوما ممن أتوا الكتاب من بني إسرائيل من قبل القرآن يؤمنون بالقرآن، كعبد الله بن سلام وسلمان، ويدخل فيه من أسلم من علماء النصارى، وهم أربعون رجلاً على أحد الأقوال، قدموا مع جعفر بن أبي طالب المدينة، اثنان وثلثون رجلاً من الحبشة، وثمانية

(١) سورة الأحقاف : الآية (١٠) .

(٢) المستدرک علی الصحیحین - الحاكم النيسابوري - كتاب معرفة الصحابة - باب ذكر مناقب عبد الله بن سلام

ﷺ - ٣ / ٤٦٩ ، رقم ٥٧٥٦ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ص ٧٨٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ٧ / ٢٧٨ .

نفر، أقبلوا من الشام، وكانوا أئمة النصارى (١)، وكذلك دخل في الإسلام على أساس هذه البشارات عدد كبير من الأحيار والرهبان، وغيرهم من أهل الديانات عبر التاريخ وإلى يومنا هذا.

وقد أخبر الله ﷺ أن أهل الكتاب يعلمون يقيناً أن النبي ﷺ مرسل من عند الله ﷻ فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، قال الطبري في تفسيرها : " وهذا القول إبانة من الله ﷻ عن أن الذين وعد موسى نبيه ﷺ أن يكتب لهم الرحمة التي وصفها ﷻ بقوله : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] هم أمة محمد ﷺ لأنه لا يعلم الله رسولاً وُصف بهذه الصفة أعني (الأمي) غير نبينا محمد ﷺ ، وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل " (٢)، وقال ابن كثير في تفسيره : " وهذه صفة محمد ﷺ في كتب الأنبياء، بشروا أممهم ببعثه، وأمروهم بمتابعته، ولم تنزل صفاته موجودة في كتبهم، يعرفها علماءهم وأخبارهم " (٣)

(١) الجامع لأحكام القرآن - ١٣ / ٢٩٦ (بتصرف يسير) .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٣ / ١٦١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ٣ / ٤٨٣ .

المطلب الخامس

عصمة النبي ﷺ عما لا يليق به

أولاً : العصمة لغة: عصم إليه عصماً: لجأ، وَعَصَمَ الْقَرْيَةَ جَعَلَ لَهَا عِصَاماً يَشُدُّهَا بِهِ، وَعَصَمَ اللَّهُ فَلَاناً: حفظه ومنعه ووقاه من الشر والخطايا، واعتصم به: امتنع به ولجأ، واستعصم: طلب العصمة وتأبى وامتنع، ومنه قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢] تأبى وامتنع، واعتصم بالله: امتنع بلطفه من المعصية (١)

ثانياً : العصمة اصطلاحاً: "هي ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية، والميل إليها مع القدرة عليها، وتمنع من خطأ الرسول، أو نسيانه فيما يبلغه عن ربه، ولذلك يجب الإيمان بكل ما يخبر الرسل به عن الله ﷻ ، وتجب طاعتهم فيما يأمرهم به" (٢) .

والعصمة بهذا المعنى ليست لأحد غير الأنبياء صلوات الله عليهم، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]

وقد وردت العصمة في القرآن الكريم أيضاً بمعنى المنع والحفظ، ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] أي يمنعك ويحفظك، كان الرسول ﷺ يُحْرَسُ، حتى نزلت هذه الآية قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ انصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ) (٣) (٤) .

لقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يجعل أنبياءه ورسله بشراً كغيرهم، لا يُميزهم سوى ما اختصهم به سبحانه من أمور تتطلبها الرسالة، وتقتضيها النبوة، فهم يشتركون مع سائر الناس في الصحة والمرض، والجوع والشبع، ويسعون كغيرهم للبحث عن الرزق، ويقومون بالأعمال التي يحتاج إليها الناس في حياتهم، ولا يستقيم أمرهم إلا بها، والنبي ﷺ كغيره من الأنبياء، كان متمتعاً

(١) انظر: لسان العرب - ابن منظور ١٢ / ٤٠٣ - ٤٠٦ ، مختار الصحاح - زين الدين الرازي - ص ٢١١

(٢) المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - ٢ / ٦٠٥ (بتصرف) .

(٣) سنن الترمذي - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - ٥ / ٢٥١ - رقم ٣٠٤٦ ، حكم عليه الألباني في نفس الكتاب بأنه: حسن

(٤) تفسير القرآن العظيم - ٢ / ٧٩ (بتصرف يسير) .

بخصائص البشرية كلها التي فطر الله الناس عليها، ومع ذلك فقد حفظه الله ﷺ قبل البعثة وبعدها عن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الرسالة والدعوة، والمنزلة التي هيأه الله ﷺ لها .

كما أن الأمة أجمعت على عصمة النبي ﷺ وحفظ الله ﷺ له، وأن حياته ﷺ قبل البعثة كانت أمثل حياة وأكرمها وأشرفها، فلم تعرف له فيها هفوة، ولم تُحص عليه فيها زلة، بل إنه امتاز بسمو الخلق، ورجاحة العقل، وعظمة النفس، وحسن الصيِّت بين الناس، ثم أوحى الله ﷺ إليه وبعثه، مع أنه نشأ في بيئة سيطرت عليها الجاهلية سيطرة كاملة في مجال العقيدة والفكر والأخلاق والسلوك، فنجأ رسول الله ﷺ وحُفظ من تلك المؤثرات القوية بحفظ الله ﷺ له، وعصمته إياه سبحانه وتعالى، وبذلك عاش محفوظاً من الرذائل طوال عمره، قال القاضي عياض: " واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان وكفايته منه، لا في جسمه بأنواع الأذى كالجنون والإغماء، ولا على خاطره بالسواوس " (١) ، وقد قال الله ﷻ ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٩]

قال ابن عباس في تفسيرها: " أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً، وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود، وهذا على سبيل التوبيخ على الإعراض عنه بعدما عرفوه بالصدق والأمانة " (٢) ، وقال الماتريدي: " قد عرفوا رسولهم، لكنهم أنكروه وتركوا اتباعه؛ لما ذكرنا في القرآن من أحد الوجهين: عناداً وتكبيراً؛ إشفاقاً على رياستهم لكي تبقى؛ ألا ترى أنه قال: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] " (٣)

والأدلة على عصمة الله ﷻ لنبيه ﷺ عما لا يليق به كثيرة ، أذكر منها :

(١) ما ذكره النبي ﷺ بنفسه حيث قال : (مَا هَمَمْتُ بِمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهْمُونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلَاهُمَا يَعْصِمُنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمَا . قُلْتُ لَيْلَةَ لِفْتَى كَانَ مَعِيَ مِنْ فَرِيشٍ فِي أَعْلَى مَكَّةَ فِي أَغْنَامٍ لِأَهْلِهَا تَرَعَى : أَبْصَرَ لِي عَنِّي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا تَسْمُرُ الْفَتِيَانُ قَالَ : نَعَمْ فَخَرَجْتُ فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غَنَاءً وَصَوْتَ دُفُوفٍ وَرَمْرٍ فَقُلْتُ : مَا هَذَا؟ قَالُوا : فُلَانٌ تَزَوَّجَ فُلَانَةَ لِرَجُلٍ مِنْ فَرِيشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً فَلَهُوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ وَالصَّوْتِ حَتَّى غَلَبْتَنِي عَيْنِي فَنِمْتُ فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ، فَرَجَعْتُ فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي مِثْلَ مَا قِيلَ لِي ، فَلَهُوْتُ بِمَا سَمِعْتُ ، وَغَلَبْتَنِي عَيْنِي ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ؟

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ١١٧ / ٢ .

(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل - عبد الله بن أحمد الزيد - ٦٣٧ / ٥ .

(٣) تأويلات أهل السنة - ٤٨٢ / ٧ .

فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا أَبَدًا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُ أَهْلُ
الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِنُبُوَّتِهِ) (١)

(٢) ومن عصمة الله ﷻ لنبيه ﷺ حِفْظُهُ مِنْ أَنْ تَبْدُو عَوْرَتَهُ، أَوْ يَظْهَرَ عَرِيَانًا، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَمَّا بَنِيَتِ الْكَعْبَةُ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْعَبَّاسُ يَنْقَلَانِ الْحِجَابَةَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ
لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَقَبَتِكَ ، فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ وَطَمَحَتْ (٢) عَيْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: أُرْنِي
إِزَارِي فَشَدَّهُ عَلَيْهِ) (٣) ، وَفِي حَدِيثِ زَكْرِيَّا بْنِ إِسْحَاقَ: (فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عَرِيَانًا
ﷻ) (٤)

(٣) وَأَيْضًا مِنْ عَصَمَتِهِ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ حِفْظُهُ عَنْ سَمَاعِ الْغَنَاءِ، فَمَا شَارَكَ ﷻ أَقْرَانَهُ مِنْ شَبَابِ مَكَّةَ
فِي لَهْوِهِمْ وَلَا عِبْتِهِمْ، وَقَدْ عَصَمَهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ ذَلِكَ، ذَكَرَ السَّبَاعِيُّ: " فَقَدْ اسْتَفَاضَ فِي كِتَابِ السَّيْرَةِ
أَنَّهُ سَمِعَ وَهُوَ فِي سِنِّ الشَّبَابِ غَنَاءَ مِنْ إِحْدَى دُورِ مَكَّةَ فِي حَفْلَةِ عُرْسٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَشْهَدَهَا، فَأَلْفَى
اللَّهَ ﷻ عَلَيْهِ النَّوْمَ، فَمَا أَيْقَظُهُ إِلَّا حَرُّ الشَّمْسِ، وَلَمْ يَشَارِكْ قَوْمَهُ فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَلَا أَكَلَ شَيْئًا
مِمَّا دُبِحَ لَهَا، وَلَمْ يَشْرَبْ خَمْرًا، وَلَا لَعِبَ قَمَارًا، وَلَا عَرَفَ عَنْهُ فَحْشٌ فِي الْقَوْلِ، أَوْ هُجْرٌ - قَبْحٌ - فِي
الْكَلَامِ " (٥)

إِنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الْفَاضِلَةَ الْمُتَلَى بِهَذِهِ الصُّورَةِ لَمِنْ أَكْبَرِ الدَّلَائِلِ عَلَى ثُبُوتِ نُبُوَّتِهِ ﷻ ، إِذْ
كَيْفَ يَكُونُ مَنْ يَحْمِلُ لَوَاءَ الْحَقِّ بَعْدَ ذَلِكَ قَدْ مُزِجَتْ حَيَاتُهُ فِي صَبَاهِ وَشَبَابِهِ بِسُوءِ الْأَخْلَاقِ، وَمَا
سَمِعْنَا فِي تَارِيخِ الدُّنْيَا قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا أَنَّ حَيَاةَ كُلِّهَا فَضْلٌ وَكَمَالٌ، وَهَدْيٌ وَنُورٌ، وَحَقٌّ وَخَيْرٌ، كَحَيَاةِ
نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَلَمْ يُعْهَدْ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ أَنَّ شَخْصًا يَسْمُو عَلَى كُلِّ مَجْتَمَعِهِ وَهُوَ يَعْشَى فِيهِ،
وَيَنْشَأُ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ نَقَائِصِهِ وَمِثَالِهِ؛ وَهُوَ نَابِعٌ مِنْهُ، وَلَا أَنَّ نُورًا يَنْبَعُثُ مِنْ وَسْطِ ظِلْمَاتٍ، وَلَا طَهَارَةَ
تَتَّبَعُ مِنْ وَسْطِ أَدْنَسٍ وَأَرْجَاسٍ، وَلَا أَنَّ عِلْمًا يَكُونُ مِنْ بَيْنِ جَهَالَاتٍ وَخِرَافَاتٍ، فَقَدْ اِمْتَلَأَتْ حَيَاتُهُ ﷻ
مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا بِحَسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَبِالسَّيْرِ الْعَطْرَةِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِعْدَادِ النَّبِيِّ ﷻ لِلنُّبُوَّةِ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، وَفِي هَذِهِ الْمَنْهَجِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ تَحْقِيقَ لِتَرْبِيَةِ النَّفْسِ وَتَأْهِيلِهَا مِنَ الْأَسَاسِ
وَالنَّشْأَةِ، فَتَكُونُ دَعْوَتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَدْعَى لِلِاسْتِجَابَةِ (٦) .

(١) الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ - الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ - ٢٧٣ / ٤ .

(٢) طَمَحَتْ بِيَصْرِي: أَي نَظَرْتُ (انظُر: لِسَانُ الْعَرَبِ - ابْنُ مَنظُورٍ - ١٠ / ١١٧) .

(٣) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ - كِتَابُ الْحَجِّ - بَابُ فَضْلِ مَكَّةَ وَبَيْنَانِهَا - ١٤٦ / ٢ - رَقْمٌ ١٥٨٢ .

(٤) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ كِرَاهِيَةِ التَّعْرِي فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا - ٨٢ / ١ - رَقْمٌ ٣٦٤ .

(٥) السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ دُرُوسٌ وَعَبْرٌ - ص ٣٥ .

(٦) انظُر: السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ عَلَى ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسَّنَةِ - أَبُو شَهْبَةَ - ٢٣٩ / ١ .

المطلب السادس

شرف النبي ﷺ بوضع الحجر الأسود في مكانه

ذكر ابن هشام: فعندما أعادت قريش بناء الكعبة على أساس قواعد إبراهيم عليه السلام ، وذلك بسبب سيل دخلها بعد حريق أصابها - وقيل غير ذلك - ثم إن قريشاً قسّمت البناء بينها حتى تتمكن من إتمامها، فأخذت كل جماعة منها تتولى بناء الجزء الذي خُصص لها، وظلّ الجميع يعمل في جدٍ ونشاط حتى بلغ البناء موضع الحجر الأسود، وهنا اختلفت العشائر من قريش فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه، وأرادت كل قبيلة وضّعه لتفوز بهذا الشرف وحدها، وكاد الخلاف أن يؤدي إلى نزاعٍ دموي، وأوشك القتال أن يشب بين العشائر لولا أن اقترح أبو أمية بن المغيرة، وكان وقتها أسنّ رجل في قريش، أن يجعلوا بينهم حكماً أول داخل عليهم، فوافق الجميع على هذا الرأي، وكان الرسول ﷺ أول داخل من باب بني شيبية، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا به حكماً، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر وعرضوا عليه موضوع النزاع، وعرف عنه ﷺ منذ إدراكه رجحان العقل، فبسط الرسول ﷺ ثوبه على الأرض، ثم وضع عليه الحجر الأسود، وطلب أن تأخذ كل عشيرة بناحية من الثوب، ثم يرفعه جميعاً ففعلوا، ولما بلغوا موضعه تناول الرسول ﷺ الحجر بيديه الشريفتين، ثم وضعه في مكانه، وبذلك حسم الخلاف بين قريش وأرضاهم جميعاً (١) .

ومن ثم فإن رضاء جميع العرب في مكة بحكم النبي ﷺ في قضية وضع الحجر الأسود، وشهادتهم له بأنه الصادق الأمين، تكشف عن مدى الحقد والكبر والعناد الذي امتلأت به أفئدة هؤلاء أنفسهم بعد أن جاءهم بالرسالة من عند الله ﷻ ، وأخذ يبلغها إليهم، ويدعوهم إلى الله وحده، فقابلوه بالعناد والإيذاء، وقالوا: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] ، وصدقَ اللهُ ﷻ حيث قال عنهم وعن أمثالهم ممن يكذبون رسول الله ﷺ ، ولا يؤمنون به: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] كما أن اشتراك النبي ﷺ في بناء الكعبة وتجديدها، بيّن لنا حكمته ﷺ فقد كانت طريقة حله للنزاع والخلاف موفقة، وعادلة، وحكيمة، ومن ثم رضي بها الجميع، وحققت دماء كثيرة، وأوقفت حروباً طاحنة، وقد حصل لرسول الله ﷺ في مشاركته في بناء الكعبة أمران: إنهاء الخصومة، ووقف القتال المتوقع بين قبائل قريش، والثاني: حصوله ﷺ على شرف وضع الحجر

(١) السيرة النبوية - ١ / ١٩٥ (بتصرف يسير) .

الأسود بيديه الشريفتين في مكانه من البيت، وهذا من توفيق الله ﷺ لرسوله ﷺ وبيان لفضله وعلو منزلته..

وهكذا نشأ وشبَّ الحبيب المصطفى ﷺ في عناية الله ﷻ محفوظاً ومعصوماً، لِمَا يريد الله ﷻ به من كرامته ورسالته، كما قال ابن اسحاق: " فشب رسول الله ﷻ يكلؤه الله ﷻ ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ومعاييبها، لِمَا يريد من كرامته ورسالته حتى بَلَغَ أَنْ كان رجلاً أفضل قومه مروءةً، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حِلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانةً، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، ما رُئي مُلاحياً ولا مُمارياً أحداً، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لِمَا جمع الله ﷻ فيه من الأمور الصالحة " (١)

وهذا كله من عناية الله ﷻ به، وتوفيق الله ﷻ له قبل أن يبعث نبياً ورسولاً، فله الحمد والفضل والمنة على ما تفضل به أكرم نبينا ﷺ .

(١) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) - ص ٧٨ ، وانظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - محمد الشامي - ١٤٧ / ٢ .

المبحث الثاني

مظاهر عناية الله بالنبي ﷺ بعد بعثته

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: عناية الله التكرمية للنبي ﷺ

المطلب الثاني: عناية الله برسالة النبي ﷺ

المطلب الثالث : عناية الله التشريعية للنبي ﷺ

المطلب الأول

عناية الله ﷺ التكرمية للنبي ﷺ

يقصد الباحث بالعناية التكرمية للنبي ﷺ : (هي تلك الفضائل والتشريفات، التي أكرم الله ﷺ بها نبيه محمداً ﷺ ، وفضَّله بها على غيره من الأنبياء)

ومن المعلوم لدى أصحاب العقيدة الصحيحة والعلم النافع ما للنبي محمد ﷺ عند ربه ﷻ من منزلة عالية ومكانة رفيعة، لا يصل إليها ولا يدنو منها أي مخلوق ممن خلقهم الله ﷻ ، سواء أكانوا من أهل السموات أم من أهل الأرض، وأن الله تبارك وتعالى لم يخلق مخلوقاً أكرم عليه من محمد ﷺ، وأن الناظر المتأمل في كتاب الله العزيز يرى بجلاء ووضوح أن الله تبارك وتعالى يسوق الآيات البينات في مواضع كثيرة، ويذكر فيها الحجج الدامغات، التي تدل وتؤكد على علو هذا النبي الكريم ورفعة مكانته ومنزلته، ومن هذه المواضع :

١ - أخذ الله ﷻ العهد والميثاق من جميع الأنبياء والمرسلين باتباع نبيه ﷺ باعتباره أكرم الخلق عليه سبحانه:

فقد أخذ الله ﷻ الميثاق عليهم فيما لو بُعث رسول الله محمد ﷺ وهم أحياء، فإنه لا يسعهم إلا نصرته ومتابعته، وقد أقرّ الأنبياء بذلك، فأمنوا برسالته، وأقروا ببعثته، وهذه الخصوصية ليست لأحد منهم سواه ﷺ ، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] قال ابن كثير: " قال علي ابن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به وينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه " (١) .

وقال النيسابوري (٢) : " فأخذ الله له ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له، والنصر له ممن خالفه، وأدوا ذلك إلى من آمن منهم وصدقهم " (٣)

(١) تفسير القرآن العظيم - ٦٧ / ٢ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، فقيهاً عالماً مطلعاً، صنف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف أحد مثلها، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف، قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها ، وتوفي بمكة سنة تسع أو عشر وثلاثمائة، رحمه الله تعالى (انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - ٢٠٧ / ٤ ، سير أعلام النبلاء - الذهبي - ٣٠١ / ١) .

(٣) غرائب القرآن ورجائب الفرقان - ٢٧٢ / ١ .

وفي إبراز هذه المكانة روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتني بالبراق ليلة أسري به ملجماً مسرجاً، فاستصعب عليه، فقال له جبرائيل عليه السلام : أيمحمد تفعل هذا، فما ركبك أحد أكرم على الله منه، قال: فارفض عرقاً (١) (٢) .

٢ - تقديم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والفضل على جميع الأنبياء والمرسلين

وقد كان ذلك في مواضع كثيرة وهذا يدل على شرفه وفضله صلى الله عليه وسلم :

أ (أما الذكر : قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [الأحزاب: ٧]

قال ابن كثير في تفسير الآية: " فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه، ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم " (٣) .

ب (وأما الفضل : فقد جمع الله تبارك وتعالى له الأنبياء والمرسلين، وصلى بهم إماماً في بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج تأكيداً لشرفه وفضله عليهم، أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي الْحَجْرِ وَقُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُتْبِئْهَا، فَكُرِيتُ كُرْبَةً مَا كُرِيتُ مِثْلَهُ قَطُّ)، قَالَ: (فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعَدَ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَعَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةَ بَنُ مَسْعُودٍ النَّقْفِيِّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشَبَّهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكُ صَاحِبِ النَّارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتْتُ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ) (٤) .

(١) فارفض عرقاً: أي جرى عرقه وسال ، ثم سكن وانقاد وترك الاستصعاب (انظر: تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي - ٨ / ٤٤٨) .

(٢) سنن الترمذي - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ٥ / ٣٠١ - رقم ٣١٣١ - حكم عليه الألباني في نفس الكتاب بأنه صحيح الإسناد .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ٦ / ٣٨٢ .

(٤) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب ذكر المسيح ابن مريم ، والمسيح الدجال - ١ / ١٥٦ - رقم ١٧٢ .

٣- صلاة الله ﷻ وملائكته عليه ﷺ :

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ... ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وصلاة الله تبارك وتعالى على عبده هو الثناء عليه في الملائكة الأعلى، ذكر ابن كثير نقلاً عن البخاري: " قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء " (١) ، ثم أمر أهل الأرض بأن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً، ليكتمل الثناء عليه عند أهل السماء وأهل الأرض كما قال تعالى: ﴿... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

قال القرطبي: " هذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ حياته وموته، وذكر منزلته منه وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء أو في أمر زوجاته ونحو ذلك " (٢)

٤ - تزكية الله ﷻ لنبيه ﷺ وتطهيره في بعضه وفي كله على حد سواء : أما بعضه :

- أ) فقد زكاه في بصره فقال عز وجل: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧] .
ب) وزكاه في صدقه وطهارة فؤاده فقال: ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١] .
ت) وزكاه في علمه ومعلمه فقال: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم: ٥] .
ث) وزكاه في نطقه فقال: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم: ٣] .
ج) وزكاه في حلمه فقال: ﴿... بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .
ح) وزكاه في عقله وقلبه فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢] .

ومن المعلوم أنّ الأمراض التي من الممكن أن تصيب القلوب هي مرض الجهل والغي فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى، والغي مرض شفاؤه الرشد، وقد نزه الله سبحانه نبيه عن هذين الداءين فقال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢] ووصف رسوله ﷺ خلفاءه بضدهما فقال: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي.. (٣) فقد أقسم الله ﷻ تعالى بالنجوم إذا غابت، ما حاد محمد ﷺ عن طريق الهداية والحق، وما خرج عن الرشد، بل هو في غاية

(١) تفسير القرآن العظيم - ٤٥٧ / ٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - ٢٣٢ / ١٤ .

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان - ابن القيم - ١٦-١٥ / ١ .

الاستقامة والاعتدال والسداد، وليس نُطْقُهُ صادراً عن هوى نفسه، ما القرآن وما السنة إلا وحي من الله ﷺ إلى نبيه محمد ﷺ (١)

وأما كله :

فنرى أن الله تبارك وتعالى قد زكاه كله فقال: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] (٢).

قال العز بن عبد السلام: " واستعظام العظام للشيء يدل على إيغاله في العظمة، فما الظن باستعظام أعظم العظام " (٣).

٥- شرح الله ﷻ لنبيه ﷺ صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وغفر له ذنبه، وأتم عليه النعمة، وهده صراطاً مستقيماً، مما يدل دلالة واضحة على علو المنزلة التي حظي بها النبي ﷺ عند ربه ﷻ ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح ١-٤].

وقال سبحانه : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢] قوله ﷻ (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ مذكوره آلاءه عنده وإحسانه إليه حاضاً له بذلك على شكره على ما أنعم عليه، ليستوجب بذلك المزيد منه { ألم نشرح لك } يا محمد للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق { صدرك } فنلين لك قلبك ونجعله وعاء للحكمة " (٤) ، وقوله ﷻ (وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ) قال القرطبي: " أي : حططنا عنك ذنبك ، وقرأ أنس (وحللتنا وحططنا) ، قرأ ابن مسعود : (وحللتنا عنك وقرتك) هذه الآية مثل قوله تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢] قيل : الجميع كان قبل النبوة " (٥).

والوزر: الذنب أي وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية؛ لأنه كان النبي ﷺ في كثير من مذاهب قومه وإن لم يكن عبداً صنماً ولا وثناً .

(١) انظر: التفسير الميسر - نخبة من أساتذة التفسير - ١ / ٥٢٦ ، تفسير المراعي - ٢٧ / ٤٥

(٢) انظر: القول المبين في بيان منزلة رسول رب العالمين - خليل الأثري - ص ٧٩ .

(٣) منية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ - ص ٣١ .

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢٤ / ٤٩٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن - ٢٠ / ١٠٥ (بتصرف) .

وقوله (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) ذكر صاحب الصحيح المسبور عن قتادة رضي الله عنه قال : " رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب، ولا مُتَشَهِّد، ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها، أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله " (١) .

٦ - توفير الله ﷻ للنبي ﷺ في نداءه بأعز أوصافه وأفضل كمالاته :

إن الناظر في القرآن الكريم يرى أنه ما من نبي ولا رسول إلا ناداه الله باسمه المجرى إلا النبي محمد ﷺ فقال سبحانه في خطابه للأنبياء :

أ - آدم عليه السلام : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٣٥] .

ب - نوح عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٦] .

ت - إبراهيم عليه السلام : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ [هود : ٧٦]

ث - موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

ج - عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

ح - يحيى عليه السلام : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم : ١٢]

إلا النبي محمد ﷺ فإنه لما أراد مناداته ومخاطبته قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] ، وقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] ، أو ناداه وخاطبه بصفته كقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر : ١] ، أو ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ ﴾ [المرسل : ١] (٢) .

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - أ.د. حكمت ياسين - ٦٤٧ / ٤ .

(٢) انظر: القول المبين في بيان منزلة رسول رب العالمين - خليل الأثري - ص ٢٩ ، خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء - الصادق بن إبراهيم - ص ٢٤ .

كما أننا لو نظرنا في كتاب الله ﷺ لرأينا أن الله تبارك وتعالى إذا أراد ذكر النبي محمد ﷺ ، فإنه يذكره بأحب الأوصاف إلى نفسه ﷺ ، وهي لفظة (عَبْدٌ) ، وهي غاية ما يتمنى أن يصل إليه الإنسان أن يكون عبداً لله وحده لا عبداً لغيره ، عبودية تامة مبنية على الطاعة والانقياد :

أ - قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣] .

ب - وقال سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١] .

ت - وقال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١]

ث - وقال سبحانه: ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠] .

ج - وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩] .

ولهذا كان النبي ﷺ يحب أن يُوصَفَ نفسه بهذا الوصف ، مقترناً بوصف الرسالة التي شرفه الله ﷺ بها (عبد الله ورسوله) مبالغة منه ﷺ في إظهار عبوديته وتواضعه وافتقاره لربه تبارك وتعالى (١) ، فقد روي عن أبي هريرة ؓ أنه قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ حُنيئاً ، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: (هذا من أهل النار) ، فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً، فأصابته جراحة، فقيل : يا رسول الله الرجل الذي قلت له أنفاً (إنه من أهل النار) ، فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً وقد مات ، فقال النبي ﷺ : (إلى النار) ؛ فكاد بعض المسلمين أن يرتاب ، فبينما هم على ذلك؛ إذ قيل: إنه لم يمت، ولكن به جراحاً شديداً، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال ﷺ : (الله أكبر، أشهد أنني عبد الله ورسوله) ثم أمر بلالاً فنادى في الناس (إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) (٢) .

قال الإمام ابن حجر: " وفي الحديث إخباره ﷺ بالمغيبات ، وذلك من معجزاته الظاهرة، وفيه جواز إعلام الرجل الصالح بفضيلة تكون فيه ، والجهر بها تنبيه المنادى بذلك " (٣)

(١) انظر : القول المبين في بيان منزلة رسول رب العالمين - خليل الأثري - ص ٣٣ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه - ١ / ١٠٥ - رقم ١١١ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٤٧٤/٧ .

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
(لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله)^(١)
وأما الآيات التي ورد فيها اسم (محمد) فقد جاءت من باب الإخبار، وكذلك جاءت مقترنة بوصف
الرسالة :

أ) قال تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤]
ب) وقال ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾
[الأحزاب : ٤٠] .

ت) وقال ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... ﴾ [الفتح : ٢٩] .
ذكر العز بن عبد السلام : وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره صلى الله عليه وسلم ، بل إن كلاً منهم تُودي بإسمه ^(٢) .

كما أنه لا يخفى على أحد أن السيد إذا دعى أحد عبده بأفضل ما وجد فيه من الأوصاف والأخلاق، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام لا يُشعرُ بوصف من الأوصاف ، ولا بخلق من الأخلاق ، فإن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف ، أعز عليه ، وأقرب إليه ممن دعاه بإسمه العلم ، وهذا معلوم بالعرف أن من دعي بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه ^(٣) .

٧ - تكريم الله صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم وتمجيد رسالته صلى الله عليه وسلم :

إن المتأمل في كتاب الله العزيز يرى أن الله صلى الله عليه وسلم يخبر أنه ما من قوم إلا وأرسل إليهم رسولاً كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]
وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ... ﴾ [النحل: ٣٦] ، ولكنه سبحانه لم يُقسم على رسالة أحدٍ منهم على كثرتهم إلا على رسالة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي ذلك دلائل واضحة على تعظيمه وتمجيده ، فقال تعالى :

(١) صحيح البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم:

[١٦] - ٤ / ١٦٧ - رقم ٣٤٤٥ .

(٢) انظر: منية السؤل في تفضيل الرسول - ص ٢١ .

(٣) انظر: حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة - محمد التميمي - ٢ / ٤٠٢ .

﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ [يس ١-٥].

ذكر الإمام القرطبي : قَسَمَ أَقْسَمَ اللهُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِالْفِي عَامٍ قَالَ يَا مُحَمَّدُ: (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) ثُمَّ قَالَ: (وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ) فَإِنَّ قُدْرَ أَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ ، وَصَحَّ فِيهِ أَنَّهُ قَسَمَ؛ كَانَ فِيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ مَا تَقَدَّمَ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى النِّدَاءِ فَقَدْ جَاءَ قَسَمَ آخِرَ بَعْدِهِ لِتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَالشَّهَادَةِ بِهَدَايَتِهِ، حَيْثُ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَى بِاسْمِهِ وَكُتَابِهِ أَنَّهُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَعَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيْمَانِهِ؛ أَيِ طَرِيقٍ لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا عُدُولَ عَنِ الْحَقِّ، قَالَ النِّقَاشُ: لَمْ يَقْسِمِ اللهُ تَعَالَى لِأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِي كُتَابِهِ إِلَّا لَهُ، وَفِيهِ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَمْجِيدِهِ عَلَى تَأْوِيلٍ مِنْ قَالَ إِنَّهُ يَا سَيِّدَ مَا فِيهِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ : (أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ) انْتَهَى كَلَامُهُ، وَحَكَى الْقَشِيرِيُّ (١) : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (٢) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَتْ كِفَارُ قَرِيشٍ لَسْتُ مَرْسَلًا وَمَا أَرْسَلَكِ اللهُ إِلَيْنَا؛ فَأَقْسَمَ اللهُ بِالْقُرْآنِ الْمُحْكَمِ أَنَّ مُحَمَّدًا مِنَ الْمُرْسَلِينَ (الْحَكِيمِ) الْمُحْكَمِ حَتَّى لَا يَتَعَرَّضَ لِبَطْلَانٍ وَتِنَاقُضٍ؛ كَمَا قَالَ: (أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ) [هود: ١] ، وَكَذَلِكَ أَحْكَمَ فِي نِظْمِهِ وَمَعَانِيهِ فَلَا يَلْحَقُهُ خَلَلٌ، وَقَدْ يَكُونُ (الْحَكِيمِ) فِي حَقِّ اللهِ بِمَعْنَى الْمُحْكَمِ بِكَسْرِ الْكَافِ كَالْأَلِيمِ بِمَعْنَى الْمُؤَلِّمِ (عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أَيِ دِينِ مُسْتَقِيمٍ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، وَقَالَ الزَّجَاجُ: عَلَى طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ تَقْدَمُوكَ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى

(١) الإمام الزاهد القدوة الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسر، ولد سنة خمس وسبعين وثلاث مائة، كان شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً بالدين، لازم إمام الحرمين ودرس عليه المذهب والخلاف وبرع في ذلك وجزأ أقرانه وقرأ الأدب ونظم، قال القاضي ابن خلكان: كان أبو القاسم علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول، والأدب والشعر والكتابة، صنف التفسير الكبير وهو من أجود التفاسير، وحج مع الإمام أبي محمد الجويني، والحافظ أبي بكر البيهقي، وكانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها، (انظر: سير أعلام النبلاء - الذهبي - ١٣ / ٣٩٥ ، الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي - ١٨ / ٢٠٠) .

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو العباس الهاشمي رضي الله عنهما، ابن عم رسول الله ﷺ ، وحبر الأمة، وترجمان القرآن، روى عن النبي ﷺ ، وكان يسمى البحر، لسعة علمه، ولد والنبي ﷺ ، وأهل بيته بالشعب من مكة، فأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَحَنَكَهُ بِرِيقِهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ ، دَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ عِلْمَهُ التَّأْوِيلَ، وَفَقْهَهُ فِي الدِّينِ) ، قَالَ عُيَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْتَةَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ فَاتَ النَّاسَ بِخِصَالٍ: بَعْلَمَ مَا سَبَقَهُ وَفَقَهُ فِيمَا احْتِجَّ إِلَيْهِ مِنْ رَأْيِهِ، وَحَلَّمَ، وَنَسَبَ، وَنَاطَلَ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَعْلَمَ بِمَا سَبَقَهُ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ، وَلَا بِقَضَاءِ أَبِي بَكْرٍ، وَعَمْرٍ، وَعَثْمَانَ مِنْهُ، وَلَا أَفْقَهُ فِي رَأْيِ مِنْهُ، وَلَا أَعْلَمَ بِشَعْرِ وَلَا عَرَبِيَّةٍ وَلَا بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَلَا بِحِسَابِ وَلَا بِفَرِيضَةِ مَنْهُ، وَلَا أَتَقَبُّ رَأْيًا فِيمَا احْتِجَّ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَلَقَدْ كَانَ يَجْلِسُ يَوْمًا وَلَا يَذْكَرُ فِيهِ إِلَّا الْفَقْهَ، وَيَوْمًا التَّأْوِيلَ، وَيَوْمًا الْمَغَازِي، وَيَوْمًا الشَّعْرَ، وَيَوْمًا أَيَّامَ الْعَرَبِ، وَلَا رَأَيْتُ عَالِمًا قَطُّ جَلَسَ إِلَيْهِ إِلَّا خَضَعَ لَهُ، وَمَا رَأَيْتُ سَائِلًا قَطُّ سَأَلَهُ إِلَّا وَجَدَ عِنْدَهُ عِلْمًا، (انظر: معرفة أسامي أرداد النبي - ابن منده - ص ٢٤، أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير - ٣ / ٢٩١)

استقامة؛ فيكون قوله: (على صراط مستقيم) من صلة المرسلين؛ أي إنك لمن المرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة كقوله تعالى: ﴿... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] الصراط المستقيم: هي الصراط الذي أمر الله به (١) .

وقال الإمام الشنقيطي: " (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) قد بينا أن موجب التوكيد لكونه من المرسلين، هو إنكار الكفار لذلك في قوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) [الرعد- ٤٣] " (٢) .

٨ - خطاب الله ﷻ لنبيه ﷺ مورد الملاطفة والمبرة (٣) :

قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] والمقصود بتفسيرها: " {عفا الله} أي ذو الجلال والإكرام {عنك} وهذا كما كانت عادة العرب في مخاطبتهم لأكابريهم بأن يقولوا: أصلح الله الأمير، والملك، ونحو ذلك؛ ولما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم ونحوه، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك: {لم أذنت لهم} أي في التخلف عنك، تمسكاً بما تقدم من الأمر باللين لهم والصفح عنهم، موافقاً لما جُبلت عليه من محبة الرِّفق، وهذا إنما كان في أول الأمر لخوف التنازع والفتنة " (٤) .

ذكر السمرقندي: " عن أبي سعيد الفاريابي أنه قال: معناه عَفَا اللَّهُ عَنْكَ يَا سَلِيمَ الْقَلْبِ لَمْ أَذْنَتْ لَهُمْ ... قال عون بن عبد الله : أخبره بالعمق قبل أن يخبره بالذنب .. " (٥) ، وذكر القاضي عياض: "قال بعض المتكلمين: عاتب الله الأنبياء صلوات الله عليهم بعد الزَّلَّات، وعاتب نبينا ﷺ قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء ومحافضة لشرائط المحبة؛ وهذه غاية العناية " (٦) .

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن - ٦ / ١٥ (بتصرف) .

(٢) أضواء البيان - ٦ / ٢٨٦ .

(٣) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض - ٢٨ / ١ .

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - البقاعي - ٤٨١ / ٨ .

(٥) بحر العلوم - ٦٢ / ٢ ، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم ٦ / ١٨٠٥ .

(٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ٨١ / ١ .

٩- مخاطبة الله ﷻ لنبيه ﷺ خطاب الشفقة والإكرام :

قال تعالى: ﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ [طه: ١-٢]

ذكر الطبري: " عن قتادة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) لا والله ما جعله الله شقياً، ولكن جعله رحمة ونوراً، ودليلاً إلى الجنة " (١) .

وقال الماوردي في تفسير الآية: " فيه ثلاثة أوجه: أحدها: بالتعب والسهرة في قيام الليل، قاله مجاهد، الثاني: أنه جواب للمشركين لما قالوا: إنه بالقرآن شقي، قاله الحسن، الثالث: معناه لا تشق بالحزن والأسف على كُفر قومك " (٢)

١٠ - قسم الله ﷻ بحياته ﷺ دون غيره من البشر :

وفي ذلك شرف عظيم، وتمجيد كبير، يدلان على عظيم المنزلة التي خصه الله تبارك وتعالى بها، دون سائر البشر عامة، والأنبياء خاصة، كما قال تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢]

قال الإمام ابن كثير في تفسيره: " ولهذا قال تعالى لمحمد ﷺ : {لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهُون} أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم، ومقام رفيع، وجاء عريض، قال عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ؓ أنه قال: ما خلق الله، وما ذراً، وما برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ ، وما سمعت الله ﷻ أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: {لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهُون} يقول: وحياتك وعمرك ويقاؤك في الدنيا {إنهم لفي سكرتهم يعمهُون} رواه ابن جرير " (٣)

وقال الطبري: " وقوله (لَعَمْرُكَ) يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ : وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش (لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون " (٤) .

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٨ / ٢٦٩ .

(٢) النكت والعيون - ٣ / ٣٩٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ٤ / ٥٤٢ ، وانظر: جامع البيان في تفسير آي القرآن - الطبري - ١٧ / ١١٨ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد - الواحدي - ٣ / ٤٩ .

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٧ / ١١٨ .

وقال القاسمي^(١): "لَعَمْرُكَ: قسم بحياة النبي ﷺ اعترض به تعباً من شدة غفلتهم، وتكريماً للمخاطب إِنْهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ أَي غفلتهم التي ذهبت معها أحلامهم يَعْمَهُونَ أَي يترددون، فلا يفهمون ما يقال لهم، ولَمَّا لم يسمعوا منه النصيحة المبقية لهم، أسمعهم الله الصيحة المهلكة لهم..."^(٢) ، وذكر العز بن عبد السلام: وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره^(٣) .

١١ - حراسة السماء بمبعث النبي ﷺ :

وذلك يدل على علو منزلته وفضله وشرفه ﷺ ، وهذا الأمر لم يكن موجوداً قبل بعثته، قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ ، وأنزل عليه القرآن، وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرساً شديداً وحُقَّتْ من سائر أرجائها، وطُردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئاً من القرآن، فيلقوه على السنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط، ولا يُدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قالت الجن: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاَهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا *﴾. [الجن ٨-٩].

وقال تبارك وتعالى في هذا الشأن: ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ *﴾. [الصفافات ٦-١٠].

قال ابن كثير: " أي من يروم أن يسترق السمع؛ يجد له شهاباً مرصداً له، لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يحرقه اليوم ويهلكه " ^(٤) ، وقال القرطبي: " قوله تعالى: (وأنا لمسنا السماء) هذا من قول الجن؛ أي طلبنا خبرها كما جرت عادتنا (فوجدناها) قد (ملئت حرساً شديداً) أي حفظة، يعني الملائكة " ^(٥) ، فحفظ الله ﷻ كتابه ورحم عباده حتى لا يلتبس الحق عليهم بمبعثه ﷺ ^(٦) .

(١) جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، ومتضلعا في فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد (انظر: الأعلام - الزركلي - ١٣٥ / ٢) .

(٢) محاسن التأويل - ٣٣٩ / ٦ .

(٣) انظر: منية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ - ص ٢٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٢٤٠ / ٨ (بتصرف) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن - ١١ / ١٩ .

(٦) انظر: صحيح السيرة النبوية - الألباني - ص ١٠٠ ، خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء - الصادق الصادق بن إبراهيم - ص ٢٥ ، هداية القرآن للتي هي أقوم - علي الشحود - ص ٢٩٦ .

١٢ - عصمة الله ﷺ للنبي ﷺ من القتل دون أمته :

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧]

ذكر القرطبي: قيل معناه أظهر التبليغ؛ لأنه كان في أول الإسلام يخفيه خوفاً من المشركين، ثم أمر الله ﷺ بإظهاره في هذه الآية، وأعلمه سبحانه أنه يعصمه من الناس (١) ، وقال ابن كثير: " أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك " (٢)

١٣ - وجوب محبة النبي ﷺ ، وتقديمها على محبة النفس والأهل والمال والولد :

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]

قال القرطبي: " وفي الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله ، ولا خلاف في ذلك بين الأمة، وأن ذلك مقدم على كل محبوب " (٣) ، وروي عن أنس بن مالك ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) (٤) ، قال ابن حجر في تعليقه على ترجمة الباب: (باب حب الرسول ﷺ من الإيمان) قال: " اللام فيه للعهد ، والمراد سيدنا رسول الله ﷺ بقرينة قوله: (حتى أكون أحب) ، وإن كانت محبة جميع الرسل من الإيمان، لكن الأحبية مختصة بسيدنا رسول الله ﷺ " (٥)

(١) الجامع لأحكام القرآن - ٦ / ٢٤٢ (بتصرف يسير) .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ٣ / ١٥٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - ٨ / ٩٥ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب حب الرسول ﷺ من الإيمان - ١ / ١٢ - رقم ١٥ .

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ١ / ٥٨ .

١٤ - جعل الله ﷺ الذل والصغار على كل من خالف أمر النبي ﷺ ، ورضي بدين غير دينه ، واختار لنفسه منهجاً غير منهجه :

قال تعالى: ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] قال القرطبي في تفسيره: " احتج الفقهاء بهذه الآية على أن الأمر على الوجوب... والفتنة هنا القتل، قاله ابن عباس، وقال عطاء: الزلازل والأهوال، وقال جعفر بن محمد: سلطان جائر يسלט عليهم، وقيل: الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول " (١) .
وقال ابن أبي زمنين (٢) : " {أن تصيبهم فتنة} بلية {أو يصيبهم عذاب أليم} أن يستخرج الله ما في قلوبهم من النفاق حتى يظهره شركاً؛ فيصيبهم بذلك القتل " (٣)

١٥ - نهى الله ﷺ المؤمنين عن مناداة النبي ﷺ باسمه تشريفاً له ورفعاً لمنزلته :

لقد أدب الله ﷺ عباده المؤمنين في مخاطبة نبيه ﷺ ، والكلام معه تشريفاً وتعظيماً وتقديراً له، فأمرهم أن لا يخاطبوه باسمه بل يخاطبوه: يا رسول الله، يا نبي الله، وإذا كان الله تبارك وتعالى خاطبه في كتابه العزيز بالنبوة والرسالة، ولم يناده باسمه أو نسبه، زيادة في التشريف والتكريم، فمن باب أولى وأحرى أهل الإيمان، وهذا الأمر على عكس ما كانت عليه الأمم السابقة مع أنبيائهم (٤) ، قال الله ﷻ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

قال الطبري: " اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: نهى الله ﷻ بهذه الآية المؤمنين أن يتعرضوا لدعاء الرسول عليهم، وقال لهم: اتقوا دعاءه عليكم، بأن تفعلوا ما يسخطه، فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا، فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس، فإن دعاءه موجبة... وقال آخرون: بل ذلك نهى من الله ﷻ أن يدعوا رسول الله ﷻ بغلظ وجفاء، وأمر لهم أن يدعوه بلين وتواضع" (٥) حيث روي عن مجاهد قال في تفسيرها: " أَمْرُهُمْ أَنْ يَقُولُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي لِينٍ

(١) الجامع لأحكام القرآن - ١٢ / ٣٢٢ .

(٢) أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الأندلسي ، شيخ قرطبة ، الإمام القدوة الزاهد، كان من حملة الحجة، تفنن، واستبحر من العلم، ولد في أول سنة أربع وعشرين وثلاث مائة، وتوفي في ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (انظر: سير أعلام النبلاء - الذهبي - ١٣ / ١١) .

(٣) تفسير القرآن العزيز - ابن أبي زمنين - ٣ / ٢٥١ .

(٤) انظر: الخصائص الكبرى - السيوطي - ٢ / ٣٢٤ ، التفسير المنير - الزحيلي - ١٨ / ٣١٥ .

(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٩ / ٢٣٠ .

وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد في تجهم " (١) ، وقال صاحب الظلال في تفسير الآية معنى رائعاً: " فلا بد من امتلاء القلوب بالتوقير لرسول الله ﷺ حتى تستشعر توقير كل كلمة منه، وكل توجيه، وهي لفظة ضرورية، فلا بد للمربي من وقار، ولا بد للقائد من هيبة، وفَرْق بين أن يكون هو متواضعاً هيئاً لئناً، وأن ينسوا هم أنه مربيهم فيدعوه دعاء بعضهم لبعض ... يجب أن تبقى للمربي منزلة في نفوس من يُربِّيهم يرتفع بها عليهم في قرارة شعورهم، ويستحيون هم أن يتجاوزوا معها حدود التبجيل والتوقير " (٢) .

وهذا الأمر بخلاف ما خاطبت به الأمم السابقة أنبياءها، حيث قال أبو نعيم الأصبهاني (٣): "فخصه الله تعالى بهذه الفضيلة من بين رسله وأنبيائه وأخبر سبحانه عن سائر الأمم أنهم كانوا يخاطبون رسلهم وأنبياءهم بأسمائهم كقول قوم موسى له: ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ، وقول قوم عيسى له: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢] ، وقول قوم هود له: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣] " (٤) .

١٦ - نهى الله ﷻ المؤمنين عن رفع أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ :

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٢-٤] .

ذكر الواحدي في تفسيره: " نزلت في ثابت ابن قيس بن شماس، وكان جهوري الصوت، وربما كان يُكلم رسول الله ﷺ فينادي بصوته، فأمره بغض الصوت عند مخاطبته " (٥) ، وقال القرطبي: "معنى "معنى الآيات الأمر بتعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره، وخفض الصوت بحضرته، وعند مخاطبته، أي

(١) تفسير مجاهد - ص ٤٩٥ .

(٢) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٤ / ٢٥٣٥ .

(٣) الحافظ الكبير أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، له تصانيف مشهورة مثل: معرفة الصحابة، وتاريخ أصبهان، ودلائل النبوة، توفي سنة ٤٣٦ هـ (انظر: تذكرة الحفاظ - الذهبي - ٣/ ١٠٩٢) .

(٤) دلائل النبوة - ص ٤٢ .

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ص ١٠١٥ .

إذا نطق ونطقتم فعليكم ألا تَبْلُغُوا بأصواتكم وراء الحد الذي يبلغه صوته، وأن تَعْضُوا منها بحيث يكون كلامه غالباً لكلامكم، وجهره باهراً لجهركم؛ حتى تكون مزيتة عليكم لائحة وسابقتها واضحة^(١).

١٧ - أعطى الله ﷺ نبيه ﷺ أموراً لم تعطَ لغيره ، وأحلَّ له أشياء لم تحل لسواه :

وهذا دليل على شرفه وفضله عليهم ﷺ ، حيث قال : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ : أُعْطِيتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنَصِرْتُ بِالرَّعْبِ ، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخَتَمَ بِي النَّبِيُّونَ) ^(٢) ، كما خصَّه سبحانه بأن قذف في قلوب أعدائه الرعب والخوف منه، حتى لو كانوا على مسافة بعيدة منه، ولم يحصل هذا لأحد قبله، فقد جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ ، وَأَحَلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحَلِّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً) ^(٣) كما منع الله ﷺ الدجال من دخول مدينته؛ فلا يدخلها تكريماً وتشريفاً له، فقد روى أبو بكره ﷺ ، عن النبي ﷺ قال: (لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعبُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ) ^(٤).

١٨ - عناية الله التكريمية للنبي ﷺ بأن جعل مدينة النبي ﷺ حرماً كمكة، تكريماً وتشريفاً له، فقد جاء في الصحيحين أحاديث كثيرة ما يثبت هذا الأمر ويؤكد حقيقته منها: قال أنس بن مالك ﷺ : خرجت مع رسول الله ﷺ إلى خيبر أخدمه، فلما قدم النبي ﷺ راجعاً وبدا له أحد، قال: (هذا جبل يحبنا ونحبه) ، ثم أشار بيده إلى المدينة قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا ^(٥) بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدْهَمِ وَصَاعِهِمْ) ^(٦) .

١٩ - منَّة الله ﷺ على النبي ﷺ بجعل مسجده ﷺ من المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها؛ كما جعل الصلاة فيه تعدل ألف صلاة تكريماً وتشريفاً له، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ

(١) الجامع لأحكام القرآن - ٣٠٧ / ١٦ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً - ٦٤ / ٢ - رقم ١١٠٣ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب التيمم - ٧٤ / ١ - رقم ٣٣٥ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب فضائل المدينة - باب لا يدخل الدجال المدينة - ٢٢ / ٣ - رقم ١٨٧٩ .

(٥) اللآبة: هي الأرض التي قد ألبستها حجارة سود (انظر: تهذيب اللغة - الهروي - ٢٧٥ / ١٥) .

(٦) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب من غزا بصبي للخدمة - ٣٦ / ٤ - رقم ٢٨٩٣ .

ومسجد الأقصى^(١) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)^(٢) ، كما منَّ عليه سبحانه بأن جعل ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ)^(٣) ، قال ابن حجر في قوله صلى الله عليه وسلم: (روضة من رياض الجنة) : " أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة والسعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر ..."^(٤).

٢٠ - عناية الله التكرمية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن أزواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره أبداً: إن الزواج بنساء النبي صلى الله عليه وسلم من جملة ما يؤذيه، لأنهن أمهات المؤمنين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم له مقام التعظيم، والرفعة، والإكرام، وقد حرّم على الأمة أن يؤذوه بما هو مباح أن يعامل به بعضهم بعضاً تمييزاً له صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، قال البيضاوي : " إنَّ ذلكمَّ يعني إيذاءه ونكاح نسائه، كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ذَنْبًا عَظِيمًا، وفيه تعظيم من الله صلى الله عليه وسلم لإيذائه وإيجاب لحرمة حياً وميتاً ولذلك بالغ في الوعيد "^(٥) .

قال ابن كثير: " ولهذا أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه أنه يحرم على غيره تزويجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين .. وقد عظم الله تبارك وتعالى ذلك، وشدد فيه وتوعد عليه بقوله: (إن ذلكم كان عند الله عظيماً) "^(٦) .

(١) صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - ٦٠ / ٢ - رقم ١١٨٩ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة - ١٢٤ / ٤ - رقم ٣٣٥٣ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب فضل ما بين القبر والمنبر - ٦١ / ٢ - رقم ١١٩٥ .

(٤) فتح الباري - ١٠٠ / ٤ .

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ٢٣٧ / ٤ .

(٦) تفسير القرآن العظيم - ٤٥٦ / ٦ .

المطلب الثاني

عناية الله ﷻ برسالة النبي ﷺ

يقصد الباحث بالعناية برسالة النبي: هي الأمور التي اعتنى بها الله ﷻ برسوله محمداً ﷺ واختصه بها في رسالته، وأفرده بها عن غيره من الأنبياء، وهي كالتالي:

أولاً: تأييد الله ﷻ لنبيه ﷺ بأعظم معجزة، وأظهر آية، وهو القرآن العظيم:

إن القرآن الكريم هو كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، فقد أعطى الله ﷻ كل الأنبياء والمرسلين الكثير من الآيات والمعجزات التي أيد بها رسالاتهم ودعواتهم، والدالة على صدقهم، إلا أنها بمرور السنين قد اندرست وانمحت ولم يبق منها إلا الخبر عنها، إلا المعجزة التي أيد الله تبارك وتعالى بها محمداً ﷺ وهي (القرآن الكريم) كتاب خالد لا ينضب معينه، ولا تتقضي عجائبه، ولا تنتهي فوائده، الذي سماه الله تبارك وتعالى روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وسماه نوراً لتوقف الهداية التامة عليه (1)، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]

وسماه أيضاً شفاء فقال ﴿... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً...﴾ [فصلت: ٤٤]، ذكر الطبري: " عن قتادة (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) (2) : جملة الله نوراً وبركةً وشفاءً للمؤمنين" (3) وقال الجزائري: " أي هدى من الضلالة، وشفاء من داء الجهل، وما يسببه من أمراض " (4).

ولمّا كان الذين آمنوا هم الذين يأخذون بالقرآن دون غيرهم، فقد خُصوا بالذكر والانتفاع؛ فالقرآن هو معجزة الله تعالى الخالدة، الذي لا يخلق بكثرة الأخذ والإتيان، ولا يبلى بتعاقب الأيام والزمان، لا تنفذ عجائبه، ولا تنتهي أسراره وغرائبه، تولى الله تبارك وتعالى جمعه وقراءته، ووعد بتفصيله وبيانه، وسماه الله تعالى روحاً ونوراً، وجعله لعباده حجة ودستوراً، فمن تمسك به نجى

(1) انظر: القرآن منهاج حياة - غازي آق بيق - ٤٤ / ١ ، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - عدد من المختصين - ٤٦٥ / ١ .

(2) سورة فصلت : الآية (٤٤) .

(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٤٨٣ / ٢١ .

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - ٥٨٤ / ٤ .

وعُصِمَ، ومن نبذه اندحر وقُصِمَ ، وعد الله بحفظه و تكفّل بصيانته ، فلا تمتد إليه يد العابثين ، ولا تسعى إليه يد الطامعين ^(١) ؛ ولقد جاء بيان ذلك في محكم التنزيل حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] " قال العزّ بن عبد السّلام: ومن خصائصه أنّ معجزة كلّ نبّي تصرّمت وانقرضت، ومعجزة سيّد الأوّلين والآخريين وهي القرآن العظيم باقية إلى يوم الدّين " ^(٢) .

وعن قتادة قال في تفسير قوله تعالى (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) قال: " حفظه الله من أن يزيد فيه الشيطان باطلاً أو ينقص منه حقاً " ^(٣) ، وقال السعدي في تفسيره: " أي في حال إنزاله وبعد إنزاله، ففي حال إنزاله حافظون له من استراق كل شيطان رجيم، وبعد إنزاله أودعه الله ﷻ في قلب رسوله، واستودعه فيها، ثم في قلوب أمته، وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين" ^(٤) قال العز بن عبد السلام: "... ومنها حفظ كتابه، فلو اجتمع الأوّلون والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة أو ينقصوا منه لعجزوا عن ذلك، ولا يخفى ما وقع من التّبديل في التّوراة والإنجيل " ^(٥)

وقال سبحانه: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] أي: الكُتُب التي تقدّمت لا تبطله ولا يأتي كتابٌ بعده يبطله ، وقيل إنّه محفوظٌ من أن يُنقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه ^(٦) ، وذكر السمعاني في تفسيره: "أن الباطل هو إبليس عليه اللعنة، ومعناه: أنه لا يأتيه بزيادة ولا نقصان أي: لا سلطان له عليه بوحدة منهما " ^(٧) ، كما ذكر القاسمي في تفسيره: " لا من جهة الحق فيبطله بما هو أبلغ منه وأشدّ إحكاماً في كونه حقاً وصدقاً، ولا من جهة الخلق فيبطلونه بالإلحاد في تأويله، ويغيرونه بالتحريف لكونه ثابتاً في اللوح محفوظاً من جهة الحق سبحانه " ^(٨) .

(١) انظر: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - القسطلاني القتيبي - ٣٤٥ / ٢ .

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - عدد من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله - ١ / ٦٥

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٦٩ / ١٧ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ص ٤٢٩ .

(٥) منية السؤل في تفضيل الرسول ﷺ - ص ٣٤ .

(٦) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الواحدي - ص ٩٥٧ .

(٧) تفسير السمعاني - ٥٥ / ٥ (بتصرف يسير) .

(٨) محاسن التأويل - ٣٤٣ / ٨ .

وقد ورد في السير عن يحيى بن أكثم ^(١) قال: " دخل يهوديَّ على المأمون فتكلّم فأحسن الكلام، فدعاه المأمون إلى الإسلام، فأبى، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، فتكلّم على الفقه فأحسن الكلام، فقال له المأمون: ما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك، فأحببت أن أمتحن هذه الأديان؛ فعمدْتُ إلى التوراة؛ فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة، فاشتريت مني؛ وعمدْتُ إلى الإنجيل؛ فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني؛ وعمدْتُ إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أنّ هذا الكتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي؛ قال يحيى بن أكثم: فحجبت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الحديث، فقال لي: مصداق هذا في كتاب الله تعالى؛ قلت: في أيّ موضع؟ قال: في قوله تعالى في التوراة والإنجيل (يَمَا اسْتُخْفِطُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) ^(٢) فجعل حفظه إليهم؛ فضاغ، وقال وقال سبحانه في القرآن: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) ^(٣)؛ فحفظه الله تعالى علينا فلم يضع" ^(٤).

وقال سبحانه تعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨] أي : قل لئن اتفقت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض معيناً ^(٥) ؛ قال القاسمي: " وفي تقاصر قوى هؤلاء جميعهم عن ذلك، مع طول الزمن، دليل قاطع على أنه ليس ما اعتيد صدوره عن

(١) أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن التميمي ، من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب، ولد في خلافة المهدي، وكان عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، وقال الخطيب في (تاريخ بغداد): كان يحيى بن أكثم سليماً من البدعة، ينتحل مذهب أهل السنة، سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما، تولى قضاء البصرة (سنة ٢٠٢) ثم قضاء القضاة ببغداد (انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ابن خلكان - ١٤٧ / ٦ ، سير أعلام النبلاء - الذهبي - ٤٣٢ / ٩ ، الأعلام - الزركلي - ٨ / ١٣٨ .

(٢) سورة المائدة : الآية (٤٤) .

(٣) سورة الحجر: الآية (٩) .

(٤) أرشيف ملتقى أهل التفسير (هو منتدى حوارى من أفضل المنتديات على شبكة الانترنت ، يضم نخبة طيبة من العلماء ، وطلاب العلم ، ويحرص على الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة) ، الرابط (http://tafsir.net) - رقم ١٢١١١ - تم تحميله في : المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م .

(٥) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - الجزائري - ٢٢٢ / ٣ ، التفسير الواضح - الحجازي - ٣٩٤ / ٢ .

البشر، بل هو كلام عالم الغيب والشهادة " (١) ، وقال الواحدي : " لَمَّا تَحَدَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقُرْآنِ وَعَجَزُوا عَنْ مَعَارَضَتِهِ أَنْزَلَ اللَّهُ : {قُلْ لئنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ} فِي نِظْمِهِ وَبِلَاغَتِهِ {لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} مُعِينًا مِثْلَ مَا يَتَعَاوَنُ الشُّعْرَاءُ عَلَى بَيْتِ شِعْرِ فَيْقِيمُونَهُ " (٢) .

وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على حفظ الله ﷻ لكتابه الكريم وإعجازه وصدق نبيه ﷺ، بأن تحدى الله ﷻ الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله ، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدرُوا عليه .

ثانياً : تكريم الله ﷻ أن جعل رسالة النبي ﷺ للناس كافة :

لقد بعث الله ﷻ نبيه المصطفى ﷺ للعرب والعجم، للإنس والجن، ولم يكن لأحد من الأنبياء هذه الخصيصة ، حيث كان مِمَّن سَبَقَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ يَبْعَثُ لِقَوْمِهِ خَاصَّةً ، بَيْنَمَا بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَنَا مُحَمَّدًا ﷺ لِلنَّاسِ كَافَّةً ، بأن بعثه بدين الإسلام الذي رضيه للعباد ديناً واجب الإتياع بعد أن أتمه وأكمه ، ومن ثم أخبر تبارك وتعالى أنه هو الدين المقبول عنده الذي لا يقبل من أحد ديناً سواه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]

فقد روي أن النبي ﷺ قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : .. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة) (٣) ، وعن أبي هريرة ؓ ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) (٤) .

(١) محاسن التأويل - ٦ / ٥١١ .

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ص ٦٤٧ .

(٣) صحيح البخاري - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ : " جُعِلْتُ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا " - ١ / ٩٥ - رقم

. ٤٣٨

(٤) صحيح مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانِ - بَابُ وَجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام - ١ / ٩٣ - رقم ٣٠٣ .

وقال تعالى: ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ [المائدة: ٣] .

وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ [آل عمران: ١٩] .

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

المعنى : قل أيها الرسول للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعاً، لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرُّسل، مرسلًا إلى بعض الناس دون بعض؛ ولكن دعوتي إليكم جميعاً، فاعبدوا الذي له ملك السموات والأرض وما فيهما، الذي لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له سبحانه، القادر على إيجاد الخلق وإفناؤه وبعثه، فصدّقوا بالله، وأقروا بوحدانيته، وصدّقوا برسوله محمد ﷺ^(١) فبعد أن أشاد سبحانه بالنبي الأمي ﷺ وبأتمته، وقصر الفلاح في الدارين على الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه؛ يُحتمل أن يظن ظاناً أنّ هذا النبي شأنه شأن سائر الأنبياء قبله بأنه نبي قومه خاصة، وما ذُكر من الكمال لا يتعدى قومه، فزُفِعَ هذا الوهم بهذه الآية، حيث أمر الله ﷻ برسوله ﷺ أن يعلن عن عموم رسالته بما لا مجال للشك فيه^(٢) .

قال ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ : { قل يا محمد } يا أيها الناس { وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي {إني رسول الله إليكم جميعاً} }^(٣) أي جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلى الناس كافة ، كما قال الله تعالى : {قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ }^(٤) ، وقال تعالى : {ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده }^(٥) وقال تعالى : {وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ }^(٦) ، والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث

(١) انظر: التفسير الميسر - نخبة من أساتذة التفسير - ١/ ١٧٠ ، جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٣ / ١٧٠ .

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - الجزائري - ٢ / ٢٤٩ .

(٣) سورة الأعراف : الآية (١٥٨) .

(٤) سورة الأنعام : الآية (١٩) .

(٥) سورة هود : الآية (١٧) .

(٦) سورة آل عمران : الآية (٢٠) .

في هذا أكثر من أن تحصر ؛ وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم " (١).

ثالثاً : جعل الله ﷺ رسالة النبي ﷺ ومبعثه رحمةً للعالمين ، وهدايةً للناس أجمعين :

لقد أخبر الله تبارك وتعالى أنه قد بعث نبيه ﷺ رحمةً مهداة للعالمين ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ؛ ولهذا كان ﷺ رؤوفاً رحيماً بأمتة وقومه ، كما قال تبارك وتعالى فيه: ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] ، فكان يُحبُّ إسلامهم ويرجو نجاتهم ، وفي بيان هذه الرحمة قال السمرقندي في تفسيره: " كان رحمةً للمؤمنين، حيث هداهم طريق الجنة، ورحمةً للمنافقين، حيث أمّنوا القتل، ورحمةً للكافرين بتأخير العذاب " (٢) ، وقال أبو نعيم الأصبهاني: " فأمن أعداؤه من العذاب مدة حياته ﷺ فيهم وذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣] فلم يعذبهم مع استعجالهم إيّاه تحقيقاً لما نعت به " (٣) .

وهذا الخلق العظيم تراه يتجلى بأبهى صورته، وأسمى حالاته من خلال النظر في كثير من مواقف حياته ﷺ منها :

١ - كان النبي ﷺ وكما أخبر القرآن شديد الحرص على هداية قومه، وفي نفسه رغبة شديدة أن يهتدوا، وينقذوا أنفسهم من الخيبة والخسران الذي سيلقون أنفسهم فيهما نتيجة إصرارهم وعنادهم وإعراضهم عن دعوة الحق، حتى عاتبه ربه تبارك وتعالى على ذلك بقوله سبحانه: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣] ، وقوله: ﴿ ...فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨] .

قال السعدي في تفسيره: " ولما كان النبي ﷺ حريصاً على هداية الخلق ، ساعياً في ذلك أعظم السعي ، فكان ﷺ يفرح بهداية المهتدين ويحزن ويأسف على المكذّبين الضالّين شفقةً منه ﷺ عليهم ورحمةً بهم ، أرشده الله ﷻ أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء الذين لا يؤمنون بهذا القرآن ، كما قال في الأخرى (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) (٤)

(١) تفسير القرآن العظيم - ٣ / ٤٨٩ .

(٢) بحر العلوم - ٢ / ٤٤٥ .

(٣) دلائل النبوة - ص ٣٩ .

(٤) سورة الشعراء : الآية (٣) .

وقال (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) ، وقوله (فلعلك باخع نفسك) أي : مهلكها غمًا وأسفًا عليهم ، وذلك أن أجرك قد وجب على الله ﷻ ، وهؤلاء لو علم الله فيهم خيراً لهداهم ، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار ، فلذلك خذلهم فلم يهتدوا ، فإشغالك نفسك غمًا وأسفًا عليهم ليس فيه فائدة لك " (١) .

٢ - وتظهر الرحمة أيضاً من خلال رده ﷺ على ملك الجبال عند رجوعه من الطائف وما لاقاه من قسوة رد أهلها عليه ، حيث طلب منه ملك الجبال أن يأذن له في أن يطبق على قومه المعاندين الأخشبين (٢) ، ولكنه ﷺ أرجأهم لغاية يرجوها منهم، ويحبها فيهم، فقد روي في الحديث "أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثت عروة بن الزبير رضي الله عنه ؛ أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، فقال ﷺ : (لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب (٣) ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ؛ فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) (٤) بل تعدت رحمته ﷺ ورأفته حتى بلغت إلى الحيوانات العجماء التي لا تملك من أمرها شيئاً ، وذلك بأن النبي ﷺ رَغَبَ بالإحسان إليها ، كما حذَّرَ من عاقبة الإساءة إليها ، وكثيرة هي الأمثلة على ذلك منها :

-
- (١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ص ٤٧٠ .
(٢) الأخشب: كل جبل خشن غليظ، والمراد بهما الجبلان اللذان بينهما مكة (انظر: الفائق في غريب الحديث - الزمخشري - ١ / ٣٦٩ ، غريب الحديث - ابن الجوزي - ١ / ٢٧٨) .
(٣) اسم موضع ميفات أهل نجد قرب مكة (انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار - عياض اليعصبي - ١ / ٣٩٣ ، النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - ٤ / ٥٤) .
(٤) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين - ٣ / ١٤٢٠ - رقم ١٧٩٥ .

١- عن شداد بن أوس قال : تثنان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) (١) .

٢- روى البخاري عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : (بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ؛ قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال ﷺ : (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ) (٢)

٣- عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فانطلق لحاجته ، فرأينا حُمرةً معها فرخان فأخذنا فرخيهما ، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش ، فجاء النبي ﷺ فقال : (من فجع هذه بولدها ؟ زدوا إليها ولدها) ، ورأى قرية نمل قد حرقناها ، فقال : (من حرق هذه؟) ، قلنا : نحن ، قال ﷺ : (إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار) (٣) .

وأما الأمم الماضية فقد أخبرنا الله ﷻ بما حلَّ بهم من العذاب ، حيث قال تعالى في شأن نوح عليه السلام وقومه: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف:٦٤] ، وقال تعالى في شأن هود عليه السلام وقومه: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٧٢] ، وقال تعالى في شأن صالح عليه السلام وقومه: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف:٧٨ - ٧٩] ، وقال تعالى في شأن لوط عليه السلام وقومه: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٣- ٨٤]

فكان بذا ﷺ هو الرحمة المهداة، والنعمة المسداة للعالمين .

(١) صحيح مسلم - كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان - باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة - ٣ / ١٥٤٨ - رقم ١٩٥٥ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب المساقاة - باب فضل سقي الماء - ٣ / ١١٢ - رقم ٢٣٦٣ .

(٣) سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في قتل الذر - ٤ / ٣٦٨ - رقم ٥٢٦٨ ، حكم عليه الألباني بأنه: صحيح .

رابعاً : ختم الله ﷺ بنبيه المصطفى ﷺ النبوة :

لقد خُتِمَت الرسالات برسالته ﷺ ، وَخُتِمَت الكُتُب السماوية بكتابه، فلا نبي بعده، ولا رسالة بعد رسالته، ولا كتاب بعد كتابه، الذي لا يسع عيسى ﷺ حين ينزل إلى الأرض إلا أن يحكم به حكماً عادلاً ، فَكَمَّلَ اللهُ تبارك وتعالى بنبيه ﷺ بُنْيَانَ النبوة وزَيَّنَهُ وَجَمَّلَهُ .

قال تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] قال ابن كثير: " فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأخرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ، ولا ينعكس " (١) .

وقال سبحانه ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] ، قال مجاهد في قوله تعالى : (مهيمناً عليه) : أي " مؤتمن على الكتب " (٢) ، وقال الطبري " أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك ، يا محمد ، مُصَدِّقًا للكتب قبله ، وشهيداً عليها أنها حق من عند الله ، أميناً عليها ، حافظاً لها " (٣) .

وقد قال ﷺ: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون) (٤)

وقد شبه النبي ﷺ رسالته بين رسالات الأنبياء ، برجل بنى بيتاً على أحسن ما يكون البناء، لكنه ترك منه موضعاً لم يكمله ، فاعتبر رسالته ﷺ خاتم الرسالات التي سيتم بها إتمام بناء الرسالات السماوية على الوجه الأكمل والأفضل؛ حيث قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (٥) .

(١) تفسير القرآن العظيم - ٤٢٨ / ٦ .

(٢) تفسير مجاهد - ص ٣١٠ .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٣٧٧ / ١٠ .

(٤) صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً - ٦٤ / ٢ - رقم ١١٠٣ .

(٥) صحيح البخاري - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ - بَابُ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ - ٤ / ١٨٦ - رقم ٣٥٣٥ .

المطلب الثالث

عناية الله ﷺ التشريعية للنبي ﷺ

يقصد الباحث بالعناية التشريعية: هي الأمور التي اعتنى بها الله ﷻ برسوله محمداً ﷺ ، واختصه بها في شريعته، وأفرده بها عن غيره من الأنبياء؛ والتي تتعلق بجانب الأحكام والتشريع، وإن الخصائص التشريعية التي أكرم الله ﷻ بها هذه الأمة، إنما حصلت لها لمكانة نبيها ﷺ ، ومنزلته عند الله ﷻ ، فكان إكرام الله سبحانه لنبيه محمداً ﷺ إكراماً لأمته، وكان إكرام هذه الأمة من جملة إكرام الله لهذا النبي ﷺ ولعل في قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]

ما يشير إلى هذا المعنى، ومن الخصائص التشريعية التي أكرم الله بها نبيه ﷺ ما يلي :

أولاً : عناية الله ﷻ بنبيه ﷺ أن جعل أزواجه أمهات المؤمنين ، وحرم نكاحهم بعد وفاته :

قال تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦] قال الطبري: " وحُرْمَةُ أَزْوَاجِهِ ﷺ حُرْمَةُ أُمَّهَاتِهِمْ عَلَيْهِمْ؛ في أَنَّهُنَّ يَحْرُمُ عَلَيْهِنَّ نِكَاحَهُنَّ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ، كَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ نِكَاحَ أُمَّهَاتِهِمْ " (١) ، وذكر الشنقيطي أن المراد بالآية الأولى: " أي في الحرمة والاحترام والتوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا يجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع " (٢) .

ثانيها : جعل الله ﷻ شريعة النبي ﷺ وسطاً بين شرائع الأنبياء في جميع أمور دينها :

لقد اختص الله ﷻ نبيه ﷺ فجعل شريعته وسطاً بين الأمم فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وذلك بما هيا لها من أسباب التوسط، حيث بعث إليها خيرة رسله؛ وأنزل إليها أفضل كتبه؛ وأكمل لها من أسباب التوسط والاعتدال ما يجعلها على بصيرة من أن يروج عليها ما راج على الأمم السابقة من الضلالات والانحرافات، فالمسلمون وسط بين الغالين والجافين في دينهم، لم يغلوا كما غلت النصارى الذين جعلوا المسيح ابن الله، ولم يقصروا كما قصرت اليهود الذين قتلوا الأنبياء والرسل؛ فأحكام شريعة محمد ﷺ ليست بالأحكام الشاقة التي يشق فعلها على النفوس، وتمنعها من الاستمرار فيها، والدوام عليها؛ وهي أيضاً ليست بالأحكام

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢٠٩ / ٢٠٩ .

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - ٢٣٢ / ٦ .

الخفيفة التي لا تسمن ولا تغني في شيء؛ بل جاءت أحكام هذه الشريعة وسطاً ، بين هذه وتلك؛ فهي أحكام تُلبّي حاجات الروح والجسد، تتسم بالعدل والوسطية والشمول، وتستجيب لمتطلبات الدنيا والآخرة، وتجمع بين خصوصية الفرد وعمومية المجتمع (١) .

" وقد كَانَ النَّاسُ، قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، فِتْنَيْنِ :

- فِتْنَةٌ مَادِّيَّةٌ: لَا هَمَّ لَهَا إِلَّا تَحْقِيقُ مَا يَتَطَلَّبُهُ الْجَسَدُ وَلَدَائِدُهُ كَالْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ، حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ عَنْهُمْ : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِدَلِكِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤] .

- وَفِتْنَةٌ طَعَتْ عَلَيْهَا النَّزْعَةُ الرُّوحَانِيَّةُ الْخَالِصَةُ، وَسَيَّطَرَتْ عَلَيْهَا فِكْرَةُ تَرْكِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ اللَّذَائِدِ الْجَسَدِيَّةِ كَالنَّصَارَى وَالصَّابِئَةِ وَبَعْضِ طَوَائِفِ الْهِنْدِ .

فَجَاءَ الْإِسْلَامُ لِيَجْعَلَ الْمُسْلِمِينَ وَسَطاً بَيْنَ هَوْلَاءِ وَهَوْلَاءِ، فَقَالَ بِتَحْقِيقِ مَطَالِبِ الْجَسَدِ بِلَا إِسْرَافٍ وَلَا مَبَالِغَةٍ ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى السُّمُوِّ الرُّوحِيِّ ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ جَسَدٌ وَرُوحٌ " (٢) .

وقد جاءت الآيات لتوضح هذه الخصوصية التشريعية لأمة النبي ﷺ منها :

أ - أنه سبحانه لم يجعل على هذه الأمة في تكاليف الشرع حرجاً ومشقة ، ولم يجعل عليها من عنت وشدة ، بل جعل تكاليف هذا الدين قائمة على اليسر والتيسير، وليس على العسر والتعسير قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] ، وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي: وما جعل عليكم ربحم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق؛ لأنه سهل الشريعة بالترخيص ، ولا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه ، بل وسَّع عليكم ، فجعل التوبة من بعض مخرجاً ، والكفارة من بعض، والقصاص من بعض ، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج ، وذلك بأن المؤمن لا يُبتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجاً، بعضها بالتوبة، وبعضها برد المظالم والقصاص ، وبعضها بأنواع الكفارات ، فليس في دين الإسلام ذنب لا يجد العبد سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه (٣) .

(١) انظر : التحرير والتنوير - ابن عاشور - ١٨ / ٢ ، حوار الحضارات (دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة) - فهد السنيدي - ص ١٧٨ .

(٢) أيسر التفاسير - أسعد حومد - ص ١٥٠ .

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٦٨٩ / ١٨ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الواحدي - ص ٧٤٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٤٠٣ / ٥ .

ب - أنه سبحانه قد أحل لهذه الأمة كثيراً مما حرمه على الأمم من قبلهم ؛ فقال سبحانه ﴿ وَيُحِلُّ لَّهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

ذكر الطبري: قال بعضهم: يعني ب (الإصر) العهد والميثاق الذي أخذه الله ﷻ على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة ، واستدل بما روي عن ابن عباس: (ويضع عنهم إصرهم) قال: عهدهم^(١)، وقال الزمخشري: " الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي يحبسه من الحراك لتقله"^(٢) ، والمراد بالآية هنا: ما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة، مثل إيجاب القصاص في القتل مطلقاً، عمداً كان أو خطأ، من غير شرع الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب - والقرض: القطع كما قال القاسم بن سلام- ، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق في اللحم، وتحريم السبب أي تحريم العمل فيه^(٣) .

ج - أنه سبحانه لن يحاسب المكلفين على ما ارتكبه من أخطاء وقعت منهم على سبيل الخطأ والنسيان والإكراه ؛ قال ﷻ : (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَفْعَلُوا بِهِ)^(٤) ، وقال ﷻ أيضاً : (إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَن أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ)^(٥)

كما أنها لم تحاسبهم على ما دار في أنفسهم من سوء فعل أو قول ؛ بل أكثر من ذلك، فإن من نوى فعل سيئة ، لكنه لم يفعلها ، لم يكتبها الله عليه سيئة ، بل كتبها له حسنة ؛ وبالمقابل فإن من نوى منهم فعل حسنة ولم يعملها ، كتبها الله له حسنة ، فإن عملها كتبها له عشر حسنات، والله يضاعف لمن يشاء ، فقد قال ﷻ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى ؛ قال: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أضعافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)^(٦) .

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٦٦ / ١٣ (بتصرف) .

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - ١٦٥ / ٢ .

(٣) انظر: التفسير المنير - الزحيلي - ١١٧ / ٩ ، غريب الحديث - القاسم بن سلام - ١٤٩ / ٤ .

(٤) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تجاوز الله عن حديق النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر - ١١٦ / ١ - رقم ١٢٧ .

(٥) صحيح ابن حبان - باب فضل الأمة - ذكر الإخبار عما وضع الله بفضلته عن هذه الأمة - ٢٠٢ / ١٦ - رقم ٧٢١٩، حكم الألباني في نفس الكتاب بأنه: صحيح .

(٦) صحيح البخاري - كتاب الرقاق - باب مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ - ١٠٣ / ٨ - رقم ٦٤٩١ .

د - عناية الله ﷺ بنبويه ﷺ بأن خصّ شريعته بتخفيف الصلاة المفروضة من خمسين صلاة إلى خمس صلوات فقط في اليوم والليلة ، وقد كانت في الأمم السابقة أكثر من ذلك ، كما يفيد حديث لقاء موسى ﷺ بنبينا محمد ﷺ ، أثناء صعوده إلى السماء ليلة الإسراء ، ولقائه بعدد من الأنبياء ، فقد قال ﷺ راوياً رحلة الإسراء والمعراج : (... فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ ، قَالَ : " فَرَجَعْتُ ... حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُمْ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً) (١) .

ثالثها : تكفل الله ﷻ بحفظ أمة النبي ﷺ من الهلاك والاستئصال :

إن الأمة المحمّديّة ، أمة مصونة مرحومة ، حفظها الله ﷻ وأجارها ، فلا تهلك بالسنين ولا بجوع ولا غرق ، ولا يسلط عليها عدوّاً من غيرها ، فيستبيح بيضتها ويستأصلها ، ولو اجتمع عليها مَنْ بأقطارها وهذا من خصائصها التي انفردت بها على غيرها ، ولم تكن لأمم الأنبياء من قبل ؛ فقد قال رسول الله ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأَعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَةٍ وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ عَامَةٍ وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحَ بَيضَتَهُمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَفْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَفْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا) (٢) (٣) .

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات ، وفرض الصلوات - ١ / ١٤٦ - رقم ١٦٢ .

(٢) زوى: معناه جمّع ، الكنزين الأحمر والأبيض: المراد بالكنزين: الذهب والفضة، والمراد بكنزي كسرا وقيصر: ملكي العراق والشام، فيستبيح بيضتهم: أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً: العز والملك، أن لا أهلكهم بسنة عامة: أي لا أهلكهم بقحط أو شدة تستأصلهم وتهلك جميعهم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة ، بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام (انظر: جمهرة اللغة - أبو بكر الأزدي - ١ / ٢٣٧ ، غريب الحديث - ابن الجوزي - ١ / ٩٧ ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار - عياض السبتي - ٢ / ٨٧) .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الفتن - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض - ٨ / ١٧١ - رقم ٧٣٦١ .

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (لَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيِّفَيْنِ، سَيْفًا مِنْهَا، وَسَيْفًا مِنْ عَدُوِّهَا) (١).

رابعها : أحلّ الله صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم وأمه الغنائم التي يكسبونها حال الجهاد :

لقد كانت الأمم فيمن قبلنا على ضربين فمنهم من لم يُؤذَن له في الجهاد فلم تكن لهم غنائم ، ومنهم من أذن له فيه فكانوا يغزون ويجاهدون ويأخذون أموال أعدائهم وأسلابهم ، لكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها ، وعلامة قبول غزوهم ذلك أن تنزل النار من السماء فتأكلها، وعلامة عدم قبوله أن لا تنزل، ومن أسباب عدم القبول أن يقع فيهم الغلول ، وقد منّ الله تعالى على هذه الأمة ورحمها، وجبرّ عجزها وضعفها لشرف نبيها صلى الله عليه وسلم عنده ، فأحلّ لهم الغنائم وستر عليهم الغلول، فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول (٢) ، فقال الله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨ - ٦٩] أي لولا كتاب من الله صلى الله عليه وسلم سبق به القضاء والقدر بإباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة ، لنالكم عذابٌ عظيمٌ بسبب أخذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنهما تشريع، قوله تعالى : (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ) : المراد بها الغنائم التي وزعت بحكم الله تعالى من الفدية حال كونه حلالاً بإحلاله لكم، طيباً في نفسه، لا خبث فيه مما حرّم لذاته كالدّم ولحم الخنزير، حيث روي أنهم أمسكوا عن الغنائم، ولم يمدّوا أيديهم إليها فنزلت ، وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم ، واتقوا الله في كل أموركم، إن الله عظيم الغفران والرحمة لمن شاء من عباده إذا أتى إلى ربه. (٣) .
وفي هذا المعنى يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (أَعْطِيَتْ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: .. وَأَحْلَيْتُ لِي الْمَغَانِمَ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي ..) (٤) .

(١) سنن أبي داود - كتاب الملاحم - باب ارتفاع الفئنة في الملاحم - ١١٢ / ٤ - رقم ٤٣٠١ ، حكم عليه الألباني في نفس الكتاب بأنه: صحيح .

(٢) انظر : نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - عدد من المختصين - ١ / ٤٨٢ .

(٣) انظر: تفسير المراغي - أحمد بن مصطفى المراغي - ٣٧ / ١٠ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل - النسفي - ١ / ٦٥٧ ، الموسوعة القرآنية - الأبياري - ٩ / ٥٧١ ، فتح البيان في مقاصد القرآن - أبو الطيب الفنّوجي - ٥ / ٢١٦ ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة من علماء الأزهر - ص ٢٥٤ ، زهرة التفاسير - أبو زهرة - ٦ / ٣١٩٦ .

(٤) صحيح البخاري - كتاب التيمم - ١ / ٧٤ - رقم ٣٣٥ .

خامسها : اختص الله ﷺ نبيه ﷺ وأمته بأن جعل الأرض مسجداً وظهرها :

لقد اختص الله تبارك وتعالى هذه الأمة من بين سائر الأمم فجعل لها الأرض مسجداً وظهرها؛ فأياً رجل منها أدركته الصلاة فلم يجد ماء ولا مسجداً فعنده طهوره ومسجده يتيمم ويصلي بخلاف الأمم قبلنا فإن الصلاة أبيحت لهم في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع، فقد روى جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: (أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: .. فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ...) (١) .

سادسها : اختص الله ﷺ النبي ﷺ وأمته بيوم الجمعة :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة:٩] إن يوم الجمعة سيد الأيام، وخير يوم طلعت فيه الشمس، فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً؛ إلا أعطاه ما سأل، وفيه صلاة الجمعة التي أمر الله ﷺ بالسعي إليها في كتابه العزيز، وهذه الخصوصية لم تكن لأحد قبله من الأنبياء قبله ﷺ، كما اختلفت فيه الأمم من قبلنا فهدانا الله ﷺ له، وأضل الناس عنه فهو لنا، وللبيهود السبت، وللنصارى يوم الأحد كما نطقت بذلك الأحاديث النبوية الكثيرة ومنها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بَيِّنَةٌ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ ، فَهَدَانَا اللَّهُ ، فَالْنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا ، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ) (٢) .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ ، وَالسَّبْتَ ، وَالْأَحَدَ ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ) (٣) .

سابعها: عناية الله ﷺ بنبيه ﷺ بأن خصه وأمته، بأن أجر الصلاة في مسجده ﷺ يحسب بأجر ألف صلاة في غيره من المساجد، عدا المسجد الحرام؛ ثبت هذا في عدة أحاديث، منها حديث ابن

(١) صحيح البخاري - كتاب التيمم - ١ / ٧٤ - رقم ٣٣٥ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجمعة - باب فرض الجمعة - ٢ / ٢ - رقم ٨٧٦ .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الجمعة - باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة - ٣ / ٧ - رقم ١٩٣٦ .

عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ) (١) .

وهكذا كانت عناية الله ﷻ بشريعة محمد ﷺ ، تلُكُم الشريعة الباهرة ، والفضائل الظاهرة، والتي لم يكن للخصوم إلا الاعتراف بفضلها ، وفضل من جاء بها، لما بهرهم من أنوار النبوة، وبهتتهم من عظمة نواميس هذه الشريعة الكاملة التي اختارها الله لخيرته من خلقه ولأمته (خير أمة أخرجت للناس) ، وجعلها حُجَّةً باقيةً إلى قيام الساعة، لا يتطرق إليها النسخ، ولا يعترضها التبديل والتغيير الذي وقع في الشرائع قبلها ، فلا تجتمع هذه الأمة على ضلالة ، بل لا تزال فيها طائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، ونسأله سبحانه أن نكون منهم .. (٢) .

(١) صحيح مسلم - كتاب الحج - أبواب الجمعة - باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة - ٤ / ١٢٥ - رقم ٣٣٦٣ .

(٢) انظر: منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب - عبد العزيز آل معمر - ١ / ٣٠٣ .

المبحث الثالث

مظاهر عناية الله بالنبي ﷺ بعد البعث

” يوم القيامة ”

وفيه مطلبين :

المطلب الأول: عناية الله بالنبي ﷺ في ذاته

المطلب الثاني : عناية الله بالنبي ﷺ في أمته

المطلب الأول

عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ في ذاته

أولاً : كرم الله ﷻ للنبي ﷺ وجعله سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة :

عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ) (١)

ذكر الإمام النووي: " قوله ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير ، وقال غيره: هو الذي يفرع إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم ويتحمل عنهم مكارهم ويدفعها عنهم، وأما قوله ﷺ : (يوم القيامة) مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى معاند، بخلاف الدنيا فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله تعالى : (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) (٢) ، مع أن الملك له سبحانه قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك، أو من يُضاف إليه مجازاً، فانقطع كل ذلك في الآخرة" (٣)

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إني لأوّل الناس تنشق الأرض عن جُمُعتي يوم القيامة، ولا فخر، وأعطى لواء الحمد، ولا فخر، وأنا سيّد الناس يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أوّل من يدخل الجنة يوم القيامة، ولا فخر، وإني آتي باب الجنة، فأخذ بحلقتيها، فيقولون: من هذا ؟ فأقول: أنا محمد، فيفتحون لي، فأدخل، فإذا الجبار مستقبلي ، فأسجد له ، فيقول : ارفع رأسك يا محمد، وتكلم يسمع منك...) (٤)

ثانياً : اختص الله ﷻ نبيه ﷺ بأن جعله صاحب المقام المحمود : قال ﷻ لصفيه محمد ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وذلك عندما يشفع ﷻ لأهل الموقف في أن يقضي بينهم ربهم بعد أن يتدافعوا أفضل الرسل عليهم السلام .

(١) صحيح مسلم - كتاب فضائل النبي ﷺ - باب مكانته ﷺ يوم القيامة - ٥٩ / ٧ - رقم ٦٠٠٤ .

(٢) سورة غافر: الآية (١٦) .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ٣٧ / ١٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل - مسند المكثرين من الصحابة - مسند أنس بن مالك ﷺ عنه - ٤٥٣ / ١٩ -

رقم ١٢٤٦٩ ، قال المحقق شعيب الأرنؤوط بأن: إسناده جيد .

قال البغوي في تفسيره: " قوله عز وجل: (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) عسى من الله تعالى واجب، لأنه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه " (١) .

والمقام المحمود هو : مقام الشفاعة لأمته ؛ لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون ، وبذلك قال جمع من الصحابة والتابعين منهم حذيفة وسلمان وأنس وأبو هريرة وابن مسعود وجابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم (٢) ؛ وقد روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدَّنَ ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) (٣)

وأخرج البخاري رحمه الله في تفسير هذه الآية من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه يقول: (إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنًّا) (٤) ، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فَلَانُ اشْفَعْ، يَا فَلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ) (٥) .

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن - ٥ / ١١٧ .

(٢) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل - الخازن - ٣ / ١٤١ ، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - محمد الصديقي - ٦ / ٦٣٠ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٥ / ١١٧ ، نظم المتناثر من الحديث المتواتر - محمد بن جعفر الكتاني - ص ٢٣٥ ، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - نخبة من العلماء - ص ١٧٢ ، الاستنكار - يوسف النمري - ٢ / ٥٢٠ .

(٣) صحيح مسلم - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدَّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ لَهُ الْوَسِيلَةَ - ١ / ٢٨٨ - رقم ٣٨٤ .

(٤) جمع جائز هو الذي يجلس على ركبته (انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر - ١ / ٩٦)

(٥) صحيح البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابُ قَوْلِهِ: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء: ٧٩] - ٦ / ٨٦ - رقم ٤٧١٨ .

ثالثاً : اختصاص الله ﷺ لنبيه ﷺ بنهر الكوثر الذي يصب في حوضه ﷺ :

نهر الكوثر هو نهر في الجنة من شرب منه شربة فإنه لا يظمأ بعدها أبداً ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] ؛ فقد روي عن أنس ﷺ أنه قال : بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَعْفَى إِعْفَاءً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتُ سُورَةِ فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ ؟ فَقُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، آيَاتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَخَذْتِ بَعْدَكَ) (١) ، وعن أنس بن مالك ﷺ أيضاً عن النبي ﷺ قال: (بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافظه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر (٢)) (٣) فحوض النبي ﷺ واسع الأرجاء ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، يأتيه هذا الماء الطيب من نهر الكوثر، الذي أعطاه لرسوله ﷺ في الجنة، ترد عليه أمة المصطفى ﷺ ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً؛ فقد روي عن عبد الله بن عمرو: قال النبي ﷺ : (حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً) (٤).

رابعاً: اختص الله ﷺ لنبيه ﷺ بلواء الحمد : وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامة، ويكون الناس تبعاً له وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره ؛ ذكر هذا بعض أهل العلم وقد دلت السنة على اختصاصه بهذه الفضيلة العظيمة (٥) فقد قال رسول الله ﷺ : (أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوْلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ) (٦)

(١) صحيح مسلم - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ حُجَّةٍ مَنْ قَالَ : الْبِسْمَلَةَ آيَةً مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءةٍ - ١ / ٣٠٠ - رقم ٤٠٠ .

(٢) أذفر: ما يُوصف به الذفر في شدة ريح الطيب (انظر: غريب الحديث - القاسم بن سلام - ٣ / ٢٣٧) .

(٣) صحيح البخاري - كِتَابُ الرِّقَاقِ - بَابُ فِي الْحَوْضِ - ٨ / ١٢٠ - رقم ٦٥٨١ .

(٤) صحيح مسلم - كِتَابُ الْفَضَائِلِ - بَابُ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا ﷺ وَصِفَاتِهِ - ٤ / ١٧٩٣ - رقم ٢٢٩٢ .

(٥) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - نخبة من العلماء - ص ١٧٢ .

(٦) سنن الترمذي - أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ٥ / ٥٨٧ - رقم ٣٦١٥ ، حكم عليه الألباني في نفس الكتاب : بأنه صحيح .

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

ولوأوهم بيد الرَسُول مُحَمَّد *** وَالْكَل تَحْتَ لَوَاءِ ذِي الْفَرْقَانِ (١) .

خامساً : اختص الله ﷺ نبيه ﷺ بأن جعله صاحب الوسيلة والفضيلة :

قال ابن كثير في تفسيره : " (الوسيلة) عَلَّمَ عَلَى أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ مَنْزِلَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَدَارُهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَهِيَ أَقْرَبُ أَمْكِنَةِ الْجَنَّةِ إِلَى الْعَرْشِ " (٢) .
وقال الحافظ ابن حجر : " (الفضيلة) أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى... " (٣) ؛ فمنزلة الوسيلة والفضيلة خاصة برسول الله ﷺ لا يشاركه فيهما غيره؛ وهي درجة عالية في الجنة، لا تكون إلا لعبد واحد، وهي أعلى درجات الجنة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَدَّنَ ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَأَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) (٤) .

سادساً : اختص الله ﷺ نبيه ﷺ بأن جعله أول من يقرع باب الجنة ويستفتحها :

ينتقل النَّاسُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ مِنْ كَرْبٍ إِلَى كَرْبٍ ؛ فَأَهْوَالٌ قَبْلَ فَصْلِ الْقَضَاءِ ، فَشَفَاعَةُ عَظْمَى ، ثُمَّ يَحَاسِبُ النَّاسَ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْصَبُ الْمِيزَانَ ، وَتَنْطَايِرُ الصَّحُفُ ، ثُمَّ يُؤَدَّنُ فِي نَصَبِ الصِّرَاطِ وَالْمُرُورِ عَلَيْهِ ، وَيُوقَفُ بَعْضٌ مِنْ نَجَا عِنْدَ الْقَنْطَرَةِ لِلْمَقَاصِصَةِ بَيْنَهُمْ ، فَإِذَا انْتَهَى ذَلِكَ كُلُّهُ ، يَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ ، وَتَقَرَّبَ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَطْلُبُونَ مِنْ يُكْرَمُ عَلَى مَوْلَاهُ لِيَشْفَعَ لَهُمْ فِي اسْتِفْتَاكِ بَابِ الْجَنَّةِ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَإِبْرَاهِيمَ فَمُوسَى فَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَعْتَذِرُ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ ، فَيَأْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَشْفَعُ لَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .. (٥)

(١) متن القصيدة النونية - ابن القيم الجوزية - ص ٢٢٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ١٠٣ / ٣ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٩٥ / ٢ .

(٤) صحيح مسلم - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَدَّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ لَهُ لِهَ الْوَسِيلَةَ - ٢٨٨ / ١ - رقم ٣٨٤ .

(٥) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر - ٤٣٩ / ١١ ، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - عدد من المختصين - ٤٧٦ / ١ ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - أحمد بن محمد القتيبي - ٣ /

وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ) (١) ،
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : (آتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ
الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أَمْرٌ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ) (٢) .

المطلب الثاني

عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ في أمته

أولاً : اختص الله ﷻ نبيه ﷺ بأن جعله وأمه أول من يجتاز الصراط ويدخل الجنة :

الصراط هو جسر ممدود على متن جهنم؛ أحد من السيف ، وأدق من الشعر ، فمن استقام في هذه الدنيا على الصراط المستقيم ، خف على صراط الآخرة ونجا، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا ، وأثقل ظهره بالأوزار وعصى؛ تعثر على الصراط وتردى ؛ وإن مما أكرم الله ﷻ به هذه الأمة ونبيها ﷺ ، أن جعلهم أول من يجتاز ويعبر الصراط يوم القيامة (٣) ، حيث ورد ذلك في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ منها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: (هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ) (قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ) (قَالُوا: لَا، قَالَ: (... فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانًا حَتَّى يَأْتِينَا رَبَّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبَّنَا عَرَفْنَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا، فَيَدْعُوهُمْ فَيَضْرِبُ الصَّرَاطَ بَيْنَ ظَهْرَانِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرَّسْلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرَّسْلُ، وَكَلَامُ الرَّسْلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ (٤) مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ... (٥)

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب في قول النبي ﷺ : (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا) - ١٨٨ / ١ - رقم ١٩٦ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب في قول النبي ﷺ : (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا) - ١٨٨ / ١ - رقم ١٩٧ .

(٣) انظر: إحياء علوم الدين - الغزالي - ٥٢٤ / ٤ ، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - عدد من المختصين - ٤٩٨ / ١ .

(٤) الكلوب: حديدة، موعجة الرأس، ذات شعب، يُعلّق بها اللحم، والجمع كلاليب (انظر: تاج العروس - محمد الحسيني - ١٦٩ / ٤) .

(٥) صحيح البخاري - كتاب الأذان - باب فضل السجود - ١٦١ / ١ - رقم ٨٠٦ .

ثانياً : جعل الله ﷺ أمة نبيه ﷺ أكثر أهل الجنة :

لقد جعل الله تبارك وتعالى أمته ﷺ أكثر الأمم دخولاً للجنة ؛ فإنه لما كانت هذه الأمة أكثر الأمم استجابة للرسول عليهم السلام ، ولم تُحَرَفْ ولم تُبَدَّلْ ؛ امتازت بأنها أكثر من يدخل الجنة من الأمم، وبذلك كان النبي ﷺ أكثر الأنبياء تابعاً ، وهذا بلا شك أنه من وجوه العظمة والإكرام لرسول الله ﷺ، وفي ذلك أيضاً دلالة جلية على فضل أمته وخيريتها (١) ، فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال النبي ﷺ : (مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٢) ، وقال أيضاً : (عَرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ : مَا هَذَا ؟ أُمَّتِي هَذِهِ ؟ قِيلَ : بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، قِيلَ: انظُرْ إِلَى الْأَفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأَفُقَ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأَفُقَ ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ..) (٣) ، وفي مسلم من حديث أبي هريرة ؓ أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وَجُوهَهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ) ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَقَامَ عَكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنِ الْأَسَدِيِّ يَرْفَعُ نَمْرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ) ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (سَبَقَكَ بِهَا عَكَاشَةُ) (٤) ، وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قُبَّةٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، فَقَالَ: (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟) قُلْنَا: نَعَمْ ، فَقَالَ: (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟)، قُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَدَاكَ أَنْ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسَلِّمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِدِّ النَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِدِّ النَّوْرِ الْأَحْمَرِ) (٥) .

(١) انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ١ / ١٢٩ ، أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب - السيوطي - ص ٥٠ ، الوسطية في القرآن الكريم - د : علي الصلابي - ص ٩٠ .

(٢) صحيح البخاري - كِتَابُ فَصَائِلِ الْقُرْآنِ - بَابُ: كَيْفَ نَزَلَ الْوَحْيُ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ - ٦ / ١٨٢ - رقم ٤٩٨١ .

(٣) صحيح البخاري - كِتَابُ الطَّبِّ - بَابُ مِنْ أَكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ، وَقَضَلِ مَنْ لَمْ يَكْتَوِ - ٧ / ١٢٦ - رقم ٥٧٠٥ .

(٤) صحيح مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانِ - بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَدَابٍ - ١٩٧ / ١ - رقم ٢١٦ .

(٥) صحيح مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانِ - بَابُ كَوْنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ - ١ / ٢٠٠ - رقم ٢٢١ .

ثالثاً : اختص الله ﷺ نبيه ﷺ وأمه بشهادتهم على الأمم يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] أي تكونوا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها، ويكون رسولي محمداً ﷺ شهيداً عليكم، بإيمانكم به وبما جاءكم به من عندي ^(١) ، قال مجاهد في تفسير الآية : " شهداء على الأمم كلها: اليهود والنصارى والمجوس " ^(٢) وقال الشيخ الشعراوي: " فكأن الله ﷻ أخبرنا أنه ستحدث في الكون معركة لن يفصل فيها إلا شهادة هذه الأمة " ^(٣) ، وما هذه المنزلة إلا لمقامها ومزيد كرامتها على الله ﷻ ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (يُجَاءُ بَنُوْحَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتَسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهِدْتُكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} - قَالَ: عَدَلًا - {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣]) ^(٤)

" قال العز بن عبد السلام: نزل الله تعالى أمته منزل العدل من الحكام ، فإن الله تعالى إذا حكم بين العباد فجدت الأمم بتبليغ الرسالة؛ أحضر أمة محمد ﷺ فيشهدون على الناس بأن رسلهم أبلغتهم ، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء " ^(٥) .

رابعاً: عناية الله ﷻ بنبيه ﷺ أن اختص نبيه ﷺ بأن جعل أمته أول أمة يقضى بينهم قبل الخلائق: إن من نعم الله تبارك وتعالى على هذه الأمة أن جعلها الآخرة زماناً، الأولى منزلة وفضلاً ، فهي وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية ، فهي سابقة لهم في الآخرة ، بأنها أول من يحاسب ، وأول من يقضى بينهم يوم القيامة .

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٤٦ / ٣ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - الواحدي - ص ١٣٥ ، تفسير العز بن عبد السلام - ١ / ١٦٨ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور - السيوطي - ١ / ٣٤٩ ، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد - محمد إقليما - ١ / ٤٩ ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم - طنطاوي - ١ / ٢٩٦ .

(٢) تفسير مجاهد - ص ٢١٥ .

(٣) تفسير الشعراوي - الخواطر - ١ / ٦٢٨ .

(٤) صحيح البخاري - كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣] وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِزُورِ الْجَمَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ - ١٠٧ / ٩ - رقم ٧٣٤٩ .

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - عدد من المختصين - ١ / ٤٩٧ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَحَدِيثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبِعَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ) (١) ، وقد روى ابن ماجه في سننه عن ابنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ: أَيَّنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ، وَنَبِيِّهَا؟ فَحُنَّ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ) (٢) .

خامساً : يدخل الله ﷻ من أمة محمد ﷺ سبعون ألفاً في الجنة من غير حساب ولا عقاب :
 عن ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، قُلْتُ : مَا هَذَا ؟ أُمَّتِي هَذِهِ ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ : انظُرْ إِلَى الْأَفْقِ ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأَفْقَ ، ثُمَّ قِيلَ لِي : انظُرْ هَا هُنَا، وَهَآ هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأَفْقَ ، قِيلَ : هَذِهِ أُمَّتُكَ ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ) ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ ، فَأَقَاضَ الْقَوْمُ ، وَقَالُوا : نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ ، فَحُنُّ هُمْ ، أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَخَرَجَ ، فَقَالَ: (هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْفِقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (٣) ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنْ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ يَتَّبِعُ كُلَّ أَلْفٍ بِسَبْعِينَ أَلْفًا ، ثُمَّ يَحْشِي بِكَفِّهِ ثَلَاثَ حَثِيَّاتٍ (٤) ، فَكَبَّرَ عَمْرُ، فَقَالَ ﷺ: إِنَّ السَّبْعِينَ أَلْفًا الْأَوَّلَ يُشَفِّعُهُمُ اللَّهُ فِي آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، وَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ أُمَّتِي أَدْنَى الْحَثَوَاتِ الْأَوَاخِرِ) (٥) .

(١) صحيح مسلم - كِتَابُ الْجُمُعَةِ - بَابُ هِدَايَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ - ٢ / ٥٨٦ - رقم ٨٥٦ .

(٢) سنن ابن ماجه - كِتَابُ الرَّهْطِ - بَابُ صِفَةِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ - ٢ / ١٤٣٤ - رقم ٤٢٩٠ - حكم المحقق محمد فؤاد عبد الباقي: بأن إسناده صحيح .

(٣) صحيح البخاري - كِتَابُ الطَّبِّ - بَابُ مَنْ أَكْتَوَى أَوْ كَوَى غَيْرَهُ، وَقَضَلَ مَنْ لَمْ يَكْتَوِ - ٧ / ١٢٦ - رقم ٥٧٠٥ .

(٤) الْحَثِيَّةُ : هُوَ الْغُرْفُ مَلَأَ الْيَدَ ، وَقِيلَ الْحَثِيَّةُ بِالْيَدِ الْوَالِحِدَةُ ، وَقِيلَ كِنَايَةً عَنِ الْمَبَالِغَةِ فِي الْكَثْرَةِ (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - ١ / ٣٣٩ ، مشارق الأنوار على صحاح الآثار - عياض اليعصبى - ١ / ١٨٠) .

(٥) صحيح ابن حبان - باب فضل الأمة - ذكر الإخبار بأن من وصفنا نعته من السبعين ألفا يشفعون يوم القيامة في أقاربهم - ١٦ / ٢٣٢ - رقم ٧٢٤٧ ، حكم عليه الأرئوط : بأنه حديث صحيح لغيره .

وروي في الأثر عن كعب الأحبار أنه قال: (أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ كَانَ النَّبِيُّ يُقَالُ لَهُ: بَلِغْ وَلَا حَرْجَ وَأَنْتَ شَهِيدٌ عَلَى قَوْمِكَ وَادْعِ اجْبِكَ) (١) .

سادساً : عناية الله ﷻ بنبيه ﷺ أن أكرم أمته وميزهم بأنهم الغر المحجلون يوم القيامة: تأتي الأمة المحمدية يوم القيامة غراً محجلةً من آثار الوضوء، وبهذه الصفة يعرف رسول الله ﷺ أمته من غيرهم وقت انتظارهم على حوضه ﷻ ، قال رسول الله ﷺ : (أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ ، فَمَنْ اسْتَنْطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِلْهُ) (٢)

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْتُنَا إِخْوَانًا) ، قالوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: (أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ) ، فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمته يا رسول الله ، فقال: (أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهُمٌ بِهِمْ (٣) أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ) ، قالوا بلى يا رسول الله ، قال : (فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ (٤) عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيَذَانٌ (٥) رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ ، أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ ، فَيَقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ قَدَّ بَدَلُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ سَحَقًا سَحَقًا (٦)) (٧) .

وقد قال الحافظ ابن حجر: " ثبت أن الغرة والتحجيل خاص بالأمة المحمدية " (٨) .

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - السيوطي - ٣٥١ / ١ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب استنحباب إطلالة الغرة والتحجيل في الوضوء - ٢١٦ / ١ - رقم ٢٤٦ .

(٣) دهم بهم : أي سود لم يخالط لونها لون آخر (انظر: أساس البلاغة - الزمخشري - ٨٥ / ١ ، الزاهر في معاني كلمات الناس - الأنباري - ٢٥٩ / ٢) .

(٤) الفرط: هو الذي يتقدم القوم ويسبقهم ليرتاد لهم الماء ويهبي لهم الدلاء والأرشية (انظر: تهذيب اللغة - الهروي - ٢٢٦ / ١٣) .

(٥) الذود: الطرد والدفع ، ذاده عن الشيء ذوداً (انظر: المحكم والمحيط الأعظم - بن سيده - ٤١٥ / ٩) .

(٦) سحقا سحقا : أي بعداً بعداً ، وهذا دعاء عليهم بالطردهم والإبعاد .

(٧) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب استنحباب إطلالة الغرة والتحجيل في الوضوء - ٢١٨ / ١ - رقم ٢٤٩ .

(٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ٤٤٩ / ١١ .

الفصل الثاني

عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ من أذى المشركين

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى الأذى وأنواعه

المبحث الثاني : حقيقة المشركين وأسباب إيدائهم للنبي ﷺ قديماً

وحديثاً

المبحث الثالث : أوجه أذى المشركين للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به

المبحث الأول

معنى الأذى وأنواعه

وفيه مطلبين :

المطلب الأول : معنى الأذى لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: أنواع أذى المشركين للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به

المطلب الأول

معنى الأذى لغة واصطلاحاً

أولاً: معنى الأذى لغة: يطلق في الأصل على " الشيء تتكرهه ولا تقره، تقول: آذيت فلاناً: أذيته، ويقال: بعيرٌ أذٍ وثاقفةٌ أذيةٌ : إذا كان لا يقَرُّ في مكانٍ من غيرِ وجعٍ، وكأنَّهُ يأذَى بِمَكَانِهِ" (١)، فهو كل ما تأذيت به، " أمَّا قولُ الله تَعَالَى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى... ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فَقَدْ سُمِّيَ بِذَلِكَ بِاعْتِبَارِ الشَّرْعِ، وَبِاعْتِبَارِ الطَّبِّ عَلَى حَسَبِ مَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ " (٢) .

وَالأَذَى كِنَايَةٌ عَنِ الْقَدْرِ عَلَى الْجُمْلَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْقَوْلِ الْمَكْرُوهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى... ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ... وَدَعَّ أَدَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٨] ، أَمَّا الأَذَى فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ (وَأَمِيطُوا عَنْهُ الأَذَى) يَعْنِي بِالأَذَى: الشَّعْرَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ حِينَ يُولَدُ.. وَفِي حَدِيثِ الإِيمَانِ (وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ) يَعْنِي: الشُّوكَ وَالْحَجَرَ وَالنَّجَاسَةَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَأَذَى بِهِ الْمَارُّ " (٣) ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَدَعَّ أَدَاهُمْ ﴾ تَأْوِيلُهُ أَدَى المُنَافِقِينَ لَا تُجَارِهِمْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ تُؤْمَرَ فِيهِمْ بِأَمْرٍ، وَأَذَى الرَّجُلُ: فَعَلَ الأَذَى؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ ، لِلَّذِي تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: (اجْلِسْ، فَقَدْ آذَيْتَ وَآتَيْتَ) (٤) (٥) .

وأورد صاحب تاج العروس ما يبيِّن مقدار الأذى، وما يصلح أن يطلق عليه أذى، فقال: "الأذى: المكروه اليسير، ونقل عن الخطابي قوله: الأذى : الشر الخفيف، فإن زاد كان ضرراً" (١)، وعلى هذا فالأذى هو كل ما يصل إلى الإنسان من غيره من قليل الشر ويسير المكروه، سواء أكان في نفسه أم جسمه أم أهله .

(١) مقاييس اللغة - ابن فارس - ٧٨ / ١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن - الأصفهاني - ص ٧٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٨٥ / ٣ ، وانظر: فتح القدير - الشوكاني - ٢٥٩ / ١ .

(٤) سنن ابن ماجه - كتابُ إقامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا - بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّهْيِ عَنِ تَخَطِّي النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ -

- ٣٥٤ / ١ - رقم ١١١٥ ، حكم عليه الألباني في نفس الكتاب: بأنه صحيح .

(٥) انظر: لسان العرب - ابن منظور - ٢٧ / ١٤ ، تهذيب اللغة - محمد الهروي - ٤٠ / ١٥ .

(٦) تاج العروس - الزبيدي - ٥٩ / ٣٧ .

ثانياً : الأذى اصطلاحاً : قال الزاغب: الأذى ما يصل إلى الحيوان - كل ذي روح- وهو على نوعين مكلف، وغير مكلف من الضرر إما في نفسه أو جسمه، أو تبعاته دنيوياً كان ذلك أو أخروياً^(١) ، وقد ذكر المناوي هذا التعريف مع تعديل يسير فقال: " الأذى: ما يصل إلى الحيوان من ضرر أو مكروه في نفسه أو بدنه أو قنيته^(٢) دنيوياً أو أخروياً " (٣) .

معاني كلمة (الأذى) في السياق القرآني:

لقد جاءت كلمة الأذى في كتاب الله الكريم بعشرة معانٍ، وذلك فيما يلي :

الأول : بمعنى الحرام: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌ... ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي مؤذي.

الثاني : بمعنى القمل : ﴿ ... أَوْ بِهِ أَذَىٌ مِنْ رَأْسِهِ... ﴾ [البقرة: ١٩٦]

الثالث : بمعنى الشدة والمحنة: ﴿ .. إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذَىٌ مِنْ مَطَرٍ .. ﴾ [النساء: ١٠٢]

الرابع : بمعنى الشتم والسب: ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٦] ﴿ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٌ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ ﴾ [آل عمران: ١١١]

الخامس: بمعنى القذف بالغيب: ﴿ .. كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى .. ﴾ [الأحزاب: ٦٩]

﴿ .. يَا قَوْمِ لِمَ تَتُذُّونِي .. ﴾ [الصف: ٥]

السادس: بمعنى العصيان: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴾ [الأحزاب: ٥٧] أي يعصونها.

السابع : بمعنى شغل خاطر وتفرقة القلب: ﴿ .. إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ .. ﴾ [الأحزاب: ٥٣]

الثامن : بمعنى المن عند العطيّة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى .. ﴾ [البقرة: ٢٦٤]

التاسع: بمعنى العذاب والعقوبة: في ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ .. ﴾ [العنكبوت: ١٠]

العاشر : بمعنى غيبة المؤمنين: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨] (٤) .

(١) انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم - الحميري - ٣ / ١٦٤٨ ، المفردات في غريب القرآن - ص ٧١ .

(٢) قنيته: مفردة "قنية" بالكسر والضم، وهو ما اكتسبه (انظر: أساس البلاغة - الزمخشري - ٢ / ١٠٦)

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف - ص ٤٤ .

(٤) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر - ابن الجوزي - ص ١٦١ ، وانظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - الفيروز آبادي - ٢ / ٧٣

المطلب الثاني

أنواع أذى المشركين للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به

أولاً : أنواع من إيذاء المشركين للنبي ﷺ :

- ١- أذى معنوي : ومنه الاتهام بالجنون ، والسحر ، والشعر ، والكهانة .
 - ٢- أذى حسي : ومنه الإيذاء البدني، والطرده ، والحصار ، والتجويع ، ومحاولة القتل .
- كما سيأتي تفصيل ذلك من خلال الدراسة .

ثانياً : عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ من أذى المشركين، وخصوصية دفاعه سبحانه عن النبي ﷺ:

إنَّ سُنَّةَ اللَّهِ ﷻ مع رسله وأعدائهم معلومة ، فمنهم من يؤمن فيرتفع ، ومنهم من يعاند ويؤذي الرسل فيعذب في الدنيا والآخرة ، ولقد نال محمد ﷺ من ذلك كله أعظم الأمر وأكثره ، وكذلك نال الأنبياء من قبله ، ولكنَّ عناية الله ﷻ بنبيه ﷺ لم يَزَقْ إليها رسول ولا ملك ، فما نعلم أن الله ﷻ نصر رسولاً على أعدائه بهذه الصورة الرائعة التي نصر بها رسوله محمداً ﷺ ؛ فقد كان الأنبياء السابقون عليهم السلام يقفون أمام عشيرتهم، ويتولون الدفاع عن أنفسهم مما رماهم به أقوامهم من السفه والضلال ، قال تعالى فيما أخبر عن قوم نوح ﷺ أنهم قالوا له ﴿ .. إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف: ٦٠] ؛ وقال نوح دفاعاً عن نفسه : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦١]

كما قال قوم هود لهود ﷺ : ﴿ .. إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦] ؛ فقال هود دفاعاً عن نفسه ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٧] ولما قال فرعون لموسى ﷺ : ﴿ .. إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١] ؛ فقال موسى رداً عليه ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠٢]

وغير ذلك من النماذج والتي تولى فيها كلُّ نبي الدفاع عن نفسه، إلا النبي ﷺ فإن الله ﷻ تولى الدفاع بنفسه عنه، فهو خليله وحبيبه، وفي ذلك مواقف كثيرة منها :

١- عندما قال أبو لهب للنبي ﷺ تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؛ نزل قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] .

٢- وعندما قال قومه: إنه كاهن، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَقُولِ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ ﴾ [الحاقة: ٤٢]

- ٣- وعندما قالوا: إنه شاعر، قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ [يس:٦٩] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة:٤١]
- ٤- وعندما قالوا: إنه ضال، قال تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم:٢]
- ٥- وعندما قالوا: إنه مجنون، قال تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم:٢]
- ٦- ولما اتهموه فيما جاء به من عند ربه ﷺ ، فقال سبحانه دفاعاً عن النبي ﷺ : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير:٢٤] أي ليس هذا النبي ﷺ بمتهم فيما يخبر به عن الله ﷻ (١) .
- ٧- ولما مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل ﷺ : قال المشركون: ودّع محمداً ربّه ، فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى:١-٣] (٢)
- ٨- ولما مات عبد الله الابن الثاني لرسول الله ﷺ : استبشر أبو لهب، وهرول إلى رفقائه يبشرهم بأن محمداً صار أبتراً (٣) ؛ فنزل قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣]
- ولما قالوا : ﴿ .. إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ .. ﴾ [النحل:١٠١] قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النحل:١٠٥]

ويستمر هذا الكلاً وهذه الرعاية الربانية لخير البرية من ملك الملوك إلى أحب خلقه إليه ﷺ ، ويحفظه عن كيد الكائدين ومكر الماكرين، وترى هذه العصمة والرعاية للحبيب في مواقف عديدة كما سيأتي لاحقاً؛ وفي هذا من التشريف لنبينا محمد ﷺ ما تحار فيه العقول، وتزداد به محبة الرسول ﷺ .

(١) انظر: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - مناهج جامعة المدينة العالمية - ص ٢١٩ .

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٤٨٦ / ٢٤ .

(٣) انظر: الرحيق المختوم - المباركفوري - ص ٧٥ .

المبحث الثاني

حقيقة المشركين وأسباب إيدائهم للنبي ﷺ قديماً وحديثاً

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الشرك وحقيقته

المطلب الثاني : أسباب إيداء المشركين للنبي ﷺ قديماً

المطلب الثالث : أسباب إيداء المشركين للنبي ﷺ حديثاً (في الوقت

المعاصر)

المطلب الأول تعريف الشُّرك وحقيقته

أولاً : تعريف الشُّرك:

يعد الشرك من المشترك اللفظي، حيث تشترك فيه معان كثيرة، ولكن المراد به في سياق الدراسة: كما عرّفه الشنقيطي: أنه صرف حق من حقوق الله لغيره ^(١) ، وقال صاحب لسان العرب: "الشُّرك: أن يجعل لله شريكاً في رُبوبيته" ^(٢) ، وعرّفه الذهبي رحمه الله بتوسع قائلاً: "هو أن تجعل لله نداً، وهو خلقك، ويمكن القول بأن الشُّرك هو أن يصرف العبد شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى من أصنام أو أوثان، أو أشجار، أو أحجار، أو إنس، أو جن، أو قبور، أو أجرام سماوية، أو قوى طبيعية، أو غير ذلك" ^(٣) ، وقال الألباني أن المقصود بالمشرك: من أشرك مع الله شيئاً في ذاته تعالى، أو في صفاته، أو في عبادته ^(٤) ، وهكذا فكل التعريفات تدل في المجمل على أن الشرك من أكبر الكبائر، وأعظم الذنوب، لأنه تنقّص برب العالمين، وانتهاك لحقه سبحانه؛ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الشُّرْكَاءِ وَالْأَنْدَادِ .

ثانياً : حقيقة الشُّرك:

إن الشرك بالله ﷻ أن تجعل لله نداً وهو خلقك، وأن تزعم أنه يجوز للعبد أن يعبد الله وغير الله، أو أن تجعل شريكاً لله في العبادة -حاشاه سبحانه - ، وقال السعدي عن حقيقة الشرك: " أن يعبد المخلوق كما يعبد الله ﷻ، أو يُعظّم كما يُعظّم الله ﷻ، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحداً مخلصاً لله ﷻ في جميع أحواله، فهذا حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً" ^(٥) ، وأضاف صاحب رسالة التوحيد: " إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، لأحد من

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - الشنقيطي - ٣ / ٣٥٦ .

(٢) لسان العرب - ابن منظور - ١٠ / ٤٤٩ .

(٣) منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام - د. حمود الرحيلي - ١ / ١٠٧ .

(٤) موسوعة الألباني في العقيدة - ٢ / ١٦٥ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ص ٢٧٩ .

الناس كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركاً " (١)

وقد لخص ابن قيم الجوزية حقيقة الشرك فقال: " هُوَ التَّشْبِيهُ بِالْخَالِقِ وَتَشْبِيهُ الْمَخْلُوقِ بِهِ، هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ فِي الْحَقِيقَةِ، لَا إِثْبَاتُ صِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ، ﷺ، فَعَكَسَ الْأَمْرَ مَنْ نَكَسَ اللَّهُ قَلْبَهُ وَأَعْمَى بَصِيرَتَهُ وَأَرْكَسَهُ بِكَسْبِهِ، وَجَعَلَ التَّوْحِيدَ تَشْبِيهًا وَالتَّشْبِيهَ تَعْظِيمًا وَطَاعَةً، فَالْمُشْرِكُ مُشَبَّهٌ لِلْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ فِي خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ " (٢)، ومن الآثار وأقوال العلماء والمفسرين الواردة في ذم الشرك ما يلي: قال ابن القيم - رحمه الله تعالى: " مثل المشرك كمن استعمله سيده في داره؛ فكان يعمل ويؤدى خراجه وعمله إلى غير سيده؛ فالمشرك يعمل لغير الله تعالى في دار الله تعالى، ويتقرب إلى عدو الله بنعم الله تعالى " (٣)، وأي ظلم هذا الذي يجعل العبد يعتقد في أي شيء آخر مع الله ﷻ لجلب النفع، أو لدفع الضر، قال أبو العتاهية رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ ... أَمْ كَيْفَ يَجِدُهُ الْجَاذِبُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاجِدٌ (٤)

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: إنَّ العامِّيَّ من الموحِّدين يغلب الألف من علماء المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣] فجند الله ﷻ هم الغالبون بالحجة واللسان، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان (٥)، وما أجمل مقاله أبو نواس في ذلك :

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَأَنْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ ... وَأَزْهَارٌ كَمَا الذَّهَبُ السَّيِّكُ
عَلَى قُضْبِ الزَّرْبَجِدِ شَاهِدَاتٍ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ (٦)

(١) رسالة التوحيد المسمى بتقوية الإيمان - الدهلوي - ص ٥٤ .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ص ١٣٦ .

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب - ص ١٩ .

(٤) مجاني الأدب في حدائق العرب - رزق الله شيخو - ٤ / ٢ .

(٥) كشف الشبهات - ص ١٤ (بتصرف) .

(٦) اللطائف والظرائف - عبد الملك الثعالبي - ص ٢٠٥ .

المطلب الثاني

أسباب إيذاء المشركين للنبي ﷺ قديماً

لقد جرت سنة الله ﷻ في هذا الكون أن يكون لكل نعمة حساداً على هذه البسيطة ، وليس أفضل من نعمة اختيار الله ﷻ عبداً من عباده واصطفائه للنبوّة ، وهذا ما كان الأنبياء عليهم السلام في كل زمان ومكان حيث أن أعدائهم واجهوهم بكل السبل للوقوف أمامهم ، والحيلولة بينهم وبين نشر دعوتهم ورسالتهم ، فقال سبحانه مخبراً عن ذلك ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢] ، وذكر الطبري في تفسيره قول ابن عباس ؓ قال: يوطن الله ﷻ محمداً ﷺ أنه جاعل له عدواً من المجرمين كما جعل لمن قبله^(١) ، وقال الطبري في هذه الآية: أن الله ﷻ يوطن محمداً ﷻ أنه جاعل له عدواً من المجرمين كما جعل لمن قبله^(٢) ، وقال السعدي: " من الذين لا يصلحون للخير، ولا يزكون عليه يعارضونهم ويردون عليهم ويجادلونهم بالباطل " ^(٣)

وفي هذه الآية قد يتوهم البعض أن الله ﷻ هو الذي جعل المجرمين يقفون من أنبيائه موقف العدا، ولكن المقصود تقرير واقع أمر النظام الذي أقام الله المجتمع البشري عليه من أنه لا بد من أن يقف في وجه الأنبياء فريق من المنحرفين المجرمين على سبيل تطمين النبي ﷺ وتسليته بكون ما يراه من قومه ليس بدعاً، ولا يمكن أن يكون قصد به معناه الحرفي لأن في ذلك تناقضاً ينتزعه الله سبحانه وتعالى عنه، وما جاء في الآية التي ورد فيها التعبير من نعت الكفار بالمجرمين وبأعداء الأنبياء قرينة على هذا التوجيه كما أن في ما احتوته الآيات السابقة واللاحقة من تحميل تبعة الإجرام والكفر على أصحابهما ونعت الكفار بأنهم قد ضلوا السبيل قرائن قوية على صوابه^(٤).

وهكذا فإن النبي ﷺ من جملة الأنبياء الذين ابتلوا بعداوة المجرمين الذين يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم ، فقد لاقى صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه صنوف العذاب والإساءات الجمة في سبيل هذه الدعوة الربانية، وقد كانت ثمة دوافع وأسباب رئيسة لعداوتهم للنبي ﷺ والتي تتشابه

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٩ / ٢٦٥ .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٩ / ٢٦٥ (بتصرف يسير) .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ص ٥٨٢ .

(٤) انظر: التفسير الحديث - محمد عزت دروزة - ٣ / ٨٠ .

في أغلب الأحيان مع أسباب رفضهم لدعوته ﷺ ، وسيكون في هذا المطلب التركيز على الأسباب الكبرى التي تعتبر أصولاً لغيرها، ويكون ما سواها وسيلة إليها أو ثمرة عنها ، وهذه الأسباب نص عليها القرآن الكريم وبينها غاية البيان، وهي مفصلة كالآتي :

أولاً : تسفيه الدعوة التي جاء بها النبي ﷺ لأحلامهم :

فقد جاء النبي ﷺ برسالة تدعو إلى المساواة بين الناس لا يفضل جنساً ولا لوناً على غيره، وجعل ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى ، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، منها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] ، وكل آيات الخطاب في القرآن إنما هي إما لكافة الناس مؤمنهم وكافرهم، أو للمؤمنين، أو للكافرين ، أو بعض صنوفهم، وليست لجنس معين منهم، وهذا يدل على عدم اعتبار التفاضل بالعنصر أو الجنس، كما سقاه أحلامهم، ونكس أصنامهم، وأزرى عليهم وعلى آبائهم الأولين لعبادتهم الأصنام ، وقام على رؤوسهم بالتقريع والتأنيب، وعاب عبادتهم خصوصاً وهم أهل الحمية وقدوة العرب في الدين وهذا كله على غير هوى المشركين وأحلامهم، إذ اتباع هذا الدين سينزع عنهم الملك والسؤدد .

ثانياً : الاستعلاء والتكبر :

لقد ورد أن الكبر والاستعلاء من الموانع لاتباع المشركين وأهل الكتاب للنبي ﷺ واساءتهم له، والشواهد على ذلك كثيرة ، أذكر منها قوله سبحانه ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٢-٤٣]

ذكر القرطبي أن المشركين أقسموا قبل أن يبعث الله رسوله محمداً ﷺ ، حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فلعنوا من كذب نبيه منهم، وأقسموا بالله ﷻ لئن جاءهم نبي ليكونن أهدي ممن كذب الرسل من أهل الكتاب، وكانت العرب تتمنى أن يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني إسرائيل، فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من أنفسهم، نفروا عنه، ولم يؤمنوا به استكباراً وعتواً عن الإيمان، وإغراقاً في الضلال (١) .

(١) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٤ / ٣٥٨ (بتصرف) .

ثالثاً : الصد عن سبيل الله :

إن الضال المضلّ بعيد كل البعد عن الهدى وعن طريق الحق وطريقه طريق الضلالة والظلام ، ولكنه لا يكتفي بهذا بل يريد غيره أن يكون شريكاً له في الغي ، وقريناً له في المصير المشئوم ، فأخبر سبحانه عن حال الكافرين وصفاتهم فقال : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ٣] ، قال دروزة في تفسير الآية: " توكيد لما تكرر تقريره في القرآن من كون موقف الجحود والمناوأة الذي وقفه الكفار من الرسالة المحمدية متصل بجحودهم بالآخرة وتعلقهم بالدنيا " (١) ، فهم يحبون الحياة الدنيا على الآخرة، ويصدون عن سبيل الله ﷻ ، ويريدون طريقه معوجة .

وقال سبحانه موبخاً أهل الكتاب أيضاً: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِمَّنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٩] ، قال ابن عاشور عند تفسير هذه الآية: " المعنى : تَصُدُّونَ عَنِ السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمِ وَتُرِيدُونَ السَّبِيلَ الْمَعْوَجَّ ، فَسَبِيلَ اللَّهِ الْمَصْدُودَ عَنْهَا هِيَ الْإِسْلَامُ ، وَالسَّبِيلُ الَّتِي يُرِيدُونَهَا هِيَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ بَعْدَ نَسْخِهِ وَتَحْرِيفِهِ " (٢) .

رابعاً : الحسد :

لقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه الكريم أن من أهم الدوافع عند المشركين وأهل الكتاب من معاداتهم وإساءتهم للنبي ﷺ هو الحسد، فقال تعالى مخبراً عن حسد أهل الكتاب : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩] ، فهم يحسدوننا على ما آتانا الله من فضله بعدما تبين لهم الحق، حيث يقول الجرجاني: " الحسد تمنى زوال نعمة المحسود إلى الحاسد" (٣) ، وكذلك المشركون، فقد قال عنهم ابن هشام: " فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدّث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه، فعتوا على الله ﷻ ، وتركوا أمره

(١) التفسير الحديث - ٥ / ٢١٤ .

(٢) التحرير والتنوير - ٤ / ٢٧ .

(٣) التعريفات - ص ٨٧ .

عياناً، ولجؤا فيما هم عليه من الكفر، فقال قائلهم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] فإنكم إن ناظرتموه أو خاصتموه يوماً غلبكم " (١).

كما روى البيهقي بسنده عن المغيرة بن شعبة قال: " إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ فِيهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أَبِي جَهْلٍ بِمَكَّةَ ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا الْحَكَمِ ، هَلُمَّ إِلَيَّ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ إِلَى كِتَابِيهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ عَن سَبِّ آلِهِتِنَا، هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَتَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، قَالَ: فَانصَرَفَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ وَلَكِنْ بَنِي قَصِيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا الْقِرَى، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا السَّقَايَةُ (٢) ، فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكْبُ قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ " (٣)

وهنا يبرز الحسد والعناد عند المشركين وأهل الكتاب الذي جعلهم يتبنون موقف الرفض من تقبل دعوته ﷺ بل والإساءة لها ، فهم يحسدون أهل الإسلام على ما أتاهم الله من فضله ، مع أنه قد تبين لهم صدق النبي ﷺ من خلال شواهد عديدة وعظيمة سواء من الآيات التي أظهرها الله على يديه ، أو من خلال كمال شريعته ، أو من خلال كمال صفاته ﷺ ، أو من خلال التوافق التام بين حاله ﷺ وبين ما أخبرتهم به أنبيأؤهم عنه ﷺ .

خامساً : التقليد الأعمى :

لقد كانت دعوة النبي ﷺ نقلة جديدة لحياة الإنسان في التصور والسلوك في العقيدة والأخلاق والمعاملات، وقد درج الأولون على أسلوب خاص ارتبط في أذهانهم ومشاعرهم بالمواريث الاجتماعية التي يمجدون فيها الآباء والأجداد، ويعظمونهم؛ فذم الله ﷻ هذا التقليد الأعمى في كتابه لأن المقلد يردّ الحق لأنه يخالف ما عليه آباؤه وأجداده، والمقلد يردّ الحق دون أن ينظر في دليله، أو يعرضه على عقله، قال جل ثناؤه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٠] .

(١) السيرة النبوية - ١ / ٣١٣ .

(٢) السقاية: سقاية الحاج : وهي سقيهم الحاج ماء به زبيب ونحوه (انظر: تهذيب اللغة - محمد الهروي - ٩ / ١٨١) .

(٣) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - ٢ / ٢٠٧ ، وانظر : صحيح السيرة النبوية - الألباني - ص . ١٦٢ .

فهم إذا دعوا إلى الله ورسوله ﷺ استغنوا بما وجدوا عليه آباءهم عن الله ﷻ ورسوله ﷺ ، وهل أهلك السابقين المخالفين إلا التقليد المذموم؛ فكل أمة يأتيها رسولها تُعرض عنه، وتعتصم بموروثها الباطل؛ قال ﷺ مخبراً عن حال الأمم السابقة وموقفهم من رسلهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ * أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مُّزِفُوها إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّة وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤] ، وهذا الموقف هو الذي منع كفار قريش لأول وهلة من الإيمان ، فكان ردهم إذا نليت عليهم آيات الله ﷻ كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ لِمَا كَفَرْنَا بِهِ نَلِجُ بِكُمُ الْمَاءَ جَاءَهُمْ مِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سبأ: ٤٣] فهم عندما تتلى عليهم آيات الله البينات، الدالة على كل خير، الناهية عن كل شر، التي هي أعظم نعمة جاءتهم، ومنّة وصلت إليهم، الموجبة لمقابلتها بالإيمان والتصديق، والانتقاد، والتسليم، أنهم يقابلونها بصد ما ينبغي ويكذبون مَنْ جاءهم بها (١) .

سادساً : العنصرية القبلية القومية :

تعد العنصرية بمثابة الداء الذي يعانیه الحق وأنصاره من المتعصبين القوميين، وقد كانت من ضمن الدوافع والأسباب للإعراض عن دعوة النبي ﷺ والإساءة إليه، فهذا أمية بن أبي الصلت وكان قد قرأ الكتب المتقدمة، وترك عبادة الأوثان، وأخبر أن نبياً قد أظلم زمانه، وأنه سيخرج، وكان يؤمل أن يكون هو ذلك النبي، ثم لما بلغه خروج رسول الله ﷺ ، وتيقنه وعرف صدقه كفر به (٢) ، فقد روي أن صديقه أبا سفيان بن حرب سأله ذات يوم: فأين أنت منه - يقصد النبي ﷺ - يا أبا عثمان؟ فقال أمية: والله ما كنت لأؤمن برسول من غير تقيف أبداً (٣)، فتبين هنا إن أبا أمية يعرف أن محمداً رسول الله حقاً وصدقاً، ولكن قوميته، وعنصريته، وتعصبه لقومه أضاع عليه نعمة الإيمان وحلاوة الإسلام .

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي - ص ٦٨٢ .

(٢) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ابن الجوزي - ١٤٢ / ٣ .

(٣) انظر: السيرة النبوية - ابن كثير - ١ / ١٢٩ ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - ابن القيم -

٩٣ / ١ ، البداية والنهاية - ابن كثير - ٢ / ٢٨٣ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ابن قيم

الجوزية - ٢ / ٤٠٦ .

سابعاً : جاهلية المقاييس :

لقد شاء الله ﷻ أن لا يجعل لهذه الرسالة الأخيرة سنداً من خارج طبيعتها ولا قوة من خارج حقيقتها، فاختار لها رجلاً ميزته الكبرى الخلق، وهو من طبيعة هذه الدعوة، وسمته البارزة التجرد، وهذا ما يخالف مقاييس الأرض، وضلوا في شعاب هذه المقاييس، فلم يدركوا الدعوة، فخلطوا في القيم والموازن: قيم الأرض وموازينها، وقيم الدعوة وموازينها، وظنوا أن الوحي ينزل على هواهم، قال سبحانه مخبراً عن حالهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] فقد كان القوم يعيشون في ظل مقاييس الجاهلية؛ أن الرياسة مرتبطة بالجاه والثروة، وإن الشرف بالأغنياء فقط، فضلوا بذلك عن سواء السبيل، وتلك واحدة من أسباب إعراض المشركين عن دعوة الله ﷻ وإساءتهم لنبيه ﷺ ، أما عن الحكمة من وراء عدم اختيار الله ﷻ للنبيوة زعيماً لقبيلة ولا رئيساً لعشيرة ولا صاحب جاه أو ثراء، حتى لا تلتبس قيمة من قيم هذه الأرض بقيم الدعوة الربانية النازلة من السماء، ولكي لا تزدان هذه الدعوة بحلية من حلى هذه الأرض لا تتفق مع حقيقتها في شيء، ولكي لا يكون هناك مؤثر مصاحب لها خارج عن ذاتها المجردة، ولكي لا يدخلها طامع، ولا ينتزه عنها متعفف (١) .

ثامناً : البغي والعدوان :

إن البغي والعدوان من الأسباب الرئيسية لإساءة المشركين وأهل الكتاب للنبي ﷺ وإعراضهم عن دعوته ﷺ، فالبغي والعدوان مطية كل مستكبر، وسبيل كل جبار، فبعدما تبين الحق؛ أعرض المشركون وأهل الكتاب عنه ورجبوا فيما عداه، قال تعالى: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥] فمن بغيهم ما يودون أن ينزل الله علينا خيراً قط ، وقال تعالى مخبراً عن حالهم قبل الرسالة، وأنهم كانوا ينتظرون مجيء هذا النبي: ﴿ وَمَا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠) ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠] ثم قال ﷻ مخبراً عن حقيقة رفضهم لدعوة النبي ﷺ وإساءتهم له: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩] ، أي لم يكن

(١) انظر : في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣١٨٦ / ٥ ، موسوعة فقه القلوب - محمد التويجري - ٢٢١٣ / ٣

اختلاف هؤلاء المختلفين في كتابي الذي أنزلته مع نبي عن جهل منهم به؛ بل كان اختلافهم فيه، وخلاف حكمه من بعد ما ثبتت حجته عليهم؛ بغياً بينهم وطلباً للرياسة من بعضهم على بعض، واستذلالاً من بعضهم لبعض (١) .

تاسعاً : الكراهية والبغضاء :

لقد أخبرنا سبحانه عن موقفنا منهم وموقفهم منا فقال ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩] .

وذلك أن الإنسان إذا خلا من الدين والإنصاف، غلبه هواه، واستبدت به شهواته فظلم غيره، واستباح دياره، وسفك دمه بغير وجه حق، وفي الشواهد التي تضمنتها هذه الدراسة خير شاهد، وأعظم من ذلك شهادة الله وكفى به شاهداً وحسيباً، قال تعالى: ﴿ .. أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] كما أخبر القرآن عن الحقيقة، وصدق واقعهم وأفعالهم بالخبر القرآني، وشهد كتائبهم على أقوامهم بما تُكنه صدورهم، وحادثات الدهر المتوالية تؤكد هذه الحقيقة، وصدق الله ﷻ وما تخفي صدورهم أكبر .

(١) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٤ / ٢٨٢ .

المطلب الثالث

أسباب إيذاء المشركين للنبي ﷺ حديثاً (في الوقت المعاصر)

لقد مضى الحديث في المطلب السابق عن أسباب إيذاء وتطاول المشركين وأهل الكتاب على شخص الرسول ﷺ وعلى الإسلام وأهله، وسيكون الحديث هنا عن الأسباب التي تدعو المعاصرين منهم للإساءة، والناظر في هذا الموضوع يرى أن الأسباب تكاد تكون متماثلة إلا أنه استجدت بعض الأحداث، وتغيرت الموازين؛ فصاحَبَ ذلك أسباب تَهَيَّأَ بواسطتها للهاقدين من الإساءة لم تكن متاحة من قبل، ولا ينبغي أن يغيب عن البال أن الصراع قائم بين الحق والباطل منذ بدء الخليقة فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] وحتى يوم البعث، وهذا مما أخبر الله عنه في محكم كتابه، فقال جل ثناؤه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص ٧١-٨٥] ، ولكن هذا الصراع قد يستعر بين بعض أتباع المنتسبين إليهما في أي مكان أو زمان، وقد يخبو، وقد تتعدد أسباب استعاره، وسأذكر بعض ما أسهم في تأجيج الصراع في هذا العصر وزيادته، وهذه الأسباب بعضها قديم كامن في أنفسهم، وبعضها جديد حادث أنتجته الحوادث، وهي كالتالي :

أولاً: العداوة المتأصلة بين الحق والباطل والسنة الماضية منذ خلق الله ﷻ آدم ﷺ والتي أشارت إليها الآيات السابقة .

ثانياً: اتباع الغرب لكتبهم المحرفة وحقدهم على الإسلام: فالتوراة المحرفة والتلمود هما منبع العنصرية، وقد صدرت الكثير من الفتاوى من رهبانهم وحاخاماتهم بوجوب قتل العرب جميعاً وحتى أطفالهم ، فقد أصدر الحاخام اليهودي إسحاق شابيرا في كتابه (توراة الملك)، فتاوى تسمح بقتل أي شخص غير يهودي بمن فيهم الأطفال الرضع من العرب ، وغيرها من الفتاوى التي تدعو إلى الإقصاء والدمار والخراب واستباحة الدماء والاموال والاعراض، وها هو مساعد وزير الخارجية الأمريكي السابق لشؤون الشرق الأوسط - إدوارد جيريجيان - يقول بوضوح إن الولايات المتحدة

بوصفها القوة العظمى الوحيدة الباقية، التي تبحث عن إيديولوجية لمحاربتها، يجب أن تتجه نحو قيادة حملة صليبية جديدة ضد الإسلام^(١) ، قال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصَّف:٨] إضافة لحوادث التاريخ السابقة بين الفريقين وما فيها من معارك ودماء، لا تزال رافداً قوياً يستدعي منهم طلب الثأر والانتقام، ولذلك تصدر منهم الرسومات والاتهامات التي لا تليق بحق نبينا ﷺ وذلك يدل على مدى حقدهم الدفين في قلوبهم.

ثالثاً : الجهل بحقيقة الاسلام ونبيه ﷺ في بعض الأحيان: إن الجهل بحقيقة الإسلام ونبيه ﷺ وسيرته، ورسالته، وقرآنه، وشريعته، له دور كبير في افتراءات الجاهلين على حبيب رب العالمين، وفي ذلك قال ابن القيم كلاماً رائعاً أسوقه بتمامه: " فَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ فِي ظُلْمَاتِ الْجَهْلِ وَالْبُعْيِ إِلَّا مَنْ أَشْرَقَ عَلَيْهِ نُورُ النُّبُوَّةِ، كَمَا فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ؛ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَاهُ ضَلَّ) (٢) فَكَذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْعِلْمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ، وَلِذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ لِيُخْرِجُوا النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَمَنْ أَجَابَهُمْ خَرَجَ إِلَى الْفُضَاءِ وَالنُّورِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُمْ بَقِيَ فِي الضُّيْقِ وَالظُّلْمَةِ الَّتِي خُلِقَ فِيهَا، وَهِيَ ظُلْمَةُ الطَّبَعِ، وَظُلْمَةُ الْجَهْلِ، وَظُلْمَةُ الْهَوَى، وَظُلْمَةُ الْغَفْلَةِ عَنِ نَفْسِهِ وَكَمَالِهَا وَمَا تَسَعَّدُ بِهِ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا " (٣) ، وذكر رحمه الله عدد من البواعث والأسباب ذكر منها الجهل حيث قال: "... فَمِنْهَا: الْجَهْلُ بِهِ، وَهَذَا السَّبَبُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى أَكْثَرِ النَّفُوسِ، فَإِنَّ مَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ وَعَادَى أَهْلَهُ، فَإِنْ انْضَافَ إِلَى هَذَا السَّبَبِ بَعْضُ مَنْ أَمَرَهُ بِالْحَقِّ وَمُعَادَاتُهُ لَهُ وَحَسَدُهُ كَانَ الْمَانِعَ مِنَ الْقَبُولِ أَقْوَى، فَإِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ الْإِفْهُ وَعَادَاتُهُ وَمُرَبَّاهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَبَاؤُهُ وَمَنْ يُحِبُّهُ وَيُعَظِّمُهُ قَوِي الْمَانِعِ، فَإِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ تَوَهُمُهُ أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي دُعِيَ إِلَيْهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَاهِهِ وَعِرْزِهِ وَشَهْوَاتِهِ وَأَعْرَاضِهِ قَوِي الْمَانِعِ مِنَ الْقَبُولِ جِدًّا فَإِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ خَوْفُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَجَاهِهِ كَمَا وَقَعَ لِهَرْقَلِ مَلِكِ النَّصَارَى بِالشَّامِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِزْدَادَ الْمَانِعِ مِنَ قَبُولِ الْحَقِّ قُوَّةً، فَإِنَّ هَرْقَلَ عَرَفَ الْحَقَّ وَهَمَّ بِالِدُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُطَاوِعْهُ قَوْمُهُ وَخَافَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ فَأَخْتَارَ الْكُفْرَ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى " (٤) .

(١) انظر: حوار الحضارات (دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة) - فهد السندي - ص ٣٣٦ .

(٢) صحيح ابن حبان - كِتَابُ التَّأْرِيخِ - بَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ - ١٤ / ٤٤ - رقم ٦١٦٩ ، حكم عليه المحقق شعيب الأرنؤوط بأن: إسناده صحيح .

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ٥٩٢ / ٢ .

(٤) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ابن قيم الجوزية - ٢٤٤ / ١ .

وهذا ما أكده بعض المنصفين من الغرب ومنهم مارك سلجاندر^(١) حيث أكد في برنامج تلفزيوني مسجل قائلاً: " أن موقف العالم الغربي الحالي من الإسلام ناجم بشكل أساسي من الجهل بحقيقة القرآن، ولكي يدلل على ذلك ينوه سيلجاندر إلى أنه جمع ٢٠٠ من كبار المبشرين المسيحيين في إحدى الكنائس بولاية فيرجينيا، وقال لهم أنه سيتلوا على مسامعهم ما جاء في الكتاب المقدس بشأن المسيح، دون أن يبلغهم من أي كتاب مقدس سيتلوا، فاعتقدوا أنه سيتلوا عليهم من العهد الجديد (الإنجيل) ، لكنه تلا عليهم ترجمة الآيات (٤٥ - ٥٠) من سورة آل عمران ، التي جاء فيها ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّهُ يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٧] إلى آخر الآيات، وينوه سيلجاندر إلى أنه عندما كان يتلو عليهم ترجمة هذه الآيات كانت مظاهر الارتياح والسعادة بادية على وجوه المبشرين الذين كانوا يسبحون الرب، لكنه سرعان ما صعقهم، عندما قال لهم: هل تدرّون أن الآيات التي تلوّتها كانت من القرآن وليست من الإنجيل، مشيراً إلى أن صمتاً أطبق على المكان، وشعر المبشرون بالحرج الشديد ولم يستطيعوا الرد ولو بكلمة واحدة؛ لأن العالم المسيحي لا يفهم كما كنت أنا سابقاً لا أفهم، وأنا الآن لا أزال في بداية طلب العلم أحاول فهم ما يقوله القرآن فعلا عن عيسى المسيح " (٢) ، وهذا السبب لا ينسحب على كل من أساء للنبي ﷺ ، فكثير منهم يعرفون الكتاب ويكتمونه حسداً وبغياً - كما أشرنا إليه سابقاً - ، وكثير منهم يعلمون أن محمداً هو رسول الله حقاً، ومع ذلك أبوا إلا أن يناصبوه العداء في الحاضر، كما ناصبه أسلافهم العداء في الماضي وهم يعلمون، حيث قال سبحانه: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١] ويقول ﷺ : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٠]

(١) مارك سلجاندر: رجل أمريكي، كان عضواً في مجلس النواب الأمريكي، وعلماً من أعلام المسيحيين الإنجيليين، وناشطاً شديد الحماسة في فريق (المحافظين الجدد) بالغي التشدد والتطرف، وكان شديد العداوة للإسلام والمسلمين، مؤمناً بأن العداوة بين الإسلام والمسيحية (ضرورية وأبدية) ، ثم ألف كتاباً تخطى فيه عن أفكاره هذه، وأعلن أن أفكاره ومفاهيمه كانت خاطئة بإطلاق، ثم ألف كتاباً أسماه (قنبلة فكرية) من الوزن الثقيل، حيث أعلن بوضوح: أن المسيح عيسى بن مريم ﷺ (كان مسلماً) .

(٢) انظر: موقع قناة الجزيرة - برنامج (من واشنطن) - الرابط :

<http://www.aljazeera.net/programs/pages/fc8ca938-31f5-4437-971a-bdc2e8183f3b>

رابعاً : قوة الإسلام وخوفهم منه : حيث يرى العلامة القرضاوي أنه أحد أسباب الإساءة للنبي ﷺ ، حيث تولد في نفوس الغرب الخوف من هذا الدين، لاسيما وقد بشر النبي ﷺ بقوله: (لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أُدْخِلَ عَلَيْهِمْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ) (١) (٢) ولقد أطلق الغرب على الإسلام مصطلحاً أسموه (إسلاموفوبيا) وهي كلمة يقصد بها الخوف والعداء لكل ما هو إسلامي، فهو مصطلح حديث لمعنى أصيل لدى الغرب، فأصبح مرادف الإسلام في قاموس العقل الغربي (الإرهاب) ، حيث غالباً ما يُربط بالإرهاب والتطرف، في الوقت الذي تؤكد فيه كثير من المؤسسات الغربية أن الإسلام دين التسامح والتضامن والتأخي، لكن الإعلام الغربي يحول دون نشر هذه المواقف الإيجابية التي من شأنها أن تخدم الإسلام والمسلمين، كما أنهم يرون أن أكبر أعدائهم هو الإسلام، ولهذا فهم يتخوفون منه ليس خوفاً من انتشار الإسلام في الغرب فحسب، بل الخوف من عودة المسلمين في العالم الإسلامي إلى التمسك بدينهم، فهم الآن يستغلون ضعف المسلمين في كثير من الجوانب ، مثل الجانب الاقتصادي ، والإعلامي ، ويريدون أن يطفئوا هذا النور قبل أن ينتشر في العالم ، ومحاربتة بشتى الوسائل والطرق ومن أهمها تشويه حامل الدعوة وربان السفينة ولكن هيهات هيهات، فالشمس لاتغطي بغربال ...

خامساً : الإستعلاء الغربي والنظرة الدونية للمسلمين : حيث إن المجتمعات الغربية تعيش في كبرياء منقطع النظير، فهم يعتبرون أنفسهم سادة العالم وأنهم مركز الكون والحضارات، ويُفَسِّمون العالم إلى دول متقدمة وأخرى متخلفة، وهذه النظرة ليست حديثة، بل لها جذورها الضاربة في القدم حيث قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة: ١٨] وهكذا فالاستعلاء عنصر داخلي في الحضارة الغربية (٣) ، وقد كان هذا الاستعلاء سبب لاجود أهل الكتاب لنبوته النبي ﷺ لأنه عربي وليس من جنسهم ، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩]

(١) صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ - باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث - ٩٣ / ١٥ ، حكم عليه الألباني في نفس الكتاب بأنه: صحيح .

(٢) انظر : الجزيرة نت، برنامج الشريعة والحياة ، الرابط :

<http://www.aljazeera.net/programs/pages/c3878721-fd54-4453-85a4-934139b953fb>

(٣) انظر : حوار الحضارات (دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة) - فهد السنيدي - ص ٣٣٥ .

وقد ذكر الطبري في تفسيره ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه : " أن اليهود كانوا يستفتحون ^(١) على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه " ^(٢) ، ومن مظاهر هذا الاستعلاء محاولة إيذاءهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، والإساءة إليه وتشويه صورته لأنهم زعموا أن فضل الله تعالى محصورٌ فيهم، وأنه لا يبعث نبياً إلا منهم، وبالتالي احتقار أتباعه وإذلالهم، وأتى لهم ذلك ..

سادساً : سرعة انتشار الإسلام : والتي تثير الحقد والغيرة في نفوس كل المعادين للدين حيث بدأ يغزوهم في عقر دورهم، سواء أكانوا من النصارى أو اليهود، أو من العلمانيين والملحدين، حيث يؤكد معظم الباحثين وعلى الرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة بأن أكثر من عشرين ألف أمريكي يعتنقون الإسلام كل عام وذلك بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول)؛ فقد استغلت أسوأ استغلال من قبل مروجي الحروب والفتن ومن قبل أعداء الإسلام، وأظهروا عبر وسائل الإعلام أن كل إفساد أو إرهاب أو تدمير فرسول الإسلام يأمر به، ويحث عليه، كما طالبوا بالتضييق على المسلمين حكومات وشعوباً ومؤسسات وجاليات، وعلى عكس مما هو متوقع بأن أعداد المسلمين الجدد ستخفض إلا أن النتيجة جاءت على عكس الحسابات، فقد أظهرت الإحصائيات الجديدة أن عدد الذين يدخلون في الإسلام ازداد بشكل كبير بعد أحداث سبتمبر، ^(٣) فهم يحاولون تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم والإساءة إليه، وذلك لكبح جماح هذا المارد الإسلامي .

سابعاً: التعاون بين صهاينة اليهود والمتصهينين من النصارى ضد الإسلام بقيادة اللوبي الصهيوني : إنَّ من الواضح للعيان أن الحرب ضد الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم هي حرب دينية عقديّة، حيث يحاول الغرب ترسيخ صورة مشوهة عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم ، كما صوّر دولة اليهود القائمة على سفك الدماء بأنها دولة حضارية ، ويسعى الإسلام المتطرف - على حد زعمهم - إلى إنهاء وجودها، وذلك بسبب سيطرة اللوبيات اليهودية التي تقف خلف هذه الحملات وتدعمها بالأموال الطائلة، والدليل على ذلك أنها لو كانت حرة فكر كما يدّعون فلماذا لا تطول هذه الحرية عقيدة سوى الإسلام؟ كما أنهم يحاولون إثبات أن الإسلام يشكل خطراً محدقاً بالكرة الأرضية، وما على المجتمع الدولي إلا مواجهته والحد من امتداده، لذلك فمن غير المستبعد أن تكون أغلب التقارير والإحصائيات التي يحذر من خلالها الإعلام الغربي من الإسلام هي من صياغة جهات صهيونية

(١) الاستفتاح : الاستتصار، أي كانوا يستتصرون الله بالنبي صلى الله عليه وسلم على مشركي العرب، من قبل أن يبعث (انظر:

جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٢ / ٣٣٢) .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢ / ٣٣٣ .

(٣) انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث ٥ - ١١٢ / ٢٩٠ .

ويهودية تعمل في الخفاء، لا سيما وأن أشهر المراكز الفكرية والمؤسسات الإعلامية التي تنتشط في الغرب، يسيرها متقفون من أصول يهودية، بل ومنها ما يمول من جهات صهيونية، ومن الطبيعي أن يصب فكرها في اتجاه مواجهة الإسلام، بمختلف الآليات العسكرية والاقتصادية والثقافية والإعلامية وغيرها ^(١) ومن الأمثلة على ذلك: صحيفة التايمز البريطانية التي أصبحت صهيونية خالصة بعد أن اشتراها المليونير اليهودي (روبرت مردوخ)، وكذلك شقيقتها الصنادي تايمز، بالإضافة إلى المجلة الأسبوعية (ويك أند) المتخصصة بالرسومات الكاريكاتيرية التي تتهكم بالمسلمين في لندن، وتظهرهم في أبشع صورة، وتعتبر النيويورك تايمز من أشهر الصحف الأمريكية وقد اشتراها اليهودي (أولف أوش) ، وتأتي الواشنطن بوست في المرتبة الثانية من الخضوع للصهيونية، ونيوز ويك التي بلغ حجم توزيعها ٤,٥ مليون نسخة عام ١٩٨١م ، وقد بلغ من تفاقم السيطرة الصهيونية على دور النشر الفرنسية أن المفكر الشهير (رجاء جارودي) الذي كانت دور النشر الفرنسية تتسابق لنشر كتبه، لم يجد دار نشر واحدة تتبنى كتابه (بين الأسطورة الصهيونية والسياسة الإسرائيلية) والذي كتبه بعد إسلامه!! ^(٢)

ثامناً : تخلي بعض المسلمين عن مبادئهم ومعتقداتهم: إن مصدر رفعة وعزة الأمة الإسلامية مرتبط بمدى علاقتها بربها وتمسكها بمبادئها ومعتقداتها ، ومدى دخولها في دائرة معيَّته وكفايته، قال تعالى: ﴿ .. وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] ، ويتمثل ذلك جلياً في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله، وهذا - وللأسف - خلاف الواقع فقد انتشر في كثير من المجتمعات المسلمة بعض العادات السلبية التي التصقت بالمسلمين والعرب، ومن أهمها انتشار البدع والخرافات، وبعض الممارسات الخاطئة المخالفة لتعاليم الإسلام مثل : الغش والواسطة والانحلال الأخلاقي، تجدهم يتهافنون على ما هو مادي، ويحجمون عما هو أخلاقي، فالناظر الى هذه الممارسات على أنها دين الإسلام قد يدفعه إلى اخذ صورة قاتمة عن الاسلام، وبالتالي الإساءة له ولنبيه صلى الله عليه وسلم .

تاسعاً : الصد عن سبيل الله : إن مما طُبع عليه الذين لا يؤمنون بالآخرة أنهم يصدون عن سبيل الله، ويريدون طريقه معوجة لا توصل إليه سبحانه، قال جل ثناؤه: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ٣]

(١) انظر: شبكة النبا المعلوماتية - مقالة بعنوان (الإسلام - فوبي صناعة صهيونية تسوق في الغرب) ، الرابط: <http://www.annabaa.org/nbanews/68/116.htm> .

(٢) انظر: موقع طريق الإسلام، الرابط : <http://ar.islamway.net/article/1462> .

قال الطبري: " يعني هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة هم في ذهابٍ عن الحق بعيد، وأخذ على غير هُدًى، وجور عن قصد السبيل " (١) ، فهم يحاولون تضليل الناس عن الحق وإبراز الإسلام ونبيه ﷺ في صورة لا تليق به، ولا شك أن اللجوء إلى هذا الأسلوب يدل على أن القوم قد أعيتهم الحيلة، وشعروا بالهزيمة المعنوية الممهدة للهزيمة الحسية بإذن الله ﷻ ، فأخرجوا آخر ما في كنانتهم من سهام، فدأب أعداء الرسل - إذا أعيتهم حجة الإسلام البالغة يسارعون ليخرجوا الحوار حول ذلك التشريع الرباني والهدي الإلهي الذي جاءتهم به الرسل من عند الله إلى قضية أخرى يعتمدون فيها على نقل المعركة من ميدانها الصحيح إلى ميدان لا يجاريهم فيه الشرفاء، فينتقصون من جاءهم بالحق من عند الله ﷻ ، ويرمونهم بالمثالب والمعائب فغَلَ العاجز عن مقارعة الحجة بالحجة، المائل لصرف الناس عن الحق والهدى بتطوير الخصومة عن طريق استفزاز أصحاب الحق (٢) .

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٦ / ٥١٥ .

(٢) انظر : ظاهرة الإساءة للنبي ﷺ وشريعته في الغرب - ورقة الشيخ ناصر العمر في مؤتمر نبي الرحمة ﷺ ،

تم تحميله من موقع (القرآن الكريم) الرابط:

<http://www.quran-for-all.com/book-details-387-0.html>

المبحث الثالث

أوجه إيذاء المشركين للنبي ﷺ وعناية الله به

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : إيذاء المشركين الجسدي للنبي ﷺ

المطلب الثاني : إيذاء المشركين للنبي ﷺ بافتراءهم على شخصه

المطلب الثالث : إيذاء المشركين للنبي ﷺ بافتراءهم على رسالته

المطلب الرابع : إيذاء المشركين للنبي ﷺ باستهزائهم به

لقد كان النبي ﷺ من أكثر رسل الله دعوة وبلاغاً وجهاداً، لذا كان أكثرهم إيذاءً وابتلاءً منذ بزوغ فجر دعوته إلى أن لحق بربه ﷺ، حيث واجه رسول الله ﷺ من الأذى والتعذيب والتكذيب والاستهزاء والمقاطعة والاضطهاد والمطاردة، وهو الشريف الصادق الأمين الذي كان بإمكانه أن يعيش عزيزاً مكرماً، فمنذ أن جهر بدعوته، وصارح قومه بضلال ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، واستهان بالوعد والوعيد والمال والمجد، وصبر على شتف العيش والجوع والعري والمشقة، وهو القوي الأمين، السيد الثري الذي كان بإمكانه أن يعيش مصاناً مترفاً؛ فجدد ﷺ بذلك تعاليم الإسلام عقيدة وعملاً وجهاداً بالمال والنفس فكان بحق قدوةً للصالحين، ومنازلاً للسالكين، وهو الأسوة الحسنة الباقية أبداً للمسلمين في كل زمان ومكان: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وقتئذ انفجرت مكة بمشاعر الغضب، ورأت قریش أنه لابد من مواجهة هذه الدعوة التي جاءت بتسفيه أحلامهم، وسب آلهتهم، والقضاء على زعامتهم، فقرروا أن لا يألوا جهداً في محاربة الإسلام وإيذاء الداخلين فيه، والحد من انتشاره، فاتخذوا لذلك العديد من الوسائل والمحاولات لإيقاف الدعوة وإسكات صوتها، أو تحجيمها وتحديد مجال انتشارها فاتخذوا وسائل وطرقاً متعددة، منها:

المطلب الأول

إيذاء المشركين الجسدي للنبي ﷺ

لقد تعرض النبي ﷺ في سبيل دعوة ربه ﷻ لأصناف وأنواع الأذى الجسدي، فئن حاول الكفار إحراق نبينا إبراهيم عليه السلام، وقتل اليهود يحيى بن زكريا عليه السلام؛ فقد بلغ الأذى لرسولنا ﷺ مبلغ عظيمًا، ولكن على قدر الإيمان يكون البلاء، فكان منه الحصار، والإيذاء في البدن، والسعي لطرده من بلده، ومحاولة قتله ﷺ.

أولاً: حصاره ﷺ ومقاطعته الاقتصادية والاجتماعية في شعب أبي طالب:

وقد كان ذلك بعد عجزهم في مساومة عمه أبي طالب بأن يقدموا له رجلاً من خير أبنائهم بدلاً عن محمد ﷺ يتبناه أبو طالب على أن يسلم إليهم محمداً ﷺ ليقتلوه، فساءها رفض أبي طالب لهذا العرض، فأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف: ألا يبايعونهم، ولا يناكحونهم، ولا يكلمونهم، ولا يجالسونهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك

صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة ^(١) واستمرت المقاطعة ثلاث سنوات حتى اشتد الأمر ببني هاشم، وبني المطلب، حتى أكلوا ورق الشجر، وكان يسمع للأطفال بكاء من شدة الجوع، ولقد لقي فيها الرسول ﷺ ، ومن معه في هذه المقاطعة جهداً شديداً، ثم انتهت المقاطعة بمسعى عقلاء قريش ^(٢).

ثانياً : سعي المشركين لإخراج رسول الله ﷺ من بلده :

قال الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٦] ذكر الطبري في تفسير هذه الآية عن قتادة: " فقد هم أهل مكة بإخراج النبي ﷺ من مكة، ولو فعلوا ذلك لما تَوَطَّنُوا، ولكن الله ﷻ كفَّهم عن إخراجهم حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبي الله ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر " ^(٣) فقد تهددهم الله ﷻ بهذه الآية: (وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا)، قال مجاهد: " لو أخرجت قريش رسول الله ﷺ لعذبوا بذلك " ^(٤) ، وحكى ابن كثير عن ذلك فقال: " وكذلك وقع؛ فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم، بعد ما اشتد أذاهم له، إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم " ^(٥) ، وهنا تجلت عناية الله ﷻ بنبيه ﷺ بأن كفَّ المشركين عن إخراج النبي ﷺ من أحب البلاد إلى قلبه إلى أن جاء الأمر الإلهي بالهجرة .

ثالثاً : التآمر على قتل النبي ﷺ :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] قال القرطبي: " هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة " ^(٦) فقد روي عن ابن عباس ؓ أنه قال: " تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق - يريدون النبي ﷺ - ، وقال بعضهم : بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع الله ﷻ نبيه ﷺ على ذلك، فبات عليٌّ ؓ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ ، فلما

(١) انظر: الفصول في السيرة - ابن كثير - ص ١٠٢ ، بهجة المحافل وبغية الأمانتل - يحيى الحرصي - ١ / ١٠٥ .

(٢) انظر: السيرة النبوية - دروس وعبر - مصطفى السباعي - ص ٤٨ ، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي

- أحمد غلوش - ص ٥٥١ .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ١٧ / ٥١٠ .

(٤) تفسير مجاهد - ص ٤٤٠ .

(٥) تفسير القرآن العظيم - ٥ / ١٠١ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن - ٧ / ٣٩٧ .

أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً رد الله مكرهم فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خُلطَ عليهم، فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار، فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال^(١)، وهذا من صميم عناية الله ﷺ بنبيه ﷺ أن حفظه وأخرجه من بين أيديهم وكفاه أذاهم .

رابعاً: اذياء المشركين للنبي ﷺ في بدنه :

ولهذا أمثلة كثيرة منها :

١- قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ * ﴾ [المسد ١-٥] لقد كان أبو لهب عم النبي ﷺ من أشد الناس عداوة له، وكذلك كانت امرأته أم جميل من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ ، وكانت تسعى بالإفساد بينه وبين الناس بالنميمة ، وتضع الشوك في طريقه ، والقذر على بابه^(٢)، كما روي عن ابن عباسٍ ﷺ أنه قال : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّىٰ صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ قَالُوا : مَا جَرَيْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَقَدْ تَبَّ ﴾^(٣)، فالتَّبَاب هو الهلاك، والمعنى هلكت يداه^(٤) ، وهنا جاءت عناية الله ﷺ بحبيبه ﷺ بأن توعّد أبا لهب وامرأته جزاء ذلك بالآية .

٢- ما لقيه النبي ﷺ من الأذى يوم أحد، فقد روي عن أنسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ^(٥) الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ... ﴾ [آل عمران: ١٢٨]^(٦)

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - أ.د. حكمت ياسين - ٢ / ٣٩٧ .

(٢) انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٢٤ / ٦٧٨ ، زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٤ / ٥٠٢ .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب في قوله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ - ١ / ١٣٣ - رقم ٤٢٨ .

(٤) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل - النسفي - ٣ / ٦٩١ .

(٥) يسلت: يمسح ما سال منه (انظر: غريب الحديث - الخطابي - ٢ / ١١٥) .

(١) قال الثعالبي في تفسيرها: "عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك، ودُم على الدعاء إلى ربك؛ قلت: وقد فعل ذلك ﷺ ممتثلاً أمرَ ربِّه " (٢) ، وهذا من عناية الله ﷻ بنبيه ﷺ وتسليته في مصابه أن الله ﷻ سينتقم له منهم إن تمادوا على كفرهم .

٣- ما لقيه النبي ﷺ من الأذى من أهل الطائف عندما دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فلم يجيبوه وقابلوه بغاية الأذى، وأمره بالخروج من أرضهم، وأغروا به سفاءهم، فاصطفوا له صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموه (٣) فقد روي أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: (هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِئْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمْتَنِي، فَتَنَظَّرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيْلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ ، إِنَّ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) (٤)

٤- قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهَ لَسَفَعْنَ بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق ٩-١٨] سبب نزولها محاولة أبو جهل إيذاء النبي ﷺ فقد روي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : (قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يَعْفِرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ إِلَّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالُوا : نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتَهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لِأَطَّانَ عَلَى رِقْبَتِهِ ، وَلَأَعْفِرَنَّ وَجْهَهُ فِي التَّرَابِ، فَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَأَ عَلَى رِقْبَتِهِ ، قَالَ: فَمَا فَجِنَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبَيْهِ يَنْقِي بِيَدَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ : مَالِكُ ، قَالَ : إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ ، وَهُوَ لَأَجْنِحَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ دَنَا

(١) صحيح مسلم - كتاب المغازي - بابُ غزوة أُحُدٍ - ١٧٩ / ٥ - رقم ٤٦٦٨

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن - ١٠٤ / ٢ .

(٣) انظر: الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة - ابن رجب - ص ١٩ ، مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى - د. سعيد القحطاني - ص ٢٧ ، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى - د. سعيد القحطاني - ١٥٥ / ١ .

(٤) صحيح البخاري - كتابُ بدء الخلق - بابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ - ١١٥ / ٤ - رقم ٣٢٣١ .

مَنِ لَأَخْتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عَضُواً عَضُواً (١) قال ابن عباس: " لو دعا ناديه (٢) لأخذته زبانية الله" (٣) وقال الطبري: " لنسودن وجهه ، فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانت الناصية في مقدم الوجه، وقيل: معنى ذلك: لناخذن بناصيته إلى النار، كما قال: ﴿.. فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرَّحْمَن:٤١] " (٤) ، قال الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْمَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق:١٥] " لناخذن بمقدم رأسه فلندلته " (٥) .

٥- طرح سلا الجزور على ظهر رسول الله ﷺ ، فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ ، وَقَدْ نُجِرَتْ جُرُورٌ بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلَا جُرُورِ بَنِي فُلَانٍ، فَيَأْخُذُهَا فَيَضَعُهَا فِي كَتِفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَأَنْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَضْحَكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّبِيِّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ، فَجَاءَتْ وَهِيَ جُورِيَّةٌ، فَطَرَحْتُهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ ، رَفَعَ صَوْتَهُ ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِفُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكَ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَنْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَعى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سَجَبُوا إِلَى الْقَلْبِ (٦) - قَلْبِ بَدْرٍ - (٧) .

٦- ومن ذلك ما جاء عند البخاري أن عروة بن الزبير سأل عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن أشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ ؟ فقال: " بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفَنَاءٍ

(١) صحيح مسلم - كتاب التوبة - باب في نزول {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ} - ١٣٠ / ٨ - رقم ٧١٦٧ .

(٢) ناديه: أي قومه (انظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار - القاضي عياض - ٧ / ٢) .

(٣) سنن الترمذي - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ - باب وَمِنْ سُورَةِ أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ - ٥ / ٤٤٤ - رقم

٣٣٤٩ ، حكم الألباني في نفس الكتاب: بأنه صحيح الإسناد

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٥٢٥ / ٢٤ .

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ١٠ / ٢٤٦ .

(٦) الْقَلْبِ: اسمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْبُئْرِ، وَسَمَّيْتُ قَلْبِيًّا لِأَنَّ حَافِرَهَا قَلْبٌ تُرَابُهَا (انظر: تهذيب اللغة - محمد الهروي -

١٤٤ / ٩) .

(٧) صحيح مسلم - كتاب المغازي - بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ - ١٧٩ / ٥ - رقم ٤٦٧٢ .

الكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنَقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَالَ: ﴿... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ [غافر: ٢٨] (١) .

المطلب الثاني

إيذاء المشركين للنبي ﷺ بافتراءهم على شخصه

لقد تعددت صنوف الأذى على النبي ﷺ ، فبعد أن وجد المشركون أن إيذاء النبي ﷺ وأصحابه في أبدانهم ، ومحاولة قتله ﷺ لن يثني النبي ﷺ عن وقف دعوة الحق والنور ، استخدموا طرقاً أخرى في محاولة بائسة للطعن في دعوة النبي ﷺ ، فأصبحوا يلقون بالشبهات والأراجيف لزعزعة الناس من صدق هذه الدعوة ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] ، ولقد كان الله ﷻ لهم بالمرصاد في كشف أباطيلهم وشبههم حيث تولى الله ﷻ الدفاع عن خليله دون غيره من الأنبياء كما سبقت الإشارة إليه، وهذا من عظيم عناية الله ﷻ به ، ولقد كان من جملة حججهم الواهية وافتراءاتهم ، أنهم افتروا على شخص النبي ﷺ ، وفيما يلي عرض لهذه الافتراءات وكيف تولى سبحانه الدفاع عن نبيه ﷺ فيها :

أولاً : فريتهم على شخص النبي ﷺ بأن رسل الله ﷻ لا يكونون مثله من جنس البشر، بل من جنس الملائكة الكرام :

لقد قال المشركون بعدم إمكانية الجمع بين البشرية والنبوة في الذات الواحدة، ومعنى ذلك: عدم تصديق الرسول المرسل بسبب كونه من البشر، ولم يكن هذا الاحتجاج بدعاً من عند المشركين أنفسهم في اتهام النبي ﷺ ، وإنما كانت هذه الفرية والاحتجاج ديدن الكثير من المعاندين لدعوة رسل الله عليهم السلام لإنكار دعوتهم، فلقد أخبر الله ﷻ عن حال مشركي قريش في قوله ﷻ : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] أي: وما منع مشركي قومك يا محمد عن الإيمان بالله، وبما جنتهم به من الحق إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جنتهم به، إلا قولهم جهلاً منهم ﴿...أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا

(١) صحيح البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابُ قَوْلِهِ: لَوْ نَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} - ٦ / ١٢٧ - رقم ٤٨١٥ .

رَسُولًا ﴿ [الإسراء: ٩٤] ^(١) ، وقد جعلوا ذلك من الأمور التي يُعجب منها كما في قوله سبحانه: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤] الضمير في قوله عَجِبُوا: لكفار قريش، وقوله: منذر منهم أي: بشر مثلهم ^(٢)، وقد كان دافع المشركين من هذه الفرية الصد عن دعوته ﷺ ، وأن المسألة لا تتعلق بصدق النبي وما معه من المعجزات والدلائل الدامغات، بل الأمر أعظم من ذلك بأن الله ﷻ لا يرسل من البشر رسلاً، بل يرسلهم من الملائكة المكرمين، وعلى الرغم من سذاجة هذه الشبهة وتفاهتها، لكونها لم تدعم بدليل فإن القرآن الكريم لم يمر على هذه الشبهة دون الردّ عليها، وإبطالها، وذلك لتنشيط قلب النبي ﷺ وتقوية عزائم المؤمنين، وخذلان الباطل، فقال سبحانه آيات دامغات لدحض هذه الحجة فقال ﷻ: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمُشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٥] ، أي لو كان في الأرض ملائكة يمشون عليها مطمئنين، لأرسلنا إليهم رسولاً من جنسهم، ولكن أهل الأرض بشر، فالرسول إليهم ينبغي أن يكون من جنسهم؛ ليتمكنهم مخاطبته وفهم كلامه ^(٣) وقال ﷻ: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩] قال الخازن: " وهذه سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية، ثم لم يؤمنوا؛ استوجبوا العذاب، واستوصلوا به، ثم لا يُنظرون، يعني أنهم لا يمهلون، ولا يؤخرون طرفة عين، بل يعجل لهم العذاب " ^(٤) ، وقال سبحانه: ﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ [الحجر: ٨] ومعناه: " أنهم لو نزلوا عيانا زال الإمهال عن الكفار وعذبوا في الحال " ^(٥)، كما أن الله ﷻ ما أرسل إلى الأمم الماضية إلا رجالاً آدميين ، ووجههم أن يسألوا أهل الذكر من مؤمني أهل الكتاب فسوف يخبرونهم أن جميع الأنبياء كانوا من البشر، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] ، وهنا في هذه الآيات كان رد الله ﷻ على المشركين داحضاً لأصل حجبتهم الباطلة (بأن الرسل لا يكونون من البشر) ، فإن المشركين يؤمنون بالملائكة وهم غيب، فكيف بالنبي ﷺ

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٧ / ٥٥٨ .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٧ / ٥٣، الجواهر الحسان في تفسير القرآن - الثعالبي - ٥ / ٥٥ .

(٣) انظر: التفسير الميسر - نخبة من أساتذة التفسير - ١ / ٢٩١ .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل - ٢ / ١٠٠ .

(٥) تفسير القرآن - السمعاني - ٣ / ١٣١ .

وهو مائل بين أيديهم، معلوم الصدق والأمانة والحق الذي لا يأتي إلا من عند الله ﷻ، فتلك البينة الواضحة على صدق النبي ﷺ وصدق ما جاء به .

ثانياً : فريتهم على شخص النبي ﷺ أنه ليس أحق بالرسالة من أعظم قومه :

ذكر هذه الفرية المشركون الذين امتنعوا عن قبول دعوة النبي ﷺ ، فأذكروا أن يختصه الله ﷻ بالنبوة دون أن تكون لأحد عظماءهم ، فلو كانت نبوة حقاً ؛ لكانت إلى أحدهما ، فذكر سبحانه قولهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ ﴾ [الزُخْرَف: ٣١] ، فإن الرسالة عندهم منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم عندهم ، قال البيضاوي : " ولم يعلموا أنها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية، لا التزخرف بالزخارف الدنيوية" (١) ، فقد كان دافع هذا الافتراء هو الاستكبار والحسد للنبي ﷺ ، وخشية زوال سلطان عليّة القوم ، وقد كانوا يعترفون بفضل ﷺ وصدقه وأمانته ، وشرف نسبه وطهارة بيته - كما أسلفت - ، وقالوا أن منصب رسالة الله منصب شريف ، لا يليق إلا برجل شريف ، وقد صدقوا في ذلك إلا أن المعيار عندهم للشرف كان فاسداً، فالرجل الشريف عندهم هو الذي يكون كثير المال والجاه ، ومحمد ﷺ ، ليس كذلك ، فظنوا أن من عظم قدره ومنزلته عند الخلق بما وسّع عليه، وأعطى من الأموال هو عند الله كذلك (٢)، فرد سبحانه عليهم بقوله : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزُخْرَف: ٣٢] أي: كلا، لا حقّ لهم، فالله يفعل ما يشاء سبحانه، فخاطبهم سبحانه نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولاً ومن أردنا صديقاً، ونتخذ من أردنا خليلاً كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا ملكاً، وهذا مملوكاً (٣)، فأخبر ﷻ أن أمر النبوة اصطفاء وفضل من الله ﷻ ليس للبشر فيه اختيار، فليس الأمر مردوداً إليهم، بل إلى الله ﷻ، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلباً ونفساً، وأشرفهم بيتاً، وأطهرهم أصلاً (٤) ، كما رد الله ﷻ عليهم بأن بين لهم أن المال ليس معياراً للتفاضل والاصطفاء فقال سبحانه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨] ، قال الطاهر بن

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل - ٩٠ / ٥ .

(٢) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن - القنوجي - ١٢ / ٣٤٨، تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ١٦٢ / ٩ .

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٢١ / ٥٩٥، بيان المعاني - عبد القادر العاني - ٦٨ / ٤ .

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٢٢٦ / ٧ .

عاشور في تفسيره: "إِنَّ الْمَالَ الَّذِي جَعَلُوهُ عِمَادَ الْإِصْطِفَاءِ لِلرَّسَالَةِ هُوَ أَقْلٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَهِيَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنَ الْمَالِ الَّذِي جَعَلُوهُ سَبَبَ التَّفْضِيلِ حِينَ قَالُوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الرَّحْف: ٣١] فَإِنَّ الْمَالَ شَيْءٌ جَمَعَهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَكُونُ مِثْلَ إِصْطِفَاءِ اللَّهِ الْعَبْدَ لِيُرْسِلَهُ إِلَى النَّاسِ " (١) فقد بيّن سبحانه هنا أنه لم يوسع الدنيا على من وسع لفضل منزلته وقدره عنده ، وعلى من ضيق إنما ضيق لهوان له عنده ، لكن رُب مضيق عليه مُكْرَمٌ عظيم عند الله ﷻ ، ورُبَّ موسّع عليه يكون مهاناً عند الله تبارك وتعالى (٢) .

ثالثاً : ادعواهم بأن النبي ﷺ لا يريد من دعوته إلا طلب المنزلة والجاه :

لقد جعل المشركون ما يقوله النبي ﷺ زعماً أراد به التفضل وطلب الجاه والمنزلة بدعوى الرسالة، كما أخبر سبحانه عن حالهم هذا، حيث قال : ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦] ، قال الطبري في تفسير قوله ﷻ : (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) : "أي إن هذا القول الذي يقول محمد، ويدعونا إليه، من قول لا إله إلا الله ، شيء يريد من محمد يطلب به الاستعلاء علينا، وأن نكون له فيه أتباعاً ولسناً مجيبين إلى ذلك" (٣) ، وقال السعدي في الآية: أي: له قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء، فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يُرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما يُردُّ بمقابلته بما يبطله ويفسده من الحجج والبراهين، يقصدون بذلك أن النبي ﷺ، ما دعاهم إلى ما دعاهم، إلا ليرأس فيهم، ويكون معظماً عندهم، متبوعاً (٤) ، وقال سبحانه في نفي هذه الفرية عن النبي ﷺ أنه ما طلب منهم لا جاهاً، ولا سلطاناً، ولا حتى أجراً، فقال سبحانه : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧] قال ابن عاشور: "... وهذا استقصاء لبقايا شبه التكذيب لدحضها، سواء منها ما تعلقوا به من نحو قولهم: كاهن وشاعر ومجنون... " (٥) ، ومعنى الآية أنه سبحانه أمر رسوله ﷺ أن يقول للمشركين لا أريد منكم جُعلاً ولا عطاءً على أداء رسالة الله إِلَيْكُمْ، وَتُصْحِي إِيَّاكُمْ، وَأَمْرِكُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ حَتَّى أَكُونَ بِمَوْضِعِ تَهْمَةٍ، بَأْنَنِي إِنَّمَا أَدْعُو إِلَى مَا أَدْعُو إِلَيْهِ، ابْتِغَاءَ كَسْبِ مَادِي لِدَاتِ نَفْسِي، إِنَّمَا أَطْلُبُ ثَوَابَ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ وَحْدَهُ، إِنَّمَا

(١) التحرير والتنوير - ٢٥ / ٢٠٢ .

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ٩ / ١٦٢ .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢١ / ١٥٢ ، وانظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٧ / ٥٣ .

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي - ص ٧١٠ .

(٥) التحرير والتنوير - ٢٢ / ٢٣٥ .

دعوة بريئة من كل غرض شخصي، خالصة من كل مؤونة تحملونها من أجلها، فماذا يحجزكم عنها، أو يحملكم على التصدي لها، والوقوف في وجهها (١)، بل قد ثبت أن المشركين أنفسهم ساوموا النبي ﷺ مقابل ترك دعوته، فقالوا إن كنت تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سؤدناك علينا، وإن كنت تريد ملكانا علينا، فكان رده ﷺ مقولة تقشعر لها الجلود، وتخضع لها القلوب قوله رجل واثق من نصر ربه، ومؤمن بما يبلغ عن ربه من أن الله ﷻ سينصر هذا الدين، ويعلي رايته، ولو كره الكافرون، فقد روى ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (مَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ؛ وَلَكِنْ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَبَلَّغْتُكُمْ رَسُولًا رَّبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ، فَإِنْ تَقَبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظٌّ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) (٢) وهذا من أكبر الأدلة أنه ﷺ ما كان يريد من دعوته إلا رضى مولاه ﷺ ، وإلا لو كان النبي ﷺ يريد شيئاً من متاع الدنيا لتخلى عن دعوته، وقبل بعروض المشركين - تلك العروض التي تُخضع أكابر الرجال - ولأراح نفسه من عناء الحروب، فكان ﷺ بثباته على دعوته جديراً لأن يحظى بكل حب وتقدير واحترام وتبجيل من جميع من اتبعوه، وآمنوا به، واتبعوا النور الذي جاء به .

رابعاً : التقول على النبي ﷺ واتهامه بالسحر (٣) والجنون :

لقد افترى المشركون على النبي ﷺ ، واتهموه بالسحر تارة ، وبالجنون أخرى ، فقال تعالى مخبراً عن قولهم : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤] ، وقال تعالى : ﴿ ... وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ [الفرقان: ٨] ذكر الطبري في تفسيره: " قال هؤلاء الكافرون الذين قالوا: محمد ﷺ ساحر: أجعل محمد ﷺ المعبودات كلها واحداً، يسمع دعائنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا، إن هذا لشيء عجيب" (٤) ، وذلك لأن النبي ﷺ دعاهم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٦ / ٥٢٦ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١١ / ٨٤١ .

(٢) خلق أفعال العباد - البخاري - ص ٩٢ .

(٣) السحر: الأخذة التي تأخذ العين حتى تظن أن الأمر كما يرى. والجمع أسحارٌ وسُحور. سحره يسحره سحراً وسحراً، وسحره، ورجل ساحرٌ، من قوم سحره وسحارٌ (انظر: المحكم والمحيط الأعظم - ابن سيده - ٣ / ١٨٢) .

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢١ / ١٤٩ .

إلى عبادة الله وحده وأبطل عبادة آلهتهم^(١) ، قال القاسمي: " وذلك لتمكن تقليد آبائهم في نفوسهم، ورسوخه في أعماق قلوبهم، ومضي قرون عديدة عليه، والفهم به وأنسهم له، حتى ران على قلوبهم، وغشي على أبصارهم، ونسي باب النظر والاستدلال؛ بل محي بالكلية من بينهم، وصار عندهم من أبطل الباطل وأمحل المحال " (٢) ، وقال سيد قطب عن الدافع لاختلاق هذه الفرية: " والحق الذي لا مرية فيه أن كبراء قريش لم يصدقوا أنفسهم لحظة وهم يقولون عن محمد ﷺ الذي يعرفونه حق المعرفة: إنه ساحر، وأنه كذاب! إنما كان هذا سلاحاً من أسلحة التهويش والتضليل، وحرب الخداع التي يتقنها الكبراء، ويتخذونها لحماية أنفسهم ومراكزهم من خطر الحق الذي يتمثل في هذه العقيدة، ويزلزل القيم الزائفة، والأوضاع الباطلة، التي يستند إليها أولئك الكبراء " (٣) ، والذي يدل على ذلك ما قاله كبيرهم الوليد بن المغيرة، عندما اقترح عليه زعماء قريش أن يُشهروا بين الحجاج أن النبي ﷺ هو ساحرٌ، فقال الوليد: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا السُّحَّارَ وَسَحَرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْتِهِمْ وَلَا عَقْدِهِمْ^(٤)، ولكن عندما أعتبهم المذاهب، وأبوا إلا أن يتبعوا باطلهم، جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، فقالوا عن النبي ﷺ ساحر، وتعالى عن ذلك بل هو رسول كريم، فكان الرد عليهم بإعلامهم بحال الرسول، بأنه نذير لقومه بين يدي عذاب أليم، فما هو بساحر كما يزعمون، فالساحر إنما يطلب إظهار نفسه وضرر الآخرين، وما ذاك من حال المنذرين المرسلين، كما قال ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [ص: ٦٥] قال المراغي: " أي قل أيها الرسول لمشركي مكة: إنما أنا نذير مرسل من ربي لأحذركم مخالفة أوامره حتى لا يحل بكم من العقاب مثل ما حل بالأمم قبلكم كعاد وثمود، ولست بالساحر ولا الكذاب، ولا بالمسيطر الجبار " (٥) ، كما أن تخطب المشركين في أمر القرآن ومحمد ﷺ يدل على كذبهم، فتارة يرمي المشركون محمداً ﷺ بالسحر، وتارة أخرى يرمون القرآن الكريم بالسحر، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَإِنَّا لَنَرَاهُ لَفِي سِحْرٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٧] وهذا تخطب منهم وضلال في أمر القرآن ومحمد ﷺ يدل على كذبهم .

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٥٦٠ / ٣ .

(٢) محاسن التأويل - ٢٤٠ / ٨ .

(٣) في ظلال القرآن - ٣٠٠٨ / ٥ .

(٤) انظر: السيرة النبوية - ابن هشام - ٢٧٠ / ١ .

(٥) تفسير المراغي - ١٣٥ / ٢٣ .

كما قال سبحانه عن الفرية الأخرى: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] قال القشيري: " الجنون معنى يوجب إسناد ما ينكشف للعقلاء من التحصيل على صاحبه، فلما كانوا بوصف التباس الحقائق عليهم فهم أولى بما وصفوه به " (١) ، ولقد ردَّ الله ﷻ عليهم فقال سبحانه مسلماً نبيه ﷺ أنه سبحانه لم يرسل رسولاَ الا قال عنه قومه ساحر أو مجنون فقال: ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ [الذاريات: ٥٢] فبين سبحانه أن سبب تواطؤهم على ذلك ليس التواصي به؛ لاختلاف أزمانهم وأماكنهم، ولكن الذي جمعهم مشابهة بعضهم لبعض في الطغيان، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨] فهذه الآيات تدل على أن سبب تشابه مقالتهم لرسولهم هو تشابه قلوبهم في الكفر والطغيان، وكراهية الحق (٢) ، كما دافع الله ﷻ عنه وأقسم بما يشاء إنه لرسول كريم وماهو بمجنون، قال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * نَهَ لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ١٥-٢٢] قال السعدي: فقد أقسم الله ﷻ أن نبيه ﷺ أكمل الناس عقلاً وأجزلهم رأياً، وأصدقهم لهجة (٣) .

خامساً : فريتهم على النبي ﷺ واتهامه بأنه شاعر :

لم يدع كفار قريش افتراء إلا وألصقوه بنبي الرحمة ﷺ فقد اتهموه بأن ما جاء به من الوحي من قبيل الشعر الذي يروق للسمع، ويلهب المشاعر، وليس بوحي من الله ﷻ ، وقولهم هو شاعر يقتضي لا محالة أنهم يقولون: أن القرآن شعر (٤) ، مع أنهم يعلمون في قرارة نفوسهم بطلان هذه الفرية فالوليد بن المغيرة يقول: " ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر " (٥) ، والنضر بن الحارث يقول: " وقلتم: شاعر، ولا والله ما هو بشاعر ولقد روينا الشعر وأصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه " (٦) ، ولمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ

(١) لطائف الإشارات - ٢ / ٢٦٣ .

(٢) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - الشنقيطي - ٧ / ٤٤٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي - ص ٩١٣ (بتصرف يسير) .

(٤) انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٢٣ / ٥٦ .

(٥) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) - ص ١٥١ .

(٦) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) - ص ٢٠١ .

بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ : اِرْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَأَعْلَمَ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاسْمَعُ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ انْتَبَيْ، فَأَنْطَلَقَ الْآخَرَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشَّعْرِ (١)، فقد نزه الله ﷺ نبيه ﷺ عن تأليف الشعر فليس من طباعه ﷺ ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ [يس: ٦٩] ذكر سيد قطب في تفسيره: أن القول بأن الرسول شاعر، وما أتى به من الله ﷺ فهو شعر شبهة واهية، فللشعر منهج غير منهج النبوة، فهو نتيجة انفعال من انفعالاته، والانفعال يتقلب من حال إلى حال، والنبوة وحي، على منهج ثابت على صراط مستقيم، فلا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء الطارئة، تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة التي لا تثبت على حال، أما النبوة فهي اتصال دائم بالله ﷻ، وتلق مباشر عن وحي الله ﷻ ، ومحاولة دائمة لرد الحياة إلى الله ﷻ، بينما الشعر - في أعلى صوره - أشواق إنسانية إلى الجمال والكمال مشوبة بقصور الإنسان وتصوراته المحدودة بحدود مداركه واستعداداته، فأما حين يهبط عن صورته العالية، فهو انفعالات ونزوات قد تهبط حتى تكون صراخ جسد، وفورة لحم ودم! فطبيعة النبوة وطبيعة الشعر مختلفتان من الأساس، هذه - في أعلى صورها - أشواق تصعد من الأرض، وتلك في صميمها هداية تنتزل من السماء (٢) ، وذكر ابن عاشور الحكمة في أن لا يكون القرآن من الشعر مع أن المتحدين به بلغاء العرب، وجلهم شعراء، وبلاغتهم مودعة في أشعارهم حيث قال: " الجمع بين الإعجاز وبين سد باب الشبهة التي تعرض لهم لو جاء القرآن على موازين الشعر، وهي شبهة الغلط أو المغالطة بعدهم النبي ﷺ في زمرة الشعراء، فيحسب جمهور الناس الذين لا تغوص مدركاتهم على الحقائق أن ما جاء به الرسول ليس بالعجيب، وأن هذا الجائي به ليس بنبي ولكنه شاعر، فكان القرآن معجزاً لبلغاء العرب بكونه من نوع كلامهم لا يستطيعون جحوداً لذلك، ولكنه ليس من الصنف المسمى بالشعر، بل هو فائق على شعرهم في محاسنه البلاغية، وليس هو في أسلوب الشعر بالأوزان التي ألقوها، بل هو في أسلوب الكتب السماوية والذكر ، ولقد ظهرت حكمة علام الغيوب في ذلك، فإن المشركين لما سمعوا القرآن ابتدروا إلى الطعن في كونه منزلاً من عند الله بقولهم في الرسول: هو شاعر، أي أن كلامه شعر حتى أفاقهم من غفلتهم عقلاؤهم مثل الوليد بن المغيرة،

(١) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب من فضائل أبي ذرٍّ ﷺ - ٤ / ١٩٢٣

- رقم ٢٤٧٤ .

(٢) في ظلال القرآن - ٥ / ٢٩٧٥ (بتصرف) .

وأنيس بن جنادة الغفاري، وحتى قرعهم القرآن بهذه الآية: لَوْ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ { (١) = (٢) .

سادساً : فريتهم على النبي ﷺ واتهامه بأنه كاهن :

ذكر القاضي عياض أن المشركون قد احتجوا على النبي ﷺ بأن الذي أتى به هو قول كاهن، مما يستلزم أن ما أتى به من قبيل الكهانة (٣) ، وأن ما يقول أنه وحي أتاه إنما هو من سجع الكهان وقولهم، وذلك لأن الكهانة تقوم على التخرص والتنبؤ ببعض الأمور الغيبية (٤) ، فأخبر سبحانه عن قولهم ونفاه قائلاً جل في علاه: ﴿ فَذَكَّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ [الطور: ٢٩] وكان الدافع من هذه الفرية الصد عن سماع ما أتى به النبي ﷺ ، وأن ما يقوله ليس بأمر من الله ﷻ، ولا وحي أوحاه الله تعالى إليه، إضافة الى لمز دعوة النبي ﷺ بكل باطل يشابهها من قريب أو بعيد، وحجتهم أن السحر أو الكهانة له قوة تأثير على النفوس، مستمدة من قوة سحرية شيطانية خفية - على حد زعمهم - وفي حقيقة الأمر فإن هذا الاحتجاج الذي لا يتمسك بأي خيط من خيوط الموضوعية والصدق، وأن الأصل في الكهانة مَحْمُولٌ أَكْثَرَهَا عَلَى الْكُذِبِ وَالْمَخَادَعَةِ وتنزيل الأمر الواقع، يمثل هروباً من وجه الحقيقة الناصعة ذات التأثير المستمر، الذي لا يستطيعه أرباب السحر والكهانة (٥) ، فجاء الرد القرآني ظاهراً عليهم داحضاً لحججهم وافتراءاتهم بأن حال النبي ﷺ ليس كحال الكهان، وما ينبغي لكلام الله ﷻ المنزه عن الشياطين، المحفوظ من رب العالمين، الذي أعجز البلغاء بقوة بيانه ومعانيه، أن يكون من كلام الكهان الكذابين (٦) ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴾ [الشعراء ٢١٠-٢١٢] فالحق الذي جاء به النبي محمد ﷺ في هذا القرآن العظيم، المتضمن لدين الإسلام كائن مبدؤه من ركنم جل وعلا، فليس من وحي الشيطان، ولا من افتراء الكهنة، ولا من أساطير الأولين، ولا غير ذلك، بل هو من خالقكم ﷻ ، الذي تلزمكم طاعته وحده، وتوحيده، ولا

(١) سورة يس: الآية (٦٩) .

(٢) التحرير والتنوير - ٢٣ / ٦١ .

(٣) الكهانة: هي الإخبار عن الأمور الماضية الخفية بضرب من الظن (انظر: التوقيف على مهمات التعاريف - زين الدين محمد - ص ١٠٧) .

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار - ١ / ٢٧٣ (بتصرف) .

(٥) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم - عبد الرحمن حَبَنَكَة - ص ٤٢٥ ، التوحيد - الماتريدي - ص ٢٠٩ ، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - نخبة من العلماء - ص ٧١ .

(٦) انظر: التفسير الحديث - دروزة - ٣ / ٢٦٨ ، التحرير والتنوير - ابن عاشور - ١٩ / ١٩٨ .

يأتي من لدنه إلا الحق الشامل للصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام، فلا حق إلا منه جل وعلا^(١) ، كما وصف الله ﷻ القائلين بأنّ القرآن سحر بالكفر، قال تعالى: ﴿... وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ: ٤٣] .

والمطالع للسنّة النبوية يجد نهياً قاطعاً، وتحذيراً شديداً من السحر والكهانة، والتنجيم والشعوذة، وبيان الخطر الكبير من تصديقهم، كما حذر ﷺ من السماع لهم وحتى الذهاب إليهم من شدة بغضه لهم، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) ^(٢) ، فكيف يكون منهم - حاشاه ذلك - يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَالشَّيَاطِينُ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ يَحْصُلُ مَقْصُودُهَا بِنُزُولِهَا عَلَيْهِ، وَهُوَ الْمُنَاسِبُ لَهَا فِي الْكُذْبِ وَالْفُجُورِ، فَأَمَّا الصَّادِقُ الْبَارُّ، فَلَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودُ الشَّيَاطِينِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَطْلُبُ الصِّدْقَ وَالْبِرَّ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ الْكُذْبَ وَالْفُجُورَ؛ وَمَحَمَّدٌ ﷺ مَا زَالَ قَوْمُهُ يَعْرِفُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، لَمْ تُجْرَبْ عَلَيْهِ كَذِبَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمَّا جَاءَهُ الرُّوحُ بِالْوَحْيِ لَمْ يُخْبِرْ بِخَيْرٍ وَاحِدٍ كَذِبٍ، لَا عَمْدًا وَلَا خَطَأً؛ أَمَا مَنْ تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ الشَّيَاطِينُ لَا بُدَّ أَنْ يُخْبِرَ بِالْكَذِبِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينِ يُلْقُونَ إِلَيْهِمُ السَّمْعَ، وَلَا يُلْقُونَ إِلَيْهِمْ مَا سَمِعُوهُ عَلَى وَجْهِهِ، بَلْ يَكْذِبُونَ فِيهِ كَثِيرًا؛ إِذْ كَانَ أَكْثَرَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَنْزِلُونَ عَلَيْهِمْ كَاذِبِينَ فِيمَا يَنْزِلُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ ^(٣) .

وذكر سيد قطب في ذلك كلاماً جميلاً: إن دعوة الإسلام إنما تستهدف تقرير ربوبية الله ﷻ وحده للعالمين، وتتحية الأرباب الزائفة التي تغتصب حقوق الألوهية وخصائصها، وتزاولها في حياة الناس، وما كانت هذه الأرباب المستخفة للجماهير لتدع كلمة الحق والهدى تصل إلى هذه الجماهير وتدع الإعلان العام الذي يحمله الإسلام بربوبية الله وحده للعالمين، وتحرير رقاب البشر من العبودية للعباد، لأنها تعلم أنه إعلان بالثورة على ربوبيتهم، والانقلاب على سلطانهم، والانقضاء على ملكهم، وما كان رجال من أذكىاء قريش مثلاً ليخطئوا إدراك ما في رسالة محمد ﷺ من صدق وسمو، وما في عقيدة الشرك من تهافت وفساد، ولكنهم كانوا يخشون على مكانتهم الموروثة، القائمة على ما في تلك العقيدة من خرافات وتقاليد ^(٤) .

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - الشنقيطي - ٢٦٦ / ٣ (بتصرف) .

(٢) سنن الترمذي - أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ - باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض - ٢٤٣ / ١ -

رقم ١٣٥ ، وحكم عليه الألباني في نفس الكتاب بأنه صحيح .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ٣٥٦ / ٥ (بتصرف يسير) .

(٤) في ظلال القرآن - ١٨١٤ / ٣ (بتصرف) .

كما أن تخبط المشركين وضلالهم يسقط افتراءهم على النبي ﷺ ، فتارة يقولون عنه : إنه ساحر، قال سبحانه وتعالى: ﴿... قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤] ، وكذلك يرمون ما جاء به من آيات الله ﷻ بأنها سحر ظاهر، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصفات: ١٥] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٧] ، وتارة ينهمون الرسول ﷺ نفسه بأنه مسحور، وذلك بما استمعوه من الكلام الذي ينلوه، قال سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿... وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨] ، ومنهم من قال: إنه شاعر، ومنهم من قال: كاهن، قال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْبَيِّنَاتِ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥] ، لذلك رد عليهم القرآن : ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَدْكُرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة ٤١-٤٣] .

المطلب الثالث

إيذاء المشركين للنبي ﷺ بافتراءهم على رسالته

لقد حاول المشركون أن ينفوا نسبة الكتاب الذي جاء به النبي ﷺ إلى الله ﷻ ، سالكين بذلك سبيل المجرمين، وذلك حتى يصرفوا الناس عن سماعه واتباعه، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ لِقَاءَنَا لِقَاءًا بِمِثْلِ مَا يُرْجُونَ لَوْ لَمْ يَأْتِ الْبُرْهَانُ بِشَيْءٍ لَافْتِنَا بِهِ وَلَا نَدْرَأُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٥-١٦] ، حيث جادل المشركون في نسبة القرآن إلى الله ﷻ حيث احتجوا على طريقة نزوله، قال تعالى مخبراً عن حالهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً...﴾ [الفرقان: ٣٢] ، فكان الرد عليهم ﴿... كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] ، فبين سبحانه شبههم وافتراءاتهم ودحضها، فقد كان هذا القرآن العظيم مبطلاً لكل حجة يأتي بها المشركون، الذين كالوا التهم الباطلة جزافاً في القرآن وصاحبه، ولو عقلوا وتدبروا لأيقنوا أنه من عند الله ﷻ فعلاً، ومن الافتراءات على رسالة النبي ﷺ ما يلي:

أولاً : افتراءهم أن ما جاء به النبي ﷺ هو من قول البشر :

لقد زعم المشركون أن ما أتى به النبي ﷺ ليس بكلام الله ﷻ فقالوا تارة أن هذا القرآن كلام محمد ﷺ ، اختلقه من تلقاء نفسه، فقال تعالى عن قولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: ٧] ، وقالوا أيضاً افتراه محمد ﷺ ، كما أخبر سبحانه عنهم: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ...﴾ [النحل: ١٠١] فردّ عليهم سبحانه: ﴿... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] ، وقالوا أن القرآن اقتراه محمد ﷺ وأعانه عليه قوم آخرون، كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ...﴾ [الفرقان: ٤] فردّ عليهم سبحانه: ﴿... فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤] ، وقالوا تارة أخرى إنما هو من تعليم بشر، حيث أخبر سبحانه عن قولهم فقال : ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣] ، كما قال سبحانه: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٤-٢٥] فقال الله ﷻ مخبراً عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت: بَأَنَّ مُحَمَّدًا إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ هَذَا الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَيْنَا مِنَ الْقُرْآنِ بَشَرٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَيُشِيرُونَ إِلَى رَجُلٍ أَعْجَمِيٍّ كَانَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ - اختلف في اسمه - ، فقال سبحانه مدافعاً عن

صدق نبيه ﷺ ومكذبهم في قيلهم ذلك وبطلان بهتهم، بأن لسان الرجل الذي ينسبون إليه التعليم أعجمي لا يُفصح، وهذا القرآن الكريم عربي غاية في الوضوح والبيان، إلى حد أنك عجزتم أيها المكابرون عن محاكاتها، كيف يصح بعد ذلك اتهامكم ، فكيف للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا التنزيل، وما حواه من العلوم ، فضلاً أن ينطق به، فضلاً أن يكون معلماً له (١) ، يقول سيد قطب رحمه الله : "وهذه المقالة منهم يصعب حملها على الجد، وأغلب الظن أنها كيد من كيدهم الذي كانوا يريدونه ويعلمون كذبه وافتراءه ، وإلا فكيف يقولون - وهم أخبر بقيمة هذا الكتاب وإعجازه - أن أعجمياً يملك أن يعلم محمداً هذا الكتاب؟ ولئن كان قادراً على مثله، لظهر به لنفسه " (٢)

ثانياً : افتراءهم أن ما جاء به النبي ﷺ ما هو إلا أساطير الأولين :

الأساطير : واحدها أسطورة كأحدثة وأحاديث، وأرجوحة وأراجيح، وهي الأباطيل، وأساطير الأولين: معناه ما سطره الأولون من أعاجيب أحاديثهم، وأكاذيبهم التي كتبوها (٣) .

فقد زعم المشركون بأن القرآن الكريم إنما هو أساطير من أساطير الأولين الماضية - على حد زعمهم - فقالوا : ﴿ وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥] ذكر أهل التفسير أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة بن كعدة، وأنه لما سمع رسول الله ﷺ يذكر قصص القرون الماضية، قال: لو شئت لقلت مثل هذا (٤) ، وقد كان هذا حال المشركين عند سماع آيات الكتاب الكريم الذي جاء به أكرم الخلق محمد ﷺ كما قال سبحانه عنهم: ﴿ وَإِذَا تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣١] فأخذوا في كيل الاتهامات إلى النبي ﷺ افتراءً، وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم وأن هذا القرآن ليس بأساطير الأولين، ولكنهم إنما كانوا يجادلون ويبحثون عن أسباب الرد والتكذيب، ويتلمسون أوجه الشبهات البعيدة ، فقد قالوا أن ما أتى به محمد ﷺ هو من قصص الماضين أمثال رستم واسفنديار، وليس من كلام الله ﷻ، بل كان حاله كحال القصص المفترين وليس بحال الانبياء

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٧ / ٢٩٨ ، محاسن التأويل - القاسمي - ٦ / ٤١٠ ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة من علماء الأزهر - ص ٤٠٣ .

(٢) في ظلال القرآن - ٤ / ٢١٩٥ .

(٣) انظر: أساس البلاغة - الزمخشري - ١ / ٤٥٤ ، الكليات - أبو البقاء الحنفي - ص ١١٦ ، لسان العرب - ابن منظور - ٤ / ٣٦٣ .

(٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٢ / ٢٠٥

الصادقين - على حد زعمهم - (١) ، وقد كان مقصود المشركين من ذكر قولهم: {إِنْ هَذَا إِلَّا
 أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} من باب التماس أوهى الأسباب، مظنة أن يقلع عنه قائله، والتشغيب عليه ﷺ ،
 إضافة إلى القدح في كون القرآن معجزاً، وبالتالي أن هذا الكلام - القرآن - من جنس سائر
 الحكايات المكتوبة، والقصص المذكورة للأولين، وإذا كان هذا من جنس تلك الكتب المشتملة على
 حكايات الأولين، وأقاصيص الأقدمين، لم يكن معجزاً خارقاً للعادة (٢)، كما جاء ذلك عنهم في
 آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أُسَاطِيرُ
 الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقد ردَّ الله ﷻ افتراء المشركين بأن حال القرآن الكريم ليس كحال أساطير
 الأولين يشتمه في صحتها، بل هو حق وصدق، يشتمل القصص والأحكام والحوادث والمواعظ، ولا
 يكتفي بالقصص فقط، كما قال تعالى: ﴿ ... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
 لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] ، بل حتى ما فيه من قصص الأمم الغابرة لم يسردها سرداً تاريخياً، بل
 إنه سيق في معرض التذكير والتحذير وأخذ العظة والعبرة، كما قال سبحانه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ
 أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، فنزول القرآن
 عند حدوث الحوادث دلالة على إعجازه من ناحية الارتجال، وهي إحدى طريقتين لبلغاء العرب في
 أقوالهم، فنزوله على حوادث يقطع دعوى من ادَّعوا أنه أساطير الأولين (٣).

وبين كذب المشركين في دعواهم أن القرآن أساطير الأولين بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ
 الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴾ [الفرقان: ٦] فمحمد ﷺ لم يأخذ هذا الكتاب عن أحد أو
 اكتتب له، بل إنه ﷺ أمي لا يعرف القراءة والكتابة، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ
 كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] فهذا من المعجزات البينة للنبي ﷺ أنه
 لم يقرأ كتاباً، ولم يكتب حروفاً بيمينه قبل نزول القرآن عليه، وهم يعرفون ذلك، ولو كان قارئاً أو
 كاتباً من قبل أن يوحى إليك لشك في ذلك المبطلون ، وقد سماهم مبطلين لكفرهم، وكونهم غير

(١) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٠٦٦ / ٢ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن - الثعالبي - ١٢٨ / ٣ .
 (٢) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - الرازي - ١٢ / ٥٠٦ ، التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٣٢٩ / ٩ .
 (٣) انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٥٠ / ١ .

محقين فيما ذهبوا إليه من التنكر لرسالة النبي ﷺ حيث أن هذه - الأساطير - ليست خاصة بمحمد ﷺ بل هي كتب للجميع فلماذا لا تُحَضِرُونَ الكتب التي نقل منها؟^(١) .

ثالثاً : افتراءهم أن ما جاء به النبي ﷺ ما هو إلا أضغاث أحلام :

احتج المشركون بأن القرآن الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله ما هو إلا أضغاث أحلام^(٢) - على حد زعمهم - وقد عرض القرآن الكريم هذا الادعاء في قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْاَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥] ، فقد قال المشركون للنبي ﷺ فيما قالوه عن القرآن بأنه أضغاث أحلام ، وليس وحياً من عند الله ﷻ، وكان الدافع على قولهم ذلك إرادة الصد عن دعوة النبي ﷺ وسماع القرآن، فإن القرآن مؤثر على كل مستمعيه، ولذلك قال جبير بن مطعم^(٣) ﷺ لَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ اَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ اَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ [الطُّور: ٣٥] : كاد قلبي يطير، فكأنما صدع، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي^(٤) ، وقصة الطفيل بن عمرو الدوسي^(٥) حينما جاء مكة فحذره كفار قريش سماع القرآن عن محمد ﷺ لئلا يتأثر به^(٦) ، وما كان من حال أصحابه ﷺ في تلاوتهم للقرآن وتأثر الناس بهم، فخاف المشركون على موروثهم القديم أن يذهب، فكان الطريق في المحافظة عليه أن يصموا القرآن الكريم بالأوصاف التي لا تنبغي أن تكون له بحال ، بقولهم إنه سحر وكهانة وشعر، أما أن يقال عنه

-
- (١) انظر: التفسير الميسر - نخبة من أسانذة التفسير - ٤٠٢ / ١ ، التفسير المنير - الزحيلي - ٦ / ٢١ .
- (٢) أضغاث الأحلام: ما لا يستقيم تأويله ، لدخول بعض ما راي في بعض، كأضغاث من بيوت مختلفة يختلط بعضها ببعض، وقال الضحَّاكُ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ أَي: الْأَحْلَامُ الْكَاذِبَةُ (انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٣ / ١٧٩ ، تفسير ابن أبي حاتم - ٧ / ٢١٥١) .
- (٣) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، ويكنى أبو محمد، وقيل أبو عدي ، صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم، وهو ممن عظم في الجاهلية والاسلام معاً، وقال جبير أنه أخذ النسب عن أبي بكر الصديق ﷺ - أنسب العرب - وقد أسلم جبير بين الحديبية والفتح، توفي سنة ٥٨ هـ . (انظر: معجم الصحابة - البغوي - ١ / ٥١٧ ، مشاهير علماء الأمصار - محمد بن حبان - ص ٣٢ ، معرفة الصحابة - الأصبهاني - ٢ / ٥١٨ ، أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير - ١ / ٥١٥)
- (٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب - يوسف القرطبي - ١ / ٢٣٢ .
- (٥) هو الطفيل بن عمرو بن العاص الدوسي الأزدي، صحابي من الأشراف في الجاهلية والاسلام، كان شاعراً غنياً كثير الضيافة مطاعاً في قومه، استشهد في اليمامة (انظر: الاصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر - ٣ / ٥٢١ ، الأعلام - الزركلي - ٣ / ٢٢٧) .
- (٦) انظر: الرُّوضُ الْأَنْفُ فِي شَرْحِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ - السهيلي - ٣ / ٢٢٦ .

أضغاث أحلام، وأخلاق نائم، رآها في منامه يتلوه علي الناس فهذا الذي لا يطاق في موارد الحجاج، كيف وهم شهدوا بعلوه على كلامهم لفظاً ومعنى، فحقيقة أمرهم كما قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣] .

وقد كان الرد علي هذه الحجة الباطلة الباهتة، ما تكاثرت به النصوص القرآنية بأن الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾ [الواقعة ٧٧-٧٨] وقال تعالى ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٠] فهو من الله رب العالمين تحدى به الإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة، فإن كان أضغاث أحلام فليأتوا بكلام أحسن منه - وأنى لهم تحقيق ذلك في صحوهم - إن كانوا صادقين .

قال ابن الجوزي ^(١) رحمه الله : " واعلم أن المشركين كانوا قد تحيروا في أمر رسول الله ﷺ فاختلفت أقوالهم فيه، فبعضهم يقول: هذا الذي يأتي به سحر، وبعضهم يقول: أضغاث أحلام، وهي الأشياء المختلطة تُرى في المنام، وبعضهم يقول: افتراه، أي: اختلقه، وبعضهم يقول: هو شاعر فليأتنا بآية كالناقة والعصا، فاقترحوا الآيات التي لا إمهال بعدها " ^(٢) .

لقد كان احتجاجهم علي الرسول بان القرآن أضغاث أحلام، إمعاناً منهم في التكذيب لهذا الكتاب، وردّ ما فيه من الحق، لإرادة إخفاء نوره، وتثبيت الناس على الكفر، حتي صاروا يطالبون أن يأتيهم الرسول بمعجزة تدل علي صدقه غير القرآن من نوع ما يحكى عن الرسل السابقين أنهم أتوا به مثل: انقلاب العصى حيّة، وخروج الناقة من الصخرة، على أن الأمم التي أرسلت لهم تلك الآيات كفروا بالله ورسوله، فما أغنت عنهم تلك الآيات شيئاً، فالقرآن الكريم فيه ذكركم إن كنتم توفنون ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكُمْ ﴾ [الرُحرف: ٤٤] ، فأى مشابهة لكلام العزيز الحكيم الذي هو حق كله، ولا اختلاف فيه أبداً، بأضغاث الأحلام، بل هذا من بالغ تعنتهم ومكابرتهم، وأين

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ابو الفرج : علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف ، مولده ووفاته ببغداد (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ) ، له نحو ثلاث مئة مصنف منها : تليح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، ومناقب عمر بن عبد العزيز، وتلبيس ابليس، وفنون الأفتان في عيون القرآن، ومناقب أحمد بن حنبل، وزاد المسير في علم التفسير (انظر: الأعلام - الزركلي - ٣/٣١٦)
(٢) زاد المسير في علم التفسير - ٣/ ١٨٥ .

أحسن الحديث من أخلاط الأحلام التي لا تبين ولا تجمع على أمر، وما ذلك إلا دليل غفلتهم وعتوهم عن الحق كما قال سبحانه : ﴿...وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٦] (١) .

وهكذا وبعد استعراض هذه الافتراءات والشبهات على النبي ﷺ نجد أن كفار قريش قد استخدموا في إساءتهم للنبي ﷺ كل إساءة من الأمم السابقة على أنبيائها، وكل شبهة ألقيت على رسول سابق فقد ألقيت على رسولنا ﷺ ، وذلك أن سادة قريش اشتهروا بالفطنة والذكاء الحاد، فقد تعنتوا على رسول الله ﷺ ورموه بكل طامة؛ وذلك لصد الناس عن الدين الحق، وهذا كله لحكمة عظيمة لا يعلمها إلا الله ﷻ ، حتى لا يبقى بعدهم لمتعنت أو مجادل شبهة لم يتهم فيها سيد البشر ﷺ، وما ذاك - والله أعلم - إلا ليستقصي كفار قريش كل شبهة يمكن أن يرمى بها الإسلام في أي وقت، ثم يتولى الله جوابهم عنها، حتى إذا توالى الأيام، ونبغ في دول الكفر من يفتري شبهة على الرسول ﷺ أو على الإسلام، فإذا الشبهة قد سبق أن قيلت في وجه رسول الله ﷺ ، وتكفل الله بردها وتفنيدها، ذلك أن الله سبحانه وتعالى تكفل بتفنيدها، وبيان زيفها وزيف أصحابها، فقال سبحانه : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] .

(١) انظر : التحرير والتنوير - ابن عاشور - ١٧ / ١٦ .

المطلب الرابع

إيذاء المشركين للنبي ﷺ باستهزائهم به

لم يأل كفار قريش جهداً في الصد عن دين الله ﷻ، وفي السخرية من رسول الله ﷺ فقد سخروا من ذات النبي ﷺ الشريفة؛ فنتقصوه واتخذوه هزواً، وسخروا منه ومن شخصيته قاصدين بذلك تخذيل النبي ﷺ والذين اتبعوه من خلفه ، وتوهين قواهم المعنوية، إذ كيف يرسله الله ﷻ وهو ليس بالزعيم الكبير منهم، ولا بذي الثروة والنفوذ ، وقد نشأ يتيماً، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٦] ، وقال أيضاً: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١] ، وسخروا من الآيات المرسل بها؛ فإذا تليت عليهم رأيتهم يحاولون أن يُلْهوا أنفسهم بأحاديث اللهو والغناء ليصرفوا أنفسهم، ومن يسمع لهم عن الاستماع للقرآن (١) ، فقال رب العزة في حقهم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦] وسخروا منه ﷺ أن أنصاره هم الضعفاء والفقراء، فطالبوه بأن ينحيهم عن مجلسه فأَنْزَلَ اللهُ ﷻ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ * وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام ٥٢، ٥٣] كل ذلك بهدف تحويل الرسول ﷺ ورسالته إلى شيء يستهزأ به، فقد قال الراغب : أن المراد بالاستهزاء : طلب الهُزء، وهو أشد من التكذيب لأنه جامع بين التكذيب والسخرية، ولهذا فإن الله ﷻ يؤكد على أن العذاب سيصيبهم لهذا الاستهزاء إصابة عظيمة (٢)، يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ [الكهف ١٠٣ -

[١٠٦

(١) انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٢١ / ١٤٢ ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة من علماء الأزهر - ص ٦١٢ .

(٢) انظر: نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار - السيوطي - ١ / ٤٠٧ .

وقد وصى الله ﷺ وسلا نبيه المصطفى ﷺ حينما زاد الكفار بالسخرية منه، ووصفوه بمختلف الأوصاف القبيحة، حتى غيروا اسمه في الحديث فقالوا هو مذمم - حاشاه - بدلاً أن يقولوا محمد الذي هو كثير الحمد^(١)، وهذا من صور حماية الله لنبيه، وكفايته إياه استهزاء المستهزئين أن يصرف الشتيمة، والذم، والاستهزاء إلى غيره؛ فإذا بالشاتم يريد أن يشتمه؛ فيشتم غيره من حيث لا يشعر!! قال ﷺ: (أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتُمُونَ مُدْمَمًا، وَيَلْعَنُونَ مُدْمَمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ)^(٢)، كما واسباه الله ﷺ بأن أخبره أولاً بأن الرسل الذين سبقوه قد حصل لهم نفس السخرية والاستهزاء بهم، ثم أخذهم الله بالعذاب الدنيوي لأقوامهم ونجى الله نبيه ومن آمن معه، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: ١٠]، قال الطبري في تفسيره: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مسلماً عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقي منهم من أذى الاستهزاء به، والاستخفاف في ذات الله: هَوْنٌ عليك يا محمد ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك، المستخفين بحقك فيّ وفي طاعتي، وامض لما أمرتك به من الدُّعاء إلى توحيدي والإقرار بي والإذعان لطاعتي، فإنهم إن تمادوا في غيِّهم، وأصروا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيلَ أسلافهم من سائر الأمم من غيرهم، من تعجيل النقمة لهم، وحلول المثلاث^(٣) بهم، فقد استهزأت أمم من قبلك برسول أرسلتهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك، وفعلوا مثل فعل قومك بك؛ فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون " (٤) هذا في الدنيا، أما يوم القيامة فجزاؤهم جهنم كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ [الكهف: ١٠٦] .

وهكذا فقد أخذ الله ﷺ موقع المدافع عن نبيه الكريم مباشرة تجاه هؤلاء، وأندر، وأوعد، وضرب الأمثال بالأنبياء السابقين ومن استهزأ بهم فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُؤًا وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُعْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية ٩-١٠]

(١) انظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس - حسين بن محمد بن الحسن الديار - ٣١٩ / ١ .

(٢) صحيح البخاري - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ١٨٦ / ٤ - رقم ٣٥٣٣ .

(٣) المثلاث: ما أصاب القرون الماضية من العذاب (انظر: الكليات - أبو البقاء الحنفي - ص ٨٧٧) .

(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢٧٢ / ١١ .

وليس هذا فقط؛ بل يُفصل الله سبحانه آياته في عذابهم حيث يقول : ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَأُكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ * ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَعَرَنْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الجاثية ٣٤-٣٥] إنهم سيرون ما كانوا به يستهزئون به من العذاب، والبعث، وجهنم، والآخرة عموماً ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الزمر: ٤٨]

ومن بعض نماذج استهزاء المشركين بالنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به متمثلة فيما يلي:

١- استهزاء العاصي بن وائل^(١) بالنبي ﷺ :

لقد كان العاصي بن وائل من أكثر المشركين أذى واستهزاء وتكديباً لرسول الله ﷺ ، فقد جاء ذات يوم إلى النبي ﷺ بعظم حائل ففنته، فقال للنبي ﷺ : يَا مُحَمَّدُ أَيْبَعْتُ اللَّهَ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ؟ قَالَ ﷺ : (نعم، يبعث الله هذا؛ يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم) ^(٢) ، فنزلت: ﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس: ٧٧] ، وهو القائل لما مات القاسم ابن النبي ﷺ استهزاء بالنبي ﷺ : (دعوه، فإنه أبتز لا عقب له، إذا مات استرحتم) ^(٣) ، فأنزل سبحانه وتعالى دفاعاً عن حبيبه ﷺ : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣] وكانت عاقبته عند موته أنه ركب حماراً له، فلما كان يشعب من شعاب مكة رضى^(٤) به حماره، فلدغ في رجله فأنفخت حتى صارت كعنق البعير، فمات منها بعد هجرة النبي ﷺ ثاني شهر دخل المدينة ، وهو ابن خمس وثمانين سنة^(٥) .

(١) هو العاص بن هاشم السهمي، أحد حكام قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام، وظل على الشرك وكان رأساً من رؤوس الكفر، ويعد من الزنادقة والمستهزئين برسول الله ﷺ الذين ماتوا كفاراً وثنيين ، كان هلاكه حوالي سنة ٦٢٠ م (انظر: الأعلام - الزركلي - ٣ / ٢٤٧)

(٢) المستدرک علی الصحیحین - الحاكم النيسابوري - ٢ / ٤٦٦ ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرَجَاهُ .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - الشنقيطي - ٩ / ١٣١ .

(٤) الرضى: هو الموضع الذي ترتاح وترضى فيه (النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير - ٢ / ١٨٥)

(٥) انظر: الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ١ / ٦٧٠ .

٢- استهزاء الأسود بن عبد يعوث^(١) بوعد النبي ﷺ للصحابة: لقد كان الأسود إذا رأى فقراء المسلمين قال لأصحابه استهزاء بهم: (هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى؟!) ، وكان يقول للنبي ﷺ : (أما كلّمت اليوم من السماء يا محمّد!) وما أشبه ذلك، وقد دعا عليه النبي ﷺ بالعمى وثقل ولده؛ فأتى بغصن فيه شوك؛ فأصاب عينه؛ فسالت حدقتاه على وجهه، وقُتل ولده زمعة يوم بدر؛ فأعمى الله بصره وأكله ولده ؛ وقد خرّج ذات يوم من أهله فأصابه السموم فأسودَّ وجهه، فلمّا عاد إليهم لم يعرفوه، وأغلّفوا الباب في وجهه، فرجع متحيرًا، حتّى مات عطشًا^(٢) .

٣- استهزاء الحارث بن قيس^(٣) بالنبي ﷺ :

كان الحارث بن قيس أحد الذين استهزءوا برسول الله ﷺ ، وكان يأخذ حجرًا يعبده، فإذا رأى أحسن منه ترك الأول، وعبد الثاني، وكان يقول: (قد غرّ محمّد أصحابه، ووعدهم أن يحيوا بعد الموت، والله ما يهلكنا إلا الدهر) ، قال مقاتل: وفيه نزلت: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ... ﴾ [الجاثية: ٢٣] لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه، فأماته الله ﷻ شر ميتة، فقد أكل حوتًا مملوحًا، فلم يزل يشرب الماء حتّى مات، وقيل: أخذته الذبحة، وقيل: امتلأ رأسه قيحًا فمات^(٤) .

وهكذا فما سخر أحد من رسول الله ﷺ إلا بتره الله تبارك وتعالى انتقاماً له من شائنه ومبغضه، لقوله تعالى ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ٣] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ويدخل في هذا الباب ما لم يزل الناس يرونه، ويسمعونه من انتقام الله ممن يسبّه، ويدمّ دينه بأنواع من العقوبات، وفي ذلك من القصص الكثيرة، وقد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه من انتقام الله ﷻ ممن يؤذيه بأنواع من العقوبات العجيبة التي تبيّن كلاءة الله لعرضه، وقيامه بنصره، وتغظيمه لقدره ورفع لذكره، وما من طائفة من الناس إلا وعندهم من هذا الباب ما فيه عبرة لأولي الألباب، ومن المعروف المشهور المجرب عند عساكر المسلمين بالشام إذا حاصروا بعض حصون أهل الكتاب

(١) الأسود بن عبد يعوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وهو خال النبي ﷺ كما قال البلاذري، وكان من أشد المستهزئين بالنبي ﷺ ، تبنى المقداد بن الأسود ﷺ في الجاهلية (انظر: أعلام النبوة - الماوردي - ص ١٢٨ ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - الذهبي - ٢ / ٢٢٦) .

(٢) انظر: سيرة ابن اسحاق - ص ٢٧٣ ، الروض الأنف - السهيلي - ٥ / ٤ .

(٣) الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو وائل السهمي، يقال له ابن العيطلة، والعيطة أم أولاد قيس بن عدي، نسبوا إليها، وهو أحد المستهزئين المؤذنين لرسول الله ﷺ، كان أحد أشرف قريش في الجاهلية، وإليه كانت الحكومة والأموال التي يسمونها لآلهتهم، قيل أنه أسلم، وهاجر إلى أرض الحبشة (انظر: إمتاع الأسماع - المقرئ - ١٤ / ٣٢٤ ، أسد الغابة - ابن الأثير - ١ / ٦٣١)

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٦ / ١٦٧ ، الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ١ / ٦٦٨ .

أَنَّهُ يَنْعَسِرُ عَلَيْهِمْ فَتْحُ الْحِصْنِ، وَيَطُولُ الْحِصَارُ إِلَى أَنْ يَسُبَّ الْعَدُوَّ الرَّسُولَ ﷺ؛ فَحِينَئِذٍ يَسْتَبْشِرُ الْمُسْلِمُونَ بِفَتْحِ الْحِصْنِ، وَأَنْتِقَامِ اللَّهِ مِنَ الْعَدُوِّ، فَإِنَّهُ يَكُونُ ذَلِكَ قَرِيبًا كَمَا قَدْ جَرَّبَهُ الْمُسْلِمُونَ غَيْرَ مَرَّةٍ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣] وَلَمَّا مَزَّقَ كِسْرَى كِتَابَهُ؛ مَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَ الْأَكَاسِرَةِ كُلِّ مُمَزَّقٍ، وَلَمَّا أَكْرَمَ هِرْقُلُ وَالْمُقَوْفِسُ كِتَابَهُ؛ بَقِيَ لَهُمْ مُلْكُهُمْ (١).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ٦ / ٢٩٦ (بتصرف يسير) .

الفصل الثالث

”عناية الله بالنبي ﷺ من أذى المنافقين”

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حقيقة المنافقين وبيان خطرهم

المبحث الثاني : إيذاء المنافقين الجسدي والنفسي للنبي ﷺ

المبحث الثالث: خذلان المنافقين للنبي ﷺ (في أحوج الأوقات)

وعناية الله ﷻ به

المبحث الأول

حقيقة المنافقين وبيان خطرهم

وفيه مطلبين:

المطلب الأول: تعريف النفاق وأنواعه

المطلب الثاني: خطر المنافقين على الدعوة الإسلامية

والمجتمع الإسلامي

لقد اعتنى الله ﷺ بنبيه المصطفى ﷺ من كل مكر وكيد له، ولدعوته، ورسالته، وعادى كل من يعارضها، ويناصب لها العداة في كل موطن، ومن جملة هذه العناية الربانية عنايته سبحانه بنبيه ﷺ من أذى المنافقين، والذي لا يقل عن أذى المشركين وأهل الكتاب، بل هو أعظم، والسبب في ذلك أن المنافق يتميز عن الكافر الذي يعلن كفره وعداوته بالخداع والتضليل وإمكان تسلله في صفوف المسلمين، فيكون إيذاؤه شديداً والحذر منه قليلاً، بخلاف الكافر الذي لا يحصل فيه الاشتباه، ولا يمكن أن يخدع المسلمين بحقيقته الظاهرة (١)، فالمنافقون لا ينتمون لديننا ولا لعقيدتنا؛ ذلك لأن الولاء الذي يدين به المسلم لربه ﷺ لم يتأصل في نفوسهم، ولم يدخل في قلوبهم لذلك هم لا يشعرون بالانتماء للأمة، بل هم كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿سَتَحَوِّدَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] أي غلب عليهم الشيطان وزين لهم أعمالهم؛ فملاك أمرهم، وضمهم إلى حوزته، فأنساهم ذكر الله ﷺ، وصرفهم عن النظر إلى ما وراء هذه الحياة الدنيا من حساب وجزاء؛ حتى صار الكذب والفساد ملكة لهم، لذلك تجد المنافقين دائماً يسعون إلى محاربة الدعوة إلى الله ﷺ، فاتخذ القرآن الكريم منهم موقفاً واضحاً جلياً تمثل في كشف حالهم، وبيان حقيقة أمرهم بفساد طوياتهم، وأن نهايتهم ستكون حسرة وألماً يعتصرهم، وهو ما يجب أن يحذره غيرهم حتى لا يقعوا في شرك ما انغمس به أولئك المنافقين، فقد تولى القرآن الكريم ملاحقة الأعداء، وتنبيه المؤمنين ليأخذوا حذرهم من عدوهم، وركزت العداوة في المنافقين قبل غيرهم، لشدة خطرهم على الأمة الإسلامية، ولأنهم لا يضمرون في أنفسهم إلا الشر للمؤمنين، ولا يتمنون للدعوة عليّة ولا ظهوراً، فهم شر أنواع الكفار؛ ولذلك أخبرنا الله تعالى عن صفاتهم في القرآن بالتفصيل، ووصفهم بصفات الشر كلها؛ لكي لا يقع المؤمنون في حبالهم وخداعهم، وكشف ما في قلوبهم من مرض حتى لا يندفع فيهم مسلم، ولا يهلك بسببهم مؤمن، ويبيّن أنماط النفاق، ليحذر من المنافقين، ويجزيهم بما جنت أيديهم من فساد وأذى للنبي ﷺ وأتباعه، وينعتهم بأبشع الصفات، ويضرب على أيديهم، وجاء ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى ليوضح فيها خطورة النفاق والمنافقين في الصف الإسلامي (٢).

(١) انظر: أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - ص ٣٩٧ .

(٢) انظر: تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ٥ / ٤٣١ ، محاسن التأويل - القاسمي - ٩ / ١٧٨ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي - ص ٨٤٨ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١٤ /

المطلب الأول تعريف النفاق وأنواعه

أولاً : تعريف النفاق :

١- النفاق لغةً : اختلف علماء اللغة في أصل النفاق، فقيل: إن ذلك نسبةً إلى النفق وهو السرب في الأرض، لأن المنافق يستتر كفره ويغيبه، فتشبهه بالذي يدخل النفق يستتر فيه، وقيل: سمي به من نافقاء اليربوع، فإن اليربوع له جحر يقال له: النافقاء، وآخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب من القاصعاء قسع فخرج من النافقاء، كذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه، وقيل: نسبة إلى نافقاء اليربوع أيضاً، لكن من وجه آخر وهو إظهاره غير ما يضمّر، وذلك: أنه يخرق الأرض حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ترك قشرة رقيقة حتى لا يعرف مكان هذا المخرج، فإذا رابه ريب دفع ذلك برأسه، فخرج، فظاهر جحره تراب كالأرض، وباطنه حفر، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر^(١).

٢- النفاق اصطلاحاً : هو مصطلح شرعي لم تعرفه العرب بهذا المعنى الخاص، وإن كان أصله الذي أخذ منه في اللغة معروفاً^(٢) وقد تعددت تعريف العلماء للمنافقين، كما يلي :

فمنه " اشتقاق النفاق لأن الإيمان يخرج من قلبه، أو يخرج هو من الإيمان " ^(٣)، وقال الجرجاني: النفاق: " إظهار الإيمان باللسان، وكنتمان الكفر بالقلب " ^(٤)، وقد عرّفه القاضي عياض: بأن "أصله من إظهار شيء، وباطنه خلافه " ^(٥) وقال السعدي رحمه الله: " المنافقون هم أقوام يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر؛ ليبقى جاههم وتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم " ^(٦).

ثانياً : أنواع النفاق :

النفاق كالكفر والشرك والفسق، درجات ومراتب؛ منها ما هو مُخرج من الإسلام، ومنها غير مُخرج منه، وأنواعه كالتالي:

-
- (١) انظر: الفروق اللغوية - العسكري - ص ٢٢٨ ، مختار الصحاح - محمد الرازي - ص ٣١٧ ، تاج العروس من جواهر القاموس - مرتضى الزبيدي - ٤٣٢ / ٢٦ ، جمهرة اللغة - الأزدي - ٩٦٧ / ٢ .
- (٢) انظر: الإيمان - ابن تيمية - ص ٢٣٥ .
- (٣) مجمل اللغة - ابن فارس - ص ٨٧٧ .
- (٤) التعريفات - ص ٢٤٥ .
- (٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار - ٢ / ٢١ .
- (٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ص ٨٦٤ .

أولاً: النفاق الأكبر : ويسمى بالنفاق الاعتقادي : وهو إبطان الكفر في القلب، وإظهار الإيمان على اللسان والجوارح، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨] ، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٣] فهو مخرج من الملة، وموجب للخلود في الدرك الأسفل من النار، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥] ويترتب على هذا النوع ما يترتب على الكفر الأكبر؛ من حيث انتفاء الإيمان عن صاحبه، وخلوده في جهنم؛ لكن المنافق أشد عذاباً من الكافر؛ لأنه في الدرك الأسفل من النار إذا مات عليه.

كما أن النفاق إذا أُطلق ذكره في القرآن؛ فإن المراد به النفاق الأكبر المنافي للإيمان؛ بخلاف الكفر فإنه يأتي - أحياناً - بمعنى الكفر الأصغر، وكذلك الظلم والفسق والشرك (١).

ثانياً: النفاق الأصغر ويسمى بالنفاق العملي: هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات، وذلك بعمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء أصل الإيمان في القلب، وصاحبه لا يخرج من الملة، ولا يُنفى عنه مطلق الإيمان، ولا مسمى الإسلام، وهو معرض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار، ولكن هذا النوع من النفاق هو مقدمة وطريق للنفاق الأكبر؛ لمن سلكه وكان ديدنه، وأمثلة ذلك: الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصومة، والغدر بالعهود، وكالرياء الذي لا يكون في أصل العمل، وإظهار المودة للغير والقيام له بالخدمة مع إضمار عكسه في النفس، قال النبي ﷺ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدْعَاهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) (٢) قال الإمام النووي: " وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَفَعَلَ هَذِهِ الْخِصَالَ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِكُفْرٍ، وَلَا هُوَ مُنَافِقٌ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، فَإِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ ﷺ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ، وَكَذَا وَجَدَ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْعُلَمَاءِ بَعْضُ هَذَا أَوْ كُلِّهِ " (٣) وهذا النفاق الأصغر

(١) انظر: المفيد في مهمات التوحيد - الدكتور عبد القادر صوفي - ص ١٩٢ ، نور الإيمان وظلمات النفاق في

ضوء الكتاب والسنة - د. سعيد القحطاني - ص ٣٧ ، تسهيل العقيدة الإسلامية - الجبرين - ص ٢٥٤ ،

عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة - د. سعيد القحطاني - ٢ / ٦٧٥ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان خصال المنافق - ١ / ٧٨ - رقم ٥٨ .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ٢ / ٤٦ .

هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم، روى البخاري أن ابن أبي مُليكة^(١) رضي الله عنه قال: " أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخَافُ النَّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ " ^(٢) قال الإمام ابن حجر: " وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ أَدْرَكَهُمْ بِنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ مِنْ أَجْلِهِمْ عَائِشَةُ وَأُخْتُهَا أَسْمَاءُ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَالْعَبَادِلَةُ الْأَرْبَعَةُ وَأَبُو هُرَيْرَةَ .. " ^(٣) ، وقال ابن القيم: " وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة، ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقيها على أنفسهم أن يكونوا منهم ، فكان عمر بن الخطاب يقول لحذيفة : ناشدتك الله ، هل سماني رسول الله مع القوم؟ فيقول: لا، ولا أركي بعدك أحداً، يعني لا أفتح عليّ هذا الباب في تزكية الناس، وليس معناه أنه لم يبرأ من النفاق غيرك"^(٤).

(١) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، الإمام، الحجة، الحافظ، وكان عالماً، مفتياً، صاحب حديث وإتقان، من رجال الحديث الثقات، ولأه ابن الزبير قضاء الطائف، مات سنة سبع عشرة ومائة هجرية (انظر: سير أعلام النبلاء - الذهبي - ٩٠ / ٥ ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال - يوسف بن عبد الرحمن - ٤٧٦ / ٣٤) .
(٢) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ - ١٩ / ١ .
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ١١٠ / ١ .
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين - ص ٤٠٩ .

المطلب الثاني

خطر المنافقين على الدعوة الإسلامية والمجتمع الإسلامي

إنَّ أكبر خطر هدد الأمة الإسلامية على مر العصور هو خطر المنافقين، فهم أمرٌ وأمضى من السيف على رقاب الأمم، ولذلك بيّن الله تعالى حقيقتهم قائلاً: ﴿... هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] ، والحصر في الآية لبيان أولويتهم في العداوة فهم الكاملون في العداوة، لأن أعدى الأعداء العدو الساتر والمُضْمِر للعداوة الذي يظهر الحب والمودة، وتحت ضلوعه الداء؛ فإن أسنتهم إذا نُفِوكم معكم، وقلوبهم عليكم مع أعدائكم، ولأنهم عيون لأعدائكم من الكفار^(١) ، وصفهم ابن القيم بأنهم: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، فهم شر من الكفار الصَّريح، فبليّة المؤمنين بهم أعظم من بليّتهم بالكفار المجاهرين؛ فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق^(٢) ؛ كما أن المنافقين يُظهرون لباس الإخوان والأصدقاء، فهم مستأمنون لا يُحَسَب لهم حساب، ولا يراقبون، ولا يَحْتَرَز منهم إلا القليل من المؤمنين، والعدو المخالط المداخل المساكن أخطر وأشد كيداً من العدو الظاهر البعيد، فهم أخطر من الجيوش العسكرية، لأن أصحابها أعداء معروفون واضحون، لا يقبل كثير من الناس أقوالهم، ولذلك قال ﷺ : (أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ جِدَالُ الْمُنَافِقِ عَليم اللسان^(٣))^(٤) فالمنافقين من أحسن الناس أجساماً، ولكنهم أخبثهم قلوباً، وأضعفهم جنائناً؛ كما يقول سبحانه في وصفه لهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] .

كما أن خطرهم يتمثل في أنهم ينشطون في أوقات الأزمات، وقت انشغال من بيدهم تصريف شؤون الأمة الدينية والدنيوية، ففي حال انشغال المسلمين وضعفهم، ينجم النفاق، وتطل رؤوسهم، ويظهر

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٢٣ / ٣٩٦ ، زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي

- ٤ / ٢٨٨ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل - النسفي ٣ / ٤٨٥ .

(٢) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين - ابن قيم الجوزية - ص ٤٠٢ .

(٣) أي: كثير علم اللسان جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، وأبهة يتعزز بها، يدعو الناس إلى الله ويفرّ هو منه (انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير - المناوي - ١ / ٣٠٩) .

(٤) صحيح ابن حبان - كتاب العلم - باب الرجز عن كنيّة المرء السنن مخافة أن يتكلم عليها دون الحفظ لها -

١ / ٢٨١ - رقم ٨٠ ، حكم عليه المحقق شعيب الأرنؤوط بأن: إسناده صحيح على شرط البخاري .

على ألسنتهم ما يكونونه ، فتعرفهم تارة في صريح القول، وتارة في لحنه، ففي الأزمات حينما يشعرون بالأمان، يظهر ما في قلوبهم، ويتبين بقلبات ألسنتهم؛ فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر، ذلك لأن رأس مالهم الخديعة والمكر، وبضاعته الكذب، قد أنهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت مقاصدهم السيئة على نياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترمى إلى الهلاك، فعجز عنه الأطباء العارفون ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠] (١)

كما أن عداوة المنافقين شاملة لا تقتصر على جانب دون جانب، فهي تبدأ من الكلمة همزاً ولمزاً وسخرية وغمزاً، وتنتهي إلى الخيانة العظمى بالقتال في صف الكفار وتحت راياتهم والتآمر معهم على المسلمين، وكشف أسرارهم؛ فولاء المنافقين ليس لبني جلدتهم، ولا لبلادهم، إنما ولاؤهم لأعداء أمتهم وأعداء بلادهم، فهم يدينون بالسمع، والطاعة، والنصرة لكفرة أهل الكتاب إذا تعارضت مع مصالح بني جلدتهم ومصالح بلادهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِيْتَهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١] والمنتبغ لأحداث الزمان يرى أن أخطر المصائب في تاريخ الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً كانت عن طريق المنافقين، فلم يتوقف أثرهم على عهد الرسول ﷺ، بل كان ممتداً طيلة التاريخ الإسلامي، مروراً بدورهم في قتل الفاروق ﷺ، وما تلا ذلك من الفتن الطاحنة بعد مقتل عثمان ﷺ، حيث كان الباطنيون المنافقون من وراء ذلك كله، كما أنهم حرصوا التتار المغول في اجتياح عاصمة الخلافة الإسلامية عام (٦٥٦ هـ) وكان على يد المنافق الخبيث ابن العلقمي الرافضي الذي تعاون مع التتار، وأرسل إلى هولاء قائلًا: إنك تحضر إلى بغداد وأنا أسلمها لك؛ وكان قد داخل قلب اللعين الكفر؛ فكتب إليه هولاء: إن عساكر بغداد كثيرة فإن كنت صادقاً فيما قلت، وداخلاً في طاعتنا فرق عساكر بغداد ونحن نحضر؛ فلما وصل كتابه إلى ابن العلقمي دبّر مكيده لجيش المسلمين في ذلك الوقت، وكان ضمن بطانة السوء للخليفة العباسي، ومهد هو والمنافقون من حوله لهذه المأساة العظيمة التي لم يمر على المسلمين مثلها في الذل والصغار، وقتل التتار جميع من يقدر عليهم من الرجال والنساء والولدان (٢) حتى قال المؤرخ ابن

(١) انظر: صفات المنافقين - ابن قيم الجوزية - ص ٧ .

(٢) انظر: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة - يوسف بن تغري بردي - ١ / ٢٣٢ ، الولاء والبراء في

الإسلام - محمد القحطاني - ص ٢٥٤ .

الأثير وهو يرويها: " فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، وَيَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ حُدُوثِهَا، وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا" (١) ، فهم الأخطر على جسد الأمة، لبسوا ثياب أهل الإيمان، على قلوب أهل الزيغ والغل والكفران، ألسنتهم ألسنة المسالمين، وقلوبهم قلوب المحاريبين، قال تعالى في وصف حالهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨] (٢) .

وهكذا فلا نكاد نرى عصراً من عصور المسلمين إلا ونجد للمنافقين فيه دوراً خطيراً، فقد أفسدوا عقائد كثير من الناس، والمنتبع لجذور الانحراف العقدي في تاريخ المسلمين يجد المنافقين وراءه أيضاً، ومن أبرز الأمثلة في ذلك فرقة السبئية التي وضع أسسها المنافق اليهودي عبد الله بن سبأ، الذي أظهر الإسلام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأخذ يطوف البلاد الإسلامية وينشر معتقده، وقد لبس على العامة في زمن كان فيه كثير من الصحابة، حتى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هدّد بعض أتباعه بالموت حرقاً إن لم يرجعوا عن هذه العقيدة الضالة، فأصروا وفضلوا الموت على الرجوع عن ضلالهم، وقد كان من نتيجة فتنة عبد الله بن سبأ مقتل الخليفة الثالث الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، والأمثلة كثيرة جداً ولهذا كان الواجب التحذير من النفاق، وبيان صفات أهله، وكشف جهودهم في هدم الإسلام وخدمة أعدائه ومولاتهم وتنفيذ مخططاتهم (٣) .

ولخطورتهم على المجتمع الإسلامي والدعوة الى الله تعالى خصهم الله بسورة تتكلم عن أخلاقهم وأكاذيبهم والتحذير من شرهم وفضحهم حتى لا يخفى أمرهم على أحد، ففضحت السورة دسائسهم ومناوراتهم، وأظهرت ما في قلوبهم من بغض وكيد للإسلام والمسلمين، ومن أراد الوقوف على هذه الآيات فليقرأ صدر سورة البقرة، وسورة التوبة، وسورة المنافقين وغيرها، ومن أوضح الآيات التي حذرت من شرهم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنَتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨] ، وكذلك ما وصفهم الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿ يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُجْدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٩] وهكذا فالمنافقون في كلِّ زمانٍ ومكانٍ تختلف أفعالهم وأقوالهم، ولكنها ترجع إلى طبعٍ واحدٍ وتتبع من معين واحد: سوء الطويّة ولؤم السريرة، والغمز والدسّ، والكيد لهذا الدين، والضعف عن المواجهة، والجبن عن المصارحة، تلك سماتهم

(١) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ٣٣٣ / ١٠ .

(٢) انظر: موسوعة فقه القلوب - التويجري - ١٢٠٧ / ٢ .

(٣) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها - د. غالب عواجي - ٣١٥ / ١ .

الأصيلة، ومع ذلك لا يَخْفُونَ على مَنْ أنار الله بصيرته؛ فإله سبحانه وتعالى أجلى لنا صفاتهم، وبين لنا مسالكهم، فاستبان أمرهم لكلّ ذي لب^(١)، وقد ذكر ربنا لنا في كتابه بعض صفاتهم - كما أسلفنا - ولم يذكر لنا أعيانهم، فالأمر ليس متعلّقاً بأفراد إذا هلكوا ذَهَبَ فكرهم؛ بل هو منهجٌ باقٍ لتحصل المدافعة بين الحقّ والباطل، فهذه سنة الله الباقية؛ فلذا من الخطأ حينما يركّز الأمر على أعيان المنافقين، ويُظنُّ أنّه بهلاكهم يستراح منهم، وينتهي أمر النفاق، ويستريح المسلمون من غوائلهم وشرورهم، وما أجمل أن أختتم بكلام ابن القيم حينما تحدث عمّا لقيه من أهل النفاق في الحرب والسلم، وقد كان الألم يعنصر فؤاده ، وقد تعجب من خبثهم الذي هو فوق العادة فوصف خطرهم بكلام مسجوع قائلاً: " قَلَّه كَمْ مِنْ مَعْقِلٍ لِلْإِسْلَامِ قَدْ هَدَمُوهُ؟ ! وَكَمْ مِنْ حِصْنٍ لَهُ قَدْ قَلَعُوا أَسَاسَهُ وَخَرَّبُوهُ؟ ! وَكَمْ مِنْ عِلْمٍ لَهُ قَدْ طَمَسُوهُ؟ ! وَكَمْ مِنْ لُؤَاءٍ لَهُ مَرْفُوعٍ قَدْ وَضَعُوهُ؟ ! وَكَمْ ضَرَبُوا بِمَعَاوِلِ الشُّبْهِ فِي أُصُولِ غِرَاسِهِ لِيَقْلَعُوهَا؟ ! وَكَمْ عَمَّوْا عِيُونَ مَوَارِدِهِ بِأَرَائِهِمْ لِيَدْفِنُوهَا وَيَقْطَعُوهَا؟ ! فَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مِنْهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَلَا يَزَالُ يَطْرُقُهُ مِنْ شُبْهِهِمْ سَرِيَّةٌ بَعْدَ سَرِيَّةٍ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ مُصْلِحُونَ ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢] ، وقال سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨] " (٢)

(١) انظر: موسوعة فقه القلوب - التويجري - ٤ / ٣٣٠٨ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - ١ / ٣٥٥ .

المبحث الثاني

إيذاء المنافقين الجسدي والنفسي للنبي ﷺ

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: التآمر على قتل النبي ﷺ

المطلب الثاني: إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالطعن في عِزِّهِ الشَّرِيفِ ﷺ

المطلب الثالث: إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالتآمر على دعوته

ببنائهم لمسجد ضرار

المطلب الرابع: إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالسخرية والاستهزاء منه ﷺ

ومن وأصحابه، والطعن في رسالته

المطلب الخامس: إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالطعن في قسمته

وأمانته

المطلب الأول

التأمر على قتل النبي ﷺ

لقد تنوعت طرق المنافقين في حربهم للنبي ﷺ ودينه؛ فمن تخلف عن الجهاد والقتال، وعهود كاذبة، وخيانة للأمانة، وتخذيل للمؤمنين، وإرجاف بين المسلمين، ونكوص عند اللقاء والمواجهة، وتأمر في السر، ومساجد ونحوها للضرار والمحاربة، وطعن في حكم الشرع، وغمز في النبي المصطفى ﷺ، حتى بلغ الحال بهم أن حاولوا اغتيال النبي ﷺ وقتله؛ أرادوا بذلك إطفاء نور الله ﷻ، والقضاء على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ولكن عناية الله ﷻ التي تكلاً الحبيب المصطفى ﷺ لهم بالمرصاد، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]

فقد ورد في كتب التفسير والسير أنه خلال عودة النبي ﷺ المظفرة من غزوة تبوك، هم المنافقون بالفتك به في خطة محكمة، ولكن الله تعالى عصمه وحفظه منهم، حيث قال تعالى عن هذه المحاولة: ﴿... وَهُمْ أُولُو بِمَا لَمْ يَتَأَلَوْا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]، ذكر السمرقندي في تفسيره أن الامام مقاتل ﷺ قال في سبب نزولها: (وَهُمْ أُولُو بِمَا لَمْ يَتَأَلَوْا) أنه المنافقون أصحاب العقبة، قد هموا ليلاً بقتل النبي ﷺ بالعقبة في غزوة تبوك، وهكذا قال الضحاك^(١)، وذكر الثعلبي أن الكلبي قال: "هم خمسة عشر رجلاً منهم عبد الله بن أبي، هموا بقتل النبي ﷺ في غزوة تبوك؛ فأخبر جبرائيل بذلك رسول الله ﷺ" (٢) وقد روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل تفاصيل المكيدة، وهو أن رسول الله ﷺ لما كان ببعض الطريق مكر به ناس من المنافقين، وائتمروا بينهم أن يطرحوه من رأس عقبة- مكان عال-، وفي رواية كانوا قد أجمعوا أن يقتلوا رسول الله ﷺ فجعلوا ينتبعونه، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يسلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، وقالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، فأخبر الله ﷻ رسوله بمكرهم، فلما بلغ رسول الله ﷺ تلك العقبة نادى مناديه للناس: أن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد، واسلكوا بطن الوادي، فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي إلا نفر الذين مكروا برسول الله ﷺ لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا، وسلك رسول الله ﷺ العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام

(١) بحر العلوم - ٧٤ / ٢ (بتصرف يسير) .

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ٧٠ / ٥ .

الناقة ويقودها، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه، فبينما رسول الله ﷺ يسير من العقبة؛ إذ سمع حسّ القوم قد غشوه، فنقروا ناقة رسول الله ﷺ؛ حتى سقط بعض متاعه، وكان حمزة بن عمرو الأسلمي لحق برسول الله ﷺ بالعقبة، وكانت ليلة مظلمة، قال حمزة: فنور لي في أصابعي الخمس، فأضاءت حتى جمعت ما سقط من السوط والحبل وأشباههما، فغضب رسول الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يردهم، فرجع حذيفة إليهم، وقد رأى غضب رسول الله ﷺ ومعه محجن فجعل يضرب وجوه رواحلهم وقال: إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى، فعلم المنافقون أن رسول الله ﷺ قد اطلع على مكرهم، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فأسرعوا حتى استوى بأعلاها، وخرج رسول الله ﷺ من العقبة ينتظر الناس، وقال لحذيفة: هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم؟ قال: يا رسول الله قد عرفت رواحلهم، وكان القوم مثلثمين فلم أبصرهم من أجل ظلمة الليل، قال: **(هل علمتم ما كان من شأنهم وما أرادوا)؟** قالوا: لا والله يا رسول الله، قال: **(فإنهم مكروا ليسيروا معي، فإذا طلعت العقبة زحموني فطرحوني منها؛ - إن شاء الله تعالى - قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم، وسأخبركم بهم إن شاء الله تعالى)**، قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه فسامهم لهما، ثم قال: **(اكتماهم)** فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم لي، فلما أصبح رسول الله ﷺ قال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله، ما منعك البارحة من سلوك الوادي؟ فقد كان أسهل من العقبة؟ فقال: **(أتدري يا أبا يحيى، أتدري ما أراد بي المنافقون، وما هموا به؟ قالوا: نتبعه من العقبة، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع^(١) راحلتي، ونخسوها^(٢) حتى يطرحوني عن راحلتي)** فقال أسيد: يا رسول الله، قد اجتمع الناس ونزلوا، فمُر كلّ بطن أن يقتل الرجل الذي همّ بهذا، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله، وإن أحببت - والذي بعثك بالحق - فنبئني بأسمائهم، فلا أبرح حتى آتيك برؤوسهم، فقال ﷺ: **(يا أسيد إنّي أكره أن يقول الناس إنّ محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم؛ أقبل عليهم يقتلهم)**، وفي رواية **(إنّي أكره أن يقول الناس إنّ محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه)**، فقال: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا

(١) جمع نسعة، وهي سَيْر مَضْفُورٌ يُجْعَلُ زِمَاماً لِلْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ (انظر: تاج العروس من جواهر القاموس - مرتضى الزبيدي - ٢٢ / ٢٤٩)

(٢) النُونُ وَالْحَاءُ وَالسَّيْنُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَزْلِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ حَادِّ. وَنَخَسَهُ بِعُودٍ أَوْ حَدِيدَةٍ نَخَسًا، وَالنَّخَسُ: هُوَ تَغْرِيزُكَ مَوْخِرِ الدَّابَّةِ بِعُودٍ أَوْ غَيْرِهِ (انظر: أساس البلاغة - الزمخشري - ٢ / ٢٥٨ ، مقاييس اللغة - ابن فارس - ٥ / ٤٠٥) .

بأصحاب، فقال رسول الله ﷺ : (أليس يُظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟) قال: بلى - ولا شهادة لهم - فقال النبي ﷺ : (أليس يُظهرون أني رسول الله؟) قال: بلى - ولا شهادة لهم - قال: (فقد نُهِيتُ عن قتل أولئك)، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ ارْمِهِم بِالدُّبَيْلَةِ^(١)، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الدُّبَيْلَةُ؟ قَالَ: (شَهَابٌ مِنْ نَارٍ يَقَعُ عَلَى نِيَاطِ قَلْبٍ^(٢) أَحَدِهِمْ فَيَهْلِكُ)^(٣) وهكذا تجلت عناية الله ﷻ بنبيه المصطفى، وعصمته من الناس، وحفظه له من كيد الكائدين بأن أرسل له أمين السماء يخبره بخبرهم ..

وقد كشفت هذه الحادثة عن مدى بغض المنافقين للنبي ﷺ، ودعوته، والعجب في ذلك أن يصل الأمر بهم إلى حدّ قتله ﷻ والإقدام على مثل هذه الخيانة، ثم بيّن سبحانه: ﴿... وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ [التوبة: ٧٤] وهذا تسفيه لهم، واستتكار لهذا المنكر الذي هم فيه، فما أنكر هؤلاء المنافقون من أمر الإسلام وبعثة الرسول ﷺ فيهم شيئاً يقتضى الكراهة والهَمَّ بالانتقام، فما مِنْ سيئة قدّمتها الإسلام لهم لينقموا عليه هذه النعمة من أجلها إلا إغناء الله تعالى ورسوله لهم بالغنائم التي هي عندهم أحب الأشياء لديهم في هذه الحياة، وكانوا كسائر الأنصار فقراء فأغناهم الله ببعثة الرسول ونصره وبما آتاه من الغنائم كما وعده، فقد قال النبي ﷺ للأنصار: (أَلَمْ أُجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَعَانَكُمْ اللَّهُ بِي)^(٤) ولكن هكذا أصحاب الطّباع السيئة، والنفوس المريضة، تنقلب حقائق الأشياء عندهم، فإذا النور ظلام، والحق باطل، والنعمة نقمة؛ وفي ذلك تلقين مستمر المدى بتقبيح هذه الطبيعة ووجوب الاحتراز منها، وتقدير كونها من صفات المنافقين، وذوي القلوب المريضة؛ فانطبق عليهم المثل المشهور: (اتق شر من أحسنت إليه)؛ ثم يُعقّب سبحانه على هذا التعجيب من أمرهم، بعد كشف

-
- (١) الدبيلة: دُمْل كبير يظهر في الجوف تقتل صاحبها غالباً (انظر: لسان العرب - ابن منظور - ٢٨١ / ١)
- (٢) نياط القلب - بكسر النون: عِرْق يَسْقِي الكبد، إذا قطع مات صاحبه (انظر: كتاب العين - الخليل الفراهيدي - ١٣٦ / ٨ ، الفائق في غريب الحديث - أبو القاسم الزمخشري - ٣٣٨ / ٢) .
- (٣) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - البيهقي - ٢٥٧ / ٥ ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ١٨١ / ٤ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ٢٤٣ / ٤ ، كتاب المغازي - الواقدي - ١٠٤٣ / ٣ ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع - المقرئ - ٧٥ / ٢ ، السيرة النبوية - ابن كثير - ٣٧ / ٤ ، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني - أحمد غلوش - ص ٦٢٨ .
- (٤) صحيح البخاري - كِتَابُ الْمَغَازِي - بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ - ١٥٧ / ٥ - رقم ٤٣٣٠ .

خبثياتهم بالحكم الفاصل: ﴿... فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]

فمع هذه المكائد والفتن فتح الله تعالى لهم باب التوبة، فهو ينهى عن أن يقنط عباده من رحمته، فباب الرحمة والتوبة مفتوح، وهو تنبيه لهؤلاء الضالين، وإشارة مضيئة تطلع في ليلهم المُطْبِقِ عليهم، رجاء أن يتوبوا إلى الله ﷻ، ويستقيموا على طريق الحق، فإن فعلوا رشدوا وأمنوا، وإن أبوا، ضلوا وهلكوا، وأخذهم الله بالعذاب الأليم في الدنيا، بما يصيبهم على يد المؤمنين من خزي وبلاء، وبالعذاب السعير في الآخرة، حيث ما لهم في الأرض كلها من ولي يتولى أمورهم ويدافع عنهم، ولا نصير ينصرهم وينجيهم من العذاب، إذ إن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، وأما المنافقون فلا ولاية لهم ولا نصرة بينهم، فليس لهم أحد يجلب لهم خيراً أو يدفع عنهم شراً^(١).

وهكذا تجلت عناية الله ﷻ بنبيه، وعصمته من الناس، وحفظه له من كيد الكائدين بأن أرسل له أمين السماء يُخبره بخبرهم، وفيه دلالة إثبات الرسالة؛ لأنهم أسروا ما هموا به، ثم أُخبر عن ذلك وهو غيب، دلّ أنه علم ذلك من الله ﷻ.

(١) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣/ ١٦٧٨ ، تفسير المراغي - ١٠/ ١٦٦ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٥/ ٨٤٨ ، التفسير الحديث - محمد عزت دروزة - ٩/ ٥٠٠ ، التفسير الواضح - الحجازي - ١/ ٩٠٩ ، زهرة التفاسير - أبو زهرة - ٧/ ٣٣٨٠ ، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٨/ ٢٠٧ ، الهداية الى بلوغ النهاية - مكي بن أبي طالب - ٤/ ٣٠٧٥ .

المطلب الثاني

إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالطعن في عِرضه الشريف ﷺ

إن خسة المنافقين ونذالتهم وكيدهم للمسلمين لا تقتصر على زمن الحرب؛ بل لا يتورعون عن شيء يخدم قضيتهم إلا واستغلوه، فبعد النصر الساحق الذي حققه المسلمون في غزوة بني المصطلق، رجع المسلمون وهم في نشوة الانتصار، والمنافقون كانوا في مأتم؛ لأن كيدهم الذي كادوه من إثارة لنار العصبية الجاهلية بين الأوس والخزرج لم ينفع، وما حديث الإفك الذي رُميت به أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق الحصان الرزان الطيبة المطيبة أحب أزواج رسول الله ﷺ إليه والذي هز المجتمع المدني بأسره شهراً كاملاً، ما هو إلا دليل على ذلك، فكانت هذه الحادثة حلقة من حلقات التآمر على الدعوة، ومحاولة تشويه رموزها، ذلك لأن العدو يعلم أن هذا الدين يقوم على المثال والنموذج والقدوة، فقد أرادوا أن يستفحل الشك والريبة والخيانة في عرين الإسلام ومهده، لذلك تتواصل المؤامرات الخارجية والداخلية عليه، ولأنه يعلم أيضاً أن هذا الدين يقوم على المثال والنموذج والقدوة، فإذا أفلح في إسقاط هذا النموذج، وتشويه تلك القدوة؛ فقد تحقق له ما أراد - وأنى لهم ذلك - (١) ..

لقد ساق الله ﷻ لنا هذا الابتلاء لكي يستفيد منها كل مسلم دروساً عظيمة، ويعلم أن البلايا والمحن وأنواع الاختبارات نزلت بأشرف وأطهر إنسان عرفته البشرية، فلا عليه إن نزل به شيء من ذلك، وأن خير ما يواجهه به هو الصبر والاحتساب لينال الأجر في الدنيا والآخرة؛ ويمكن هنا أن نعرض لمخلص القصة كما وردت في كتب الحديث والسيرة: فقد خرج النبي ﷺ بأمر المؤمنين عائشة رضي الله عنها في غزوة بني المصطلق بقرعة أصابتها، وكانت تلك عادته مع نسائه، فلما رجعوا من الغزوة نزلوا في بعض المنازل فخرجت عائشة لحاجتها، ففقدت عقداً لأختها كانت أعارتها إياه، فرجعت تلتمسها، فحمل الصحابة هودجها (٢) ووضعوه على البعير ظناً منهم أنها فيه، وكانت رضي الله عنها خفيفة اللحم، فلم يستتكر القوم ثقل الهودج حين رفعوه، فلما عادت ظنت أنهم سيفقدونها ويعودون لها، ولكن الصحابة لم ينتبهوا، ونامت في مكان الجيش، ثم إن صفوان بن المعطل ؓ وهو من أفاضل الصحابة بات في مكان الجيش، فلما رآها عرفها،

(١) انظر: مباحث في إعجاز القرآن - د. مصطفى مسلم - ص ٢٧٢، مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع - إبراهيم قريبي - ص ٢٠٥، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - علي الصلابي - ص

(٢) الهودج: محمل له قبة يُوضع على ظهر الجمل لتركب فيه النساء (انظر: مجمل اللغة - ابن فارس - ص ٩٠٢)

فأناخ لها راحلته من غير أن يكلمها وأتى بها الجيش^(١) ، وقد كانت هذه القضية لا تسترعي انتباهاً، ولكن رأس النفاق- كعادته- تبنى هذه القضية، وتحدثت بها عقب عودته إلى المدينة، وشايعه أصحابه من المنافقين، واستغلوا لإثارة الفتنة بين المسلمين، وإضعاف الصلة التي تربطهم بمقام صاحب الرسالة العظمى ومن يتصل به من أهل، وإضعاف ثقة المسلمين بعضهم بأمانة بعض، واختلقوا هذه الحادثة بكل أبعادها الإجرامية، وحاولوا أن يزرعوا بها الريب في قلوب المؤمنين والصادقين، وانطلى الأمر على بعض الصحابة مثل حسان بن ثابت و مسطح بن أثاثه و حمزة بنت جحش، ولكن الغالبية من الصحابة كان لسان حالهم ومقالهم^(٢) كما قال القرآن ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]

واشتد البلاء على أم المؤمنين الصديقة العفيفة، وكانت مريضة، ولم تعلم بالقصة، إلا أنها شعرت بفتور غير معتاد في حنان النبي ﷺ، ولما علمت من أم مسطح^(٣) الخبر، زاد عليها المرض، واستأذنت النبي ﷺ في الذهاب لوالديها، فأذن لها، ولما اشتد الكرب كانت تتمثل قول نبي الله يعقوب عليه السلام حيث صح عنها أنها قالت: ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال يعقوب عليه السلام... ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وعاش البيت النبوي، بل وعاش كل الصادقين شهراً كاملاً في جو الشائعة المغرضة، والحزن يخيم على الناس، ولكن لكل نبأ مستقر، والفرج مع الكرب.

وبعد هذا التمحيص وإذا بالوحي يتنزل من السماء يحمل البراءة الدائمة، والحجة الدامغة الخالدة، تشهد بعفاف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتفضح كل منافق أثير، فلم يكن لهذا البلاء العظيم إلا ما ينزل من رحمة السماء، حتى يردّ للنفوس الطاهرة اعتبارها، ويأخذ لها بحقها، ويجزيها الجزاء العظيم على صبرها واحتمالها؛ فأنزل الله ﷻ ست عشرة آية لتفصل في هذه

(١) انظر: بحر العلوم - السمرقندي - ٢/ ٤٩٩ ، الخصائص الكبرى - السيوطي - ١/ ٣٩٢ ، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار - محمد الحميري - ص ٢٩٨ .

(٢) انظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان - النيسابوري - ٥/ ١٦٧ ، السيرة النبوية - أبو الحسن الندوي - ص ٣٧٤ .

(٣) أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق، تزوجها أثنائه بن عبد بن المطلب بن عبد مناف، فولدت له مسطحاً من أهل بدر، وأسلمت أم مسطح فحسن إسلامها، وكانت من أشد الناس على مسطح حين تكلم مع أهل الإفك في عائشة رضي الله عنها (انظر: الطبقات الكبرى - ابن سعد - ٨/ ٢٢٨ ، أسد الغابة - ابن الأثير - ٧/ ٣٨٣)

القضية المبتدعة، ويرد المكيدة المدبرة، ويتولى المعركة الدائرة ضد الإسلام ورسول الإسلام، ويكشف عن الحكمة العليا وراء ذلك كله، وما يعلمها إلا الله (١) ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿النور ١١ - ٢٠﴾

فقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فبدأ بالطعن في فريتهم وأنه إفك افتروه من عند أنفسهم، فالإفك: اسم يدل على كذب لا شبهة فيه، فهو بهتان يفتأ الناس، وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة، وهو قلب الشيء؛ إذ لم تكن الحادثة مظنة السوء، حيث قدمت أم المؤمنين رضي الله عنها مع صفوان بن المعطل في وضح النهار، وأمام رسول الله ﷺ ولو كان هناك ريبة لما ظهرها بتلك الصورة الواضحة، وتصوير هذه (بالإفك) الذي جرى على السنة المؤتفكين، في صورة مجسدة، وأنه شيء مجلوب جاءوا به من عالم الظلام، وتعاملوا به، وتبادلوه فيما بينهم، كما يتبادلون النقد الزائف، وقوله (عصبة) بيان أن هؤلاء شرذمة قليلون، وأنهم عدد ليس بالكثير في الناس (٢) ، ثم جاء قوله تعالى: (لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم) الخطاب لرسول الله ﷺ ، ولآل الصديق ﷺ ، ويدخل في هذه الآية كل من استاء من المؤمنين لأجله ، تسلية لهم من أول الأمر، وأي أمان لهم بعد طمأننتهم؛ لأن ما حسبوه شراً لهم كان خيراً، وهذا زيادة

(١) انظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد - ابن عاشور - ١٦٩ / ١٨ ، في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٥٠٠ / ٤ ، الموسوعة القرآنية - إبراهيم الأبياري - ٣٩١ / ١٠ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١٢٣٩ / ٩ .

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١٢٣٠ / ٩ ، تفسير المراغي - ٨٣ / ١٨ .

في التسلية والتكريم، أي لا تظنوه يلحق تهمة بكم، أو يوقع نقيصة فيكم، بل قد جر لكم خيراً عظيماً لسان صدق في الدنيا، ورفعة في منازل الآخرة، وإظهار شرف باعتناء الله ﷻ بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، حيث أنزل فيها قرآن يُتلى إلى يوم القيامة؛ فأصبح التصديق ببراعتها جزءاً من إيمان كل مؤمن، وكل من شكَّ فيه كَفَرَ (١)، وقد ذكر القرطبي في ذلك كلاماً جميلاً ناقلاً القول عن بعض أهل التحقيق: " إِنَّ يُوسُفَ ﷺ لَمَّا رُمِيَ بِالْفَاحِشَةِ بَرَّاهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ صَبِيِّ فِي الْمَهْدِ، وَإِنَّ مَرْيَمَ لَمَّا رُمِيَتْ بِالْفَاحِشَةِ بَرَّاهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِ ابْنِهَا عِيسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّ عَائِشَةَ لَمَّا رُمِيَتْ بِالْفَاحِشَةِ بَرَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ، فَمَا رَضِيَ لَهَا بِبِرَاءَةِ صَبِيِّ وَلَا نَبِيِّ حَتَّى بَرَّاهَا اللَّهُ بِكَلَامِهِ مِنَ الْقُدْفِ وَالْبُهْتَانِ " (٢) ، ثم كشف القرآن العظيم مَنْ الذي كان وراء هذا الأمر، قال تعالى: **(والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)** أي وأما دعاة الفتنة فلكل واحد تكلم في هذه الفرية ورمى أم المؤمنين عائشة بالفاحشة، فله نصيب من العذاب الشديد، بقدر ما خاض فيه، والذي تحمل معظم الإثم منهم: هو عبد الله بن أبي زعيم المنافقين، فقد روي عن عبد الله بن عباس ؓ ما يؤيد ذلك ، له عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، فإنه أول من اختلق هذا الخبر بين المسلمين ، ثم بذل جهده لنشرها بينهم، حتى وقع في شركها بعض المؤمنين دون دراية منهم لما يخطط هو وأعدائه، ومعظم الشرِّ كان منه، أما عذابه في الدنيا: فبإظهار نفاقه ونبذه من المجتمع، وأما في الآخرة: فهو في الدرك الأسفل من النار (٣)

ولم يدع القرآن الكريم المسلمين في ظل تلك الظروف على مواقفهم تلك من هذه الفرية، فقال تعالى: **﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾** وهنا يُؤدَّبُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قِصَّةِ عَائِشَةَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهَا، حِينَ أَفَاضَ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ الْإِفْكِ فِدَاعَهُمْ إِلَى الظن الحسن، ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته ، وعدم الاستجابة لدعاوي المنافقين، وفيه معاتبته للمؤمنين ، فَقَالَ تَعَالَى: هَلَّا إِذْ سَمِعْتُمْ

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١ / ١١٥ ، محاسن التأويل - القاسمي - ٧ / ٣٣٦ ،

التفسير الواضح - الحجازي - ٢ / ٦٦٣ ، بيان المعاني - عبد القادر آل غازي العاني - ٦ / ١١٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - ١٢ / ٢١٢ ، وانظر: الإصابة في الذب عن الصحابة - مازن بن محمد - ص ٢٤٨ ،

التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - الزحيلي - ١٨ / ١٩١ ، فتح البيان في مقاصد القرآن -

محمد القنوجي - ٩ / ١٩٣ ، صفوة التفسير - الصابوني - ٢ / ٣٠٩ .

(٣) انظر: التفسير الوسيط - د. وهبة الزحيلي - ٢ / ١٧٣٥ ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن

وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه - مكي بن أبي طالب - ٨ / ٥٠٤٣ .

هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، فَحَسَبْتُمْ ذَلِكَ الْكَلَامَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِذَا كَانَ لَا يَلِيْقُ بِكُمْ، فَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُ، بِالْأُخْرَى وَالْأَوْلَى (١) .

ثم تأتي الآيات القرآنية بعد ذلك لتؤكد عظم هذه المقالة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ قوله سبحانه : **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ** فيه وجهان: أحدهما: هو أن نتحدث به ونلقيه بين الناس حتى ينتشر، الثاني: أن ينلقاه بالقبول إذا حدث به ولا ينكره ، فإن المتلقي لها لو تدبرها ، وعظم دلالتها لمقتها ، ولكن عطل عقله واستقبلها بلسانه، فلم يدرك بعد خطورة ما يتحدث به ، والسامع يظن أنه قد خلى من الوعي والادراك، وأن مبعث ذلك الظن، لسهولة ما يتحدث به، وغفل عن آثاره المترتبة على النبي ﷺ وأهل بيته، كيف لا، والله عز وجل يقول **إِنَّ ذَلِكَ عَظِيمٌ** عنده، وكفى بذلك درجة (٢) .

ثم ختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ توجيه واضح لعظم ما قيل، فالبهتان هو أن تقول في الشخص ما ليس فيه، وهو هاهنا كذلك بزيادة مخالفته للضرورة، أن هذا الأمر يجب أن يكون الموقف منه الإعراض عنه لعظم وفداحة خطر الحديث به، ولكن يجب أن يعي الناس في هذا الشأن العظة والعبرة، فلا يعود للحديث مثله مرة أخرى، ولكن الاستجابة لا تكون إلا للمؤمنين، أما غيرهم فيكرر الخطأ المرة تلو المرة (٣) .

وقد استفاد المؤمنون من هذه المحنة بأن أظهرت المنافقين المندسين في صفوف المؤمنين، فتأتي المحن، وتأتي الفتن؛ لتظهر ما تُكِنُّه الصدور من نفاق، ولتظهر ما تُكِنُّه القلوب من حقد على الإسلام وأهله، ولكن الله ﷻ يخذلهم في كل موضع، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] (٤)

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل - الخازن - ٢٨٨ / ٣ .

(٢) انظر: النكت والعيون - الماوردي - ٨٢ / ٤ .

(٣) انظر: تفسير ابن عرفة - ٢٢٧ / ٣ .

(٤) انظر: إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة - ياسين المحجوب - ص ١٨٨ .

المطلب الثالث

إيداء المنافقين للنبي ﷺ بالتآمر على دعوته ببنائهم لمسجد ضرار

إن خطورة النفاق والمنافقين على المؤمنين تبرز في تدبير المؤامرات، وحبك الدسائس ضد المسلمين، والمشاركة فيها، والاستجابة لمروجيها، لأنهم قوم لا تصفؤ مودتكم لأحد، ولا يسلم من أذاهم بشر، قد صدق فيهم قول المصطفى ﷺ: (تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلَاءَ بَوَجْهِ، وَهَوْلَاءَ بَوَجْهِ) (١).

ومن أهم السور التي تعرضت لفصائح المنافقين بصفاتهم، وأعمالهم، وأقوالهم، هي سورة التوبة؛ لذلك سميت سورة الفاضحة، حيث جاء في الجامع لأحكام القرآن أن سورة التوبة تسمى الفاضحة والبحوث لأنها تبحث أسرار المنافقين (٢)، فعن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: " قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ ... حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا دُكِرَ فِيهَا " (٣).

ومن أبرز المخططات النفاقية التي سجّلتها هذه السورة وصنمة عار على جبين المنافقين إلى يوم القيامة وهي بناء مسجد الضرار، وقد دبر هذه المكيدة أبو عامر الراهب (٤)؛ وقد كان هذا المسجد الذي بنوه بمثابة مركز الجاسوسية والرصد لمحاربة الإسلام والمسلمين، فالمنافقين لا يتفقون مع أفراد المجتمع من المؤمنين في عقيدتهم، ولا يلتقون معهم في مبادئهم، ولهذا يتملكهم الشعور بالنبذ والإبعاد، ويعيشون في قلق وخوف من انكشاف أمرهم، وفضح مخططاتهم، لذلك هم في

(١) صحيح البخاري - كتاب الأدب - باب ما قيل في ذي الوجّهين - ١٨ / ٨ - رقم ٦٠٥٨ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٦١ / ٨ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب {الجلأء} - ١٤٧ / ٦ - رقم ٤٨٨٢ .

(٤) هو أبو عامر الفاسق الذي يقال له الراهب لعنه الله، كان قد تنصر في الجاهلية، تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم، فلما ظهر رسول الله ﷺ عاداه لأنه زالت رياسته، وقال لرسول الله ﷺ يوم أحد: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل يقائله إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن خرج هارياً إلى الشام، وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد، وهو الذي ألّب قريشاً على المسلمين في أحد، وحفر الحفائر في ميدان المعركة كي يقع فيها المسلمون، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً، فنالته هذه الدعوة، والعجيب في هذا أنه والد حنظلة غسيل الملائكة؛ فسبحان الله (انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٤ / ٤٧٣، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية - ٢ / ٣٤١، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة - ابن شهبة - ٢ / ٥٠٧)

حاجة شديدة إلى الشعور بالأمان، وهذا الأمان يحصلون عليه بالإنفراد مع بعضهم البعض، والتمتع بقدر من الحرية والخصوصية، ولكن هذه الخصوصية تحتاج إلى غطاء تستتر به، ولا بد من أن يكون غطاء لا يلفت الأنظار، ولا يثير الشك، وقد وقع هذا من المنافقين في زمن النبي ﷺ، وقد كان دافعهم لذلك أن هذا الراهب الذي سماه النبي ﷺ بالفاسق عندما رأى أمر النبي ﷺ في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستتصره على النبي ﷺ، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب يَعدُّهم ويُمنِّيهم أنه سيفدُّم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه، ويردّه عما هو فيه، وكانوا اثني عشر رجلاً، وأمرهم أن يتخذوا له مَعْقلاً يقدِّم عليهم فيه من يقدِّم من عنده لأداء كُتْبِهِ، ويكونَ مرصداً له إذا قَدِمَ عليهم بعد ذلك، فقال لهم: ابْنُوا مَسْجِدَكُمْ، وَاسْتَمِدُّوا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ سِلَاحٍ، فَإِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ، فَآتِي بِجُنْدٍ مِنَ الرُّومِ، فَأُخْرِجُ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ (١)، فشرعوا في بناء مسجد مُضَاهَاةً لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، ثم جاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم، ليحتجوا بصلاته ﷺ فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم، وأهل العلة في الليلة الشاتية، وحلفوا بالله إن أردنا إلا الحسنى - والله يشهد إنهم لكاذبون - فعصمه الله ﷻ من الصلاة فيه؛ فقد أوكَل النبي ﷺ أمرَ النَّظَرِ في طلبهم إلى ما بعد العودة من تبوك، وقد كان هؤلاء المنافقين يجتمعون فيه ليشتمون النبي ﷺ، ويستهزئون به، فلما قَفَلَ النبي ﷺ راجعاً إلى المدينة من تبوك، ولم يبقَ بينه وبينها إلا يوم، أو بعض يوم، وهَمَّ رسول الله ﷺ أن يذهب إلى ذلك المسجد ناداه جبرائيل ﷺ ألا تقم فيه، ونَزَلَ عليه بخبر مسجد الضَّرار، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم - مسجد قباء - الذي أُسِّس من أول يوم على التقوى، وهذا من كمال عنايته ﷺ بنبيه ﷺ، حيث أنه لو فعل لكان مبرراً لهؤلاء المنافقين في الترويج له، ثم بعث النبي ﷺ إلى ذلك المسجد من هَدَمَهُ قبل مَقْدَمِهِ المدينة (٢)، ذكر الغزالي في وصف المشهد: فجاء الصحابة إلى المسجد يحملان الشُّعْلَ الحارقة، وأخذوا يأتیان عليه، وفيه

(١) انظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - البيهقي - ٥/ ٢٦٣، لباب النقول في أسباب النزول -

السيوطي - ص ١١٢، الدر المنثور في التفسير بالمأثور - السيوطي - ٤/ ٢٨٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٤/ ٢١١، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - الزحيلي

- ١١/ ٤٠، الدر الثمين في أخبار المدينة - ابن النجار - ص ١٢٩، غرائب القرآن و رغائب الفرقان -

النيسابوري - ٣/ ٥٢٩، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل - العامري -

٢/ ٣٥، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - أبو الطيب المكي - ٢/ ٤٤٥، المعالم الأثيرة في السنة والسير -

محمد شُرَّاب - ص ٢٥٢.

أهله الذين فرّوا مذعورين لمرأى اللهب، يُدمر آخر ما شاد النفاق من حيل^(١)، وبذلك خيب الله ﷻ مسعاهم، وأبطل كيدهم، ونزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ * أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ * لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة ١٠٧-١١٠] فقد بينت الآيات الكريمة البواعث والغايات التي أرادوها من وراء بنائهم لمسجد ضرار، فالضرار في قوله تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً): هو طلب الضرر ومحاولته^(٢)، وفي معنى الضرر والضرار ذكر القرطبي قول بعض العلماء أن الضرر: الذي لك به منفعة، وعلى جارك فيه مضرة، أما الضرار: الذي ليس لك فيه منفعة، وعلى جارك فيه المضرة، وقيل هما بمعنى واحد^(٣)، أما ابن الجوزي فقال: " أي اتخذوه للضرار، والكفر، والتفريق، والإرصاد "^(٤)، وأيده بذلك الألويسي حيث قال: "والضرار طلب الضرر، ومحاولته"^(٥)، فتبين من ذلك أنهم ليس لهم رغبة وهدف من وراء بناء هذا المسجد سوى الضرر والإضرار، وطلبه، والسعي لتحقيقه، فلا يُسمى الشيء ضراراً إلا إذا عُدَّ نفعه، وكان شراً وضرراً محضاً؛ كما هو حال مسجد ضرار، وقوله سبحانه: (وكفراً) معطوف على ضراراً؛ أي من أجل الكفر والإلحاد والمحاربة، فهم أضمروا هذه النية الخطيرة في قلوبهم منذ اللحظة الأولى من بنائهم وتأسيسهم لمسجدهم المشؤوم، ذكر الشوكاني في تفسيرها: فقد أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة، ذكر منها: الأول الضرار لغيرهم، والثاني الكفر بالله والمعاندة لأهل الإسلام؛ لأنهم أرادوا ببناؤه تقوية أهل النفاق^(٦)، وقال صاحب تفسير المنار أنهم أرادوا: " الكُفْرُ أَوْ تَقْوِيَةُ الكُفْرِ، وَتَسْهِيلُ أَعْمَالِهِ مِنْ فِعْلِ وَتَرْكِ، كَتَمَّكِينَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ هُنَالِكَ مَعَ خَفَاءِ ذَلِكَ عَلَى

(١) فقه السيرة - ص ٤١٣ (بتصرف) .

(٢) انظر: تاج العروس - مرتضى الزبيدي - ٣٨٥ / ١٢ .

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢٥٤ / ٨ .

(٤) زاد المسير في علم التفسير - ٢٩٧ / ٢ .

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - ١٨ / ٦ .

(٦) فتح القدير - ٤٥٨ / ٢ (بتصرف يسير) .

المؤمنين لِعَدَمِ اجْتِمَاعِهِمْ فِي مَسْجِدٍ وَاحِدٍ، وَالتَّشَاوُرُ بَيْنَهُمْ فِي الكَيْدِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْرِ ذَلِكَ" (١)، قوله: (وتفريقاً بين المؤمنين) ومن أهدافهم الخبيثة أنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء؛ فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك إضعاف للشوكة، وتشتيت للكلمة، وإبعاد للمسلمين عن التأثر والتوجيه المباشر من شخص النبي ﷺ، إضافة إلى التقليل من سواد المسلمين في الجماعة الواحدة، والذي يُعتبر ذلك - أي تكثير السواد في الجماعة الواحدة - مَطْلَباً من مطالب الشريعة، ومَقْصِداً هاماً من مقاصد صلاة الجماعة؛ وفي ذلك من اختلاف الكلمة، وبُطلان الألفة ما لا يخفى، وهذا يدل على أن المقصد الأكبر، والغرض الأظهر من أهمية الجماعة تأليف القلوب والكلمة على الطاعة، وتصفو القلوب من وَضَرِ الأحقاد (٢)، قوله: (وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل) : أي ترقباً وانتظاراً لمَقْدَمِ من حارب الله ورسوله من قبل أن يُبْنَى مسجد الضَّرار، واتفق المفسرون على أن الذي أغرامهم ببناء هذا المسجد لهذا الغرض هو أبو عامر الفاسق - كما أسلفنا- الذي جَدَّدَ نفسه لمحاربة الله ﷻ ورسوله، وكان قد خاض الحروب العديدة ضد النبي ﷺ قبل أن يبني مسجد الضَّرار؛ ليستغله كقاعدة عسكرية ينطلق منه لحرب الإسلام والمسلمين، فهو مسجد في الظاهر، لكنه في حقيقة أمره قلعة من قلاع الحرب والمكر والكفر (٣)، وقد وصف الله ﷻ أهداف مسجد الضَّرار بأربع صفات: ضرراً، وكفراً، وتفريقاً بين المؤمنين، وإرساداً لمن حارب الله ورسوله، ويرى الباحث أنه بضد تلك الصفات، وانطلاقاً من مفهوم المخالفة تتحقق رسالة المسجد، ولا تخرج عنها، وهي:

- ١- للمنفعة لا للضرار .
 - ٢- وللايمان..... لا للكفر .
 - ٣- ولتوحيد الصفوف..... لا للتفريق بين المؤمنين .
 - ٤- ولنشر الدعوة..... لا للإرساد لمن حارب الله ورسوله، والترصد لها .
- ثم بيّن الله ﷻ كذبهم وخداعهم، وأخزاهم بما كشف من سوء تدبيرهم فقال سبحانه:
- (وَالْيَخْلَفْنَ) أي: الذين بنوه من المنافقين؛ فهم دائماً يتخذون أيمانهم جُنَّةً، يحتتمون بها من نظرات

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد رضا - ٣٢ / ١١ .

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٣٨٦ / ٢ ، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢٥٧ / ٨ ، فتح القدير - الشوكاني - ٤٥٨ / ٢ ، المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال - عبد الرحمن التميمي - ص ٢٩٧ .

(٣) انظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد رضا - ٣٢ / ١١ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٣٨٧ / ٢ .

الافتهام التي يرمون بها، أو يُفدّرون أنهم يُرمون بها من كلِّ عينٍ تنظر إليهم (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) أي: ما أردناه بيناينه إلا خيراً ورفقاً بالناس؛ فقال سبحانه: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) أي: في حلفهم ذلك، وقيلهم: ما بيناه إلا ونحن نريد الحسنى، وفيما قصدوا وفيما نؤوا، وإنما بنوه ضراراً لمسجد قُباء ، وكفراً بالله ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله (١) .

وهكذا كان هذا الموقف الذي كشف عن حقيقة المنافقين، وتعرية أهدافهم عن تلك الأفتنة التي سترّوا أنفسهم بها، بأن أمر الله ﷻ النبي ﷺ بهدم وتحريق ذلك البناء الذي زعموه مسجداً، وهم إنما بنّوه مرصداً لنفاق المنافقين، وموتلاً لتنظيم المكائد ضد المسلمين، وذريعة للتفريق (٢) .

إنّ مسجد الضّرار الذي بناه المنافقون هو بمثابة الأساس الحَرْب لكل مخطط يُفصد من خلاله الإضرار بالمسلمين، وإسلامهم إلى يوم القيامة، فإنّ الله ﷻ قال: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٠] أي: لا تزال الرّيبة والمكر والعداء للإسلام وأهله في نفوس المنافقين قائمة ما داموا على قيد الحياة حتى يُقتلوا أو يتوبوا إلى الله توبة تنقطع لها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم وعدوانهم للإسلام وأتباعه، ولا يزال مسجد الضّرار الذي بناه المنافقون في الصّدْر الأول ما يزال اليوم يتخذ في صور شتى من الوسائل الماكرة التي يتخذها أعداء الإسلام لحرب المسلمين، وتفريقهم، وتشويه صورة الإسلام في نفوسهم عبر وسائلهم المختلفة، فقنوات البث المباشر الناشرة للرذيلة، والمجلات الفاتنة الفاضحة، والجرائد المنحرفة الضالة، والكتب الهدامة، والبنوك الربوية، ماهي إلا صور جديدة وقوالب مختلفة لمسجد الضّرار، وإن تلبّست باسم الإسلام، وأفتحت بمقدّماته، ونشرت بعض قيمه وأخلاقه، فهي تحمل في طياتها الفساد والانحلال والغزو الفكري المرّكز ضد عقيدة المسلمين وتربيتهم وقيمهم وأخلاقهم، وإنّما يتأكّلون باسم الإسلام، وعلى شاكلتها كل محل ينشر الرذيلة، أو يبيع الفساد والخبث للمسلمين، كمحلات الفيديو، ومحلات الأشرطة الغنائية، والأزياء الفاضحة، والمكتبات التي تروج للفساد والإفساد بين المسلمين (٣) .

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٤ / ٤٧٠ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل - النسفي -

١ / ٧٠٩ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٦ / ٨٩٥ .

(٢) انظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة - محمّد البوطي - ص ٣١٢ .

(٣) انظر: خطبة مدونة للشيخ ناصر الأحمد بعنوان (مسجد الضرار ومؤامرات المنافقين)، الرابط:

<http://alahmad.com/node/501>

ولكنّ الفرج والغلبة للمسلمين، فإن التعبير القرآني الفريد في آيات مسجد الضّرار، يرسم الصورة النهائية التي توضح بجلاء مصير كل وسيلة إضرار بالمسلمين تقام إلى يوم القيامة، ويكشف عن نهاية كل محاولة خادعة، تخفي وراءها نية خبيثة ضد المسلمين فقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَتَىٰ عَلَىٰ بُيُوتِهِ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَىٰ شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩] ، وقال أيضا: ﴿ ... وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]

المطلب الرابع

إبذاء المنافقين للنبي ﷺ بالاستهزاء والسخرية منه ﷺ ومن أصحابه والظعن في رسالته

إنّ الاستهزاء والسخرية صفة ذميمة تأصلت في نفوس المنافقين على مدار التاريخ، وهي من أخطر وسائل المنافقين في الصد عن دين الله ﷻ، ورفض أحكامه، وردّ شريعته، استهزاءً بأهله، واستحقاراً لهم، والظعن فيهم؛ لتغيير الناس، وتفريقهم عنهم، وقد استخدم المنافقون أسلوب السخرية والاستهزاء؛ والذي يحمل في ثناياه كل الصفات السيئة كالحقد، والحسد، والبغض، والأنانية، وجميعها تدل على عمق الخبث في نفوس المنافقين، وعلى سوء نيتهم، فهم يتخذون من الاستهزاء بالنبي ﷺ والسخرية منه، ومن أصحابه، مادة لإشباع ذلك الجوع المسعور من الحقد على الإسلام، وعلى الرسول ﷺ الذي حمل رسالته (١).

وقد أخبر الله تعالى عن قباحة فعلهم وعظيم جرأتهم باستهزائهم بدين الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥] والمعنى " ساخرون بالمؤمنين، نُظهِر لهم أنّنا مسلمون لنخادعهم " (٢) ، ولقد تعرض سيد قطب في تفسيره لهذه الآية بشكل مفصل حيث قال: هؤلاء المنافقون كانوا (إذا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) أي بالمؤمنين؛ وذلك بما نُظهِرهم من الإيمان والتصديق، وما يكاد القرآن يحكي فعلتهم هذه وقولتهم، حتى يَصْبَ عليهم من التهديد ما يهد الرواسي فقال: (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) وما أبأس ممن يستهزئ به جبار السماوات والأرض وما أشقاها!!

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٥ / ٨٢١ .

(٢) تفسير الفاتحة والبقرة - العثيمين - ١ / ٥٤ .

ثم أضاف وإنَّ الخيال ليمتد إلى مشهد مفزع رهيب، وإلى مصير تقشعر من هوله القلوب، وهو يقرأ: (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) فيدعهم يتخبطون على غير هدى في طريق لا يعرفون غايته، واليد الجبارة تتلقفهم في نهايته، كالفئران الهزيلة تتواثب في الفخ، غافلة عن المقبض المكين.. وهذا هو الاستهزاء الرهيب، لا كاستهزائهم الهزيل الصغير، كما تبدو هنا حقيقة تولي الله ﷻ للمعركة التي يراد بها لحبيبه ﷺ ولمناصره، وما وراء هذا التولي من طمأنينة كاملة لأولياء الله ﷻ، ومصير رعيب بشع لأعداء الله الغافلين، المتروكين في عمامهم يتخبطون، المخدوعين بمد الله ﷻ لهم في طغيانهم، وإمهالهم بعض الوقت في عدوانهم، والمصير الرهيب ينتظرهم هنالك، وهم غافلون يعمهون^(١) وقال صاحب أقاويل الثقات: المقصود بالاستهزاء في الآية من باب العبث والسخرية، فمعنى يستهزئ بهم أي يجازيهم على استهزائهم، وهو من باب المشاكلة في اللفظ؛ ليزدوج الكلام؛ كقوله تعالى: ﴿... جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا...﴾ [يونس: ٢٧]، وقوله أيضاً: ﴿... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ...﴾ [التوبة: ٦٧]^(٢)، والمعنى: يعاملهم معاملة المستهزئ، أما في الدنيا فيأجروا أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإمهال، وأما في الآخرة فيروى أنه يفتح لأحدهم باب الجنة فيسرع نحوه، فإذا سار إليه سدّ دونه، ثم يُفتح له باب آخر، فإذا أقبل عليه سدّ دونه، وأما مذهب السلف فلا يؤولون، ولا يكتفون، فيؤمنون بما أخبر، لا كما يخطر في أوهام البشر^(٣).

كما ضبط القرآن الكريم هذه الجماعة الآثمة في موضع آخر، وهي قائمة على هذا الإثم، تلوكه في أفواها المنكّرة، كما تلوك الكلاب قطعاً من العظم الرميم؛ فكان ذلك فضحاً لهم على الملاء، وخزياً منتقلاً معهم في كل مكان، ينادى عليهم بالذلة والمهانة والصغار! يقولون - خرسنت ألسنتهم - عن النبي المصطفى كما أخبرنا سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...﴾ [التوبة: ٦١] الضمير هنا في قوله سبحانه: (وَمِنْهُمْ) عائد على المنافقين، ولفظ (يؤذون) يعمُّ جميع ما كانوا يفعلونه، ويقولونه في جهة رسول الله ﷺ من الأذى، وخصّ بعد ذلك من قولهم

(١) في ظلال القرآن - ٤٥ / ١ (بتصرف) .

(٢) أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات - مرعي الكرمي - ص ٧٢ (بتصرف يسير) .

(٣) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير - شمس الدين الخطيب - ١ / ٢٦ ، أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات - مرعي الكرمي - ص ٧٢، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب - أبو العون السفاريني - ١ / ١٣١ ، روح البيان - إسماعيل الحنفي الخلوتي - ١ / ٦٢ .

(هُوَ أُذُنٌ) أي يعطي أذنه لكل قائل يُلقِي فيها ما يقول له؛ وهم يريدون بذلك أنه سليم القلب سريع الإغترار بكل ما يسمع دون أن يتدبر فيه ويميز بين ما هو جدير بالقبول لوجود أمارات الصدق فيه، وما لا ينبغي قبوله، فكلمات النفاق الكاذبة التي يلقونها بين يدي النبي، ويحلفون عليها كذباً وزوراً يخيل إليهم أن النبي الكريم ﷺ؛ إذ يقبلها منهم، أو يسكت عنها - فلا يبهتهم بها - أنه يحمل كلماتهم الكاذبة المنافقة تلك مَحْمَلُ الصِّدْقِ، ولهذا فهم يقولون في النبي ﷺ هذا القول المنكر: (هو أذن) - حاشاه - (١)، وقد روي أن قائل هذه اللفظة هو نبتل بن الحارث (٢)، وروي عن الحسن البصري ومجاهد أنهما تأولا أنهم أرادوا بقولهم هُوَ أُذُنٌ: أي يسمع منا معاذيرنا، وتتصلنا، ويقبله؛ فنحن لا نبالي عن أذاه، ولا الوقوع فيه؛ إذ هو سَمَاعٌ لكل ما يقال من اعتذار ونحوه، وهذا تنقُصُ، وطعن في نبوة الصادق المصدوق ﷺ، وقيل في سبب نزولها أيضاً أن ناساً من المنافقين اجتمعوا، وقد كان فيهم: جِلاسُ بْنُ سُوَيْدٍ (٣)، ذكر أهل التفسير ومنهم ابن كثير: فَأَرَادُوا أَنْ يَقْعُوا فِي النَّبِيِّ ﷺ فَهَيَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَالُوا: إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَبْلُغَ مُحَمَّدًا فَيَقْعُ بِكُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ نَحْلِفُ لَهُ فَيُصَدِّقُنَا، وَعِنْدَهُمْ غُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُدْعَى عَامِرُ بْنُ قَيْسٍ فَحَقَرُوهُ فَتَكَلَّمُوا وَقَالُوا: (لَئِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ)، فَسَمِعَهَا الْغُلَامُ فَغَضِبَ وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ، وَإِنِّكُمْ لَشَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، ثُمَّ ذَهَبَ فَبَلَّغَهَا النَّبِيَّ ﷺ فَدَعَاَهُمْ، فَحَلَفُوا بِاللَّهِ ﷻ أَنْ عَامِرًا لَكَاذِبٌ، وَحَلَفَ عَامِرٌ إِنَّهُمْ لَكَاذِبَةٌ، فَصَدَّقَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عَامِرٌ: اللَّهُمَّ لَا تُفَرِّقْ بَيْنَنَا حَتَّى تَبَيِّنَ صِدْقُ الصَّادِقِ مِنْ كَذِبِ الْكَاذِبِ، وَقَدْ كَانَ مَخْشِيُّ بْنُ حَمِيرٍ أَحَدَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ: وَيَحْكُمُ يَا مَعْشَرَ الْمُنَافِقِينَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى أَنَا شَرٌّ خَلَقَ اللَّهُ وَخَلِيقَتِهِ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قُدِّمْتُ فَجُلِدْتُ مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَأَنَّهُ لَا يَنْزِلُ فِيْنَا شَيْءٌ يَفْضَحُنَا فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - ٥٢ / ٣ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم

الخطيب - ٨٢١ / ٥ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٦٧ / ٤ ، تفسير المراغي - ١٠ / ١٤٧ .

(٢) نَبْتَلُ بْنُ الْحَارِثِ من بني لوزان بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي ، كان من مَرَدَةِ المنافقين ، وكان رجلاً شديد السواد، ثائر الرأس واللحية، أحمَرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشَوَّهَ الْخَلْقَةِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الشَّيْطَانِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى نَبْتَلِ بْنِ الْحَارِثِ)، حيث كان ينم حديث رسول الله ﷺ إلى المنافقين فقيل له: لا تفعل فقال: إنما محمد أذن، مَنْ حَدَّثَهُ شَيْئًا صَدَقَهُ، نَقُولُ مَا سَمِعْنَا، ثُمَّ نَأْتِيهِ فَنَحْلِفُ لَهُ فَيُصَدِّقُنَا، فنزلت هذه الآية، وقيل أنه تاب (انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال - يوسف المزي - ٥ / ٥٠٣ ، الإصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - ٦ / ٣٢٩ ، جمل من أنساب الأشراف - البلاذري - ١ / ٢٧٥) .

(٣) جِلاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ الْأَنْصَارِيِّ: كَانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ الْقَائِلُ: لَئِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَادِقًا لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحَمِيرِ، وَقِيلَ أَنَّهُ تَابَ وَحَسَنَتِ تَوْبَتُهُ حَتَّى عَرَفَ مِنْهُ الْإِسْلَامَ وَالْخَيْرَ (انظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام - السهيلي - ٤ / ٢٠٨) .

صَادِقًا، وَقَالُوا: هُوَ أَذُنٌ^(١)، وقد روي عن ابن عباس وجماعة معه أنهم أرادوا بقولهم هُوَ أَذُنٌ أي يسمع كل ما يُنقل إليه عنَّا، ويصغي إليه ويقبله؛ فإذا حَلَفُوا له فعفا عنهم؛ كان ذلك لأنه أَذُنٌ خير، لا لأنه صدَّقهم، وهذا وصف باطل بأنَّ الأباطيل والحقائق تستوي عند النبي ﷺ^(٢) قال أبو السعود: " وإنما قالوه لأنه صلوات الله عليه كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا، ويصفح عنهم حلمًا وكرمًا، فحملوه على سلامة القلب، وقالوا ما قالوا..."^(٣) ثم ردَّ الله سبحانه وتعالى على هؤلاء المنافقين بما يكتبهم، وبملا قلوبهم حسرة وكمدًا فقال جلَّ شأنه لهم: ﴿... قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ...﴾ [التوبة: ٦١] وهذا أبلغ أسلوب في الرد عليهم، فإنه صدَّقهم في كونه أذنانًا، إلا أنه فسَّره بما هو مدح له، وثناء عليه ﷺ، وفي هذا إيماء إلى أنه لا يؤمن لهؤلاء المنافقين إيمان تسليم، ولا يصدقهم في أخبارهم وإنَّ وكَّدوها بالإيمان؛ إذ كان لا يواجه أحدًا بما يكره، وبمعاملته إياهم كما يعامل أمثالهم من عامة أصحابه، كما أنَّ الإشارة إلى النبي الكريم ﷺ بضمير الغيبة (هو) وظاهر النَّظْم يقتضى بأن يكون النبي ﷺ هو المتحدث عن نفسه.. هكذا: قل إنني أذن خير لكم، في ذلك إشارة إلى أن الذي يتولى الدفاع عن النبي ﷺ هو الله ﷻ وأنه إذا كان النبي ﷺ غير موجود عند أولئك الذين يفترون فيه هذا القول المُنكَر، فإن الله ﷻ هو وليه، وهو الذي يدافع عنه، ويفضح المتآمريين عليه؛ وهذا ورِيَّ قمة العناية الربانية بني البشرية ﷺ^(٤) فأذن الرسول ﷺ هي وعاء خير خالص للناس جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، برِّهم وفاجرهم، ذلك أن الرسول يؤدِّن بكلمات ربِّه التي سمعها من الرُّوح الأمين في الناس جميعاً، فمحمد ﷺ إنما هو مستمعٌ خيرٍ، يصدِّق بالله ﷻ وبما جاءه من عنده، ويصدق المؤمنين، ولكن لا يصدِّق أهل النفاق والكفر بالله ﷻ إذا سمع لهم، ثم إن النبي ﷺ رحمة للمؤمنين الذي صدَّقوه، وآمنوا بما جاءهم به

-
- (١) تفسير القرآن العظيم - ١٨٢٦ / ٦ (بتصرف) ، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان - ١٣٨ / ٥ ، زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٢٧٢ / ٢ ، البحر المحيط في التفسير - أبو حيان - ٤٤٨ / ٥ ، تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ٤٣٠ / ٥ ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان - النيسابوري - ٤٩٥ / ٣ .
- (٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - ٥٢ / ٣ ، جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٣٢٥ / ١٤ ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - أبو بكر البقاعي - ٥١٥ / ٨ ، وا محمداه إن شانتك هو الأبتى - سيد العفاني - ٤٦٩ / ٤ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ٦٤ / ٥ ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري - ٢٨٦ / ٢ .
- (٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - ٧٧ / ٤ ، وانظر: روح البيان - إسماعيل الحنفي الخلوتي - ٣ / ٥٥٦ ، محاسن التأويل - القاسمي - ٤٤٢ / ٥ .
- (٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٨٢٣ / ٥ ، تفسير المراغي - ١٤٨ / ١٠ .

من عند الله سبحانه وتعالى - لأنه كان سبب إيمانهم.. (١) ، قال سبحانه: ﴿...وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١] قال أبو السعود في تفسير الآية: وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب، وإيراده ﷺ بعنوان الرسالة مضافاً إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على أن أذيته راجعة إلى جنبه ﷺ موجبةً لكمال السخط والغضب (٢) ، وقد قال سبحانه في موضع آخر يبين عاقبة الذين يؤذون رسول الله ﷺ فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧] إن هذا العقاب العظيم جعله الله على الأذى مع العلم أن الجرم كما يبدو ليس متناسباً مع العقاب والعذاب المهين؟ وما ذلك إلا لعظمة الرسول ﷺ ، وموقعه عند الله ﷻ الموقع العظيم؛ حتى جعل من يؤذيه بأبسط شيء فإنما عقابه عظيم، يقول ابن كثير في تفسيره هذه الآية: "الظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله ﷻ .." (٣) ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسيره للآية عن الحكم الشرعي لمن يؤذي رسول الله ﷺ فقال: ودلالاتها من وجوه:

أحدها: أنه قرن - الله ﷻ - آذاه بأذاه - النبي ﷺ - ، كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوباً عنه، ومن آذى الله ﷻ فهو كافر حلال الدم، يبين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله، وإرضاء الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله شيئاً واحداً فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤] ، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وقال تعالى: ﴿... وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢] فوحد الضمير، وقال سبحانه أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾ [الفتح: ١٠] وقال أيضاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ [الأنفال: ١]

- (١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري - ٢ / ٢٨٤ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - أبو الحسن الواحدي - ص ٤٦٩ .
- (٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - ٤ / ٧٨ (بتصرف يسير) ، وانظر: محاسن التأويل - الفاسمي - ٥ / ٤٤٥ .
- (٣) تفسير القرآن العظيم - ٦ / ٤٢٤ ، وانظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - الزحيلي - ٢٢ / ١٠٠ .

وجعل شقاق الله ورسوله، ومحادة الله ورسوله، وأذى الله ورسوله، ومعصية الله ورسوله شيئاً واحداً فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [المجادلة: ٢٠] وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [التوبة: ٦٣] وقال: ﴿... وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ [الجن: ٢٣] ويضيف ابن تيمية في تحليله - إنَّ هذا وغيره بيان لتلازم الحقيين، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة؛ فمن آذى الرسول ﷺ فقد آذى الله ﷻ، ومن أطاعه فقد أطاع الله؛ لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول، ليس لأحد منهم طريق غيره، ولا سبب سواه، وقد أقامه الله مقام نفسه في أمره ونهيه وإخباره وبيانه، فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور.

وثانيها- كما يقول ابن تيمية - : أنه فرق بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات فجعل على هذا أنه: ﴿... فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨] وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة، وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل. الثالث: أنه ذكر أنه لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً واللعن: الإبعاد عن الرحمة، وَمَنْ طَرَدَهُ عَنْ رَحْمَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لَا يَكُونُ إِلَّا كَافِرًا... (١).

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول - ص ٤١ (بتصرف).

المطلب الخامس

إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالطعن في قِسْمَتِهِ وَأَمَانَتِهِ

النفاق هو داء الجماعات في السلم وفي الحرب، ففي الحرب يخذلون، ويبثون روح التردد، والتشكيك في الدعوة، والدعوة إلى الأثرة؛ والجهد إيثار، والدعوة إلى الحرص؛ والجهد فداء، والدعوة إلى متاع الدنيا، والجهد رهبانية إيجابية، يدفع إلى الحياة العاملة المكافحة، أما في السلم؛ فإنهم يشككون في تصرفات الأبرار المخلصين، ليوهموها الناس، أن كل الناس مثلهم، ليس فيهم أختيار منزهون، وأبرار متقون، وهكذا فالمنفاقون لهم ضروب كثيرة، ولهم وجوه متعددة، فلم يدعوا موضعاً لبث سمومهم، وحقدهم الدفين على الصادق الأمين ﷺ وأتباعه إلا واغتموه، فهم أمة واحدة، بكثرة ما يبدلوا من وجوه، وما يتخذوا من صور وأشكال، ولهذا نجد القرآن الكريم، يقلب هؤلاء المنافقين على وجوههم المختلفة، ويعرضهم في ألوانهم وأزيائهم المتعددة؛ فقد اتهموا النبي ﷺ بما هو منه بريء، وقد كانت الدنيا كلها لا تساوي عنده ﷺ شيئاً، ولكنه ديدنهم يلمزون كل عمل صالح، ويوهنونه، ويثيرون الريب حوله، فقد أثاروا القول حول الصدقات التي يوزعها النبي ﷺ (١) يقول سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨] ، فقله سبحانه هنا (ومنهم) إشارة إلى طائفة من طوائف المنافقين، فاضحاً لفعلة من فعلاتهم؛ فهم أبعاض من هذا الجسد المتضخم من الفساد والعفن، الذي يضمهم، ويشتمل عليهم، وما هذا الافتراء إلا بيان لضرب من نفاق المنافقين، وكشف لوجه من وجوههم المنكرة، وقوله (يلمرك في الصدقات) أي: يعيبك في أمرها وتفريقها، ويطنعُ عليك فيها، وقيل: اللَّمْرُ فِي الْوَجْهِ، وَالْهَمْزُ بِظَهْرِ الْعَيْبِ، يقال: همزتُ فلاناً ولمزته: إذا اغتبتته وعبته، يعنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يُعْطِي إِلَّا مَنْ أَحَبَّ فَيُؤْتِرُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَقَارِبِهِ وَأَهْلِ مَوَدَّتِهِ، وينسبونه إلى أنه لا يراعي العدل -حاشاه - (٢) ، فقد روي أَنَّ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: " بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا فِينَا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اعْدِلْ، فَقَالَ: (وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ) ، فَقَالَ

(١) انظر: خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم - أبو زهرة - ٣ / ١٠٥٥ .

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٤ / ٦١ زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٢ /

٢٦٩ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - الزحيلي - ١٠ / ٢٥٤ ، معترك الأقران في إعجاز

القرآن - جلال الدين السيوطي - ٣ / ٣٨٣ ، نزهة المجالس ومنتخب النفائس - عبد الرحمن الصفوري - ١ /

عُمُرُ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُ: (دَعَهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ ...) (١) ؛ وهل يتفق قول ذلك المنافق: (يا رسول الله) ، ثم قوله لرسول الله: اعدل؟ وهل يكون من رسول الله ﷺ غير العدل؟ ولكنه جهل الجاهلين، وضلال الضالين! وليس ذو الخويصرة وحده الذي كان على هذا الضلال الذي أنطقه بما نطق به، وإنما كان هناك غيره كثير من الذين يرون ما يرى، ولكنهم لم يظهروا ما بأنفسهم، وطووا صدورهم على ما فيها من زيغ وضلال.. (٢) ، ثم وصفهم الله تعالى العالم بالخفيات والأسرار بأن هؤلاء المنافقين وسخطهم لم يكن نابعاً من قصد صحيح، ولا رأي رجيح، وإنما حماسة لمنفعتهم، وأنانيتهم، وأن يعطوا منها، لا للدين والحق والعدل وصلاح أهله لأن رسول الله ﷺ تألف واستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم، فضجر المنافقون منه (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) أي إن أعطوا من الزكاة، أو من الغنائم، ولو بغير حق رضوا، ولم يبألوا الحق والعدل والدين! وإن لم يعطوا منها أعلنوا التبرم والسخط، وأطلقوا لألسنتهم العنان في أن ينتقصوك؛ لأنهم لا يريدون ميزان الحق، وإنما يريدون ما يوافق أهواءهم، وهذه إحدى خصال النفاق حتى وإن لم يستحقوا العطاء، فهم إنما يغضبون لأنفسهم ومنافعهم، لا للمصلحة العامة، وهذا شأن المنافقين في كل زمان، يرضون على الشخص إذا أعطاهم ما يأملون، ويسخطون عليه إذا لم يعطهم ما يأملون، وهم في رضاهم وسخطهم ينظرون إلى أنفسهم ولا ينظرون إلى الحق والعدل، وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه تابعاً لهوى نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، كما كشفت الآية أن المنافقين لا هم لهم إلا حطام الدنيا (٣) ، وقد تمثل حال هؤلاء المنافقين هذا بقول النبي ﷺ فيهم بأنهم عباد درهم، فقال: (تَعَسَّ عَبْدُ الدِّيْنَارِ، وَالدَّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، وَالْحَمِيصَةِ، إِنَّ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ) (٤) فقد دعا الرسول ﷺ في هذا الحديث على من جعل الدنيا قصده وهمه

(١) صحيح البخاري - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ - بَابُ عِلْمَاتِ النَّبِيِّ فِي الْإِسْلَامِ - ٢٠٠ / ٤ - رقم ٣٦١٠ .

(٢) التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٨٠٣ / ٥ .

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي - ص ٣٤٠ ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة من علماء الأزهر - ص ٢٦٩ ، التفسير الوسيط - الزحيلي - ١ / ٨٧٥ ، زهرة التفاسير - أبو زهرة - ٦ / ٣٣٤٠ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي - ٣ / ٨٥ ، في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣ / ١٦٦٧ ، العذب النмир من مجالس الشنقيطي في التفسير - الشنقيطي - ٥ / ٥٨٣ ، أصول الدعوة - عبد الكريم زيدان - ص ٤٠٢ .

(٤) صحيح البخاري - كِتَابُ الرَّقَاقِ - بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ - ٩٢ / ٨ - رقم ٦٤٣٥ .

بالتعاسة والانتكاسة، وإصابته بالعجز عن انتقاش الشوك من جسده، ولا بد أن يجد أثر هذه الدعوات كل من اتصف بهذه الصفة الذميمة من هؤلاء المنافقين؛ فيقع فيما يضره في دنياه وآخرته^(١).

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُنَبِّهًا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ لَهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] أي لو أنهم رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء، وقسم لهم من قسم فنَعُوا بذلك^(٢) قال ابن كثير: "تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَدَبًا عَظِيمًا، وَسِرًّا شَرِيفًا، حَيْثُ جَعَلَ الرَّضَا بِمَا آتَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالتَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ} وَكَذَلِكَ الرَّغْبَةُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فِي التَّوْفِيقِ لِطَاعَةِ الرَّسُولِ وَامْتِنَالِ أَمْرِهِ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ، وَتَصَدِيقِ أَخْبَارِهِ، وَالِافْتِقَاءِ بِآثَارِهِ" ^(٣) فقولته تعالى: (حَسْبُنَا اللَّهُ) فيه من معاني التفويض، والتوكل على الله ﷻ، ورجاء ما عنده ما لا يدركه إلا القلوب المؤمنة المتبنلة الضارعة له سبحانه وتعالى وحده - وأنى للمنافقين ذلك - ^(٤)، وذكر صاحب الظلال معلقًا على تفسير الآية: فهذا هو أدب النفس وأدب اللسان، وأدب الإيمان: الرضا بقسمة الله ورسوله، رضا التسليم والافتناع، لا رضا القهر والغلب، والافتقار بالله ﷻ، والله كاف عبده، والرجاء في فضل الله ﷻ ورسوله ﷺ، والرغبة في الله خالصة من كل كسب مادي، ومن كل طمع دنيوي، ذلك أدب الإيمان الصحيح الذي ينضح به قلب المؤمن، وإن كانت لا تعرفه قلوب المنافقين، الذين لم تخالط بشاشة الإيمان أرواحهم، ولم يشرق في قلوبهم نور اليقين ^(٥)، فلو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله أي كفانا فضله، وسلموا وصبروا وانتظروا ما يأتي به المستقبل، لأن فضله لا ينقطع، ورسوله لا يبخل أحدًا منا شيئاً يستحقه في شرع الله ﷻ، وقالوا سيؤتينا الله من فضله ورسوله أي بعد هذا، حسبما نرجو ونؤمل إنا إلى الله راغبون، أي في أن يغنمنا ويحولنا، لتتحقق

(١) انظر: الزهد والورع والعبادة - ابن تيمية - ص ٣٨، تسهيل العقيدة الإسلامية - عبد الله الجبرين - ص ٢٥٦

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٤ / ٦١، زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٢ /

٢٦٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ٤ / ١٦٤ .

(٤) انظر: زهرة التفاسير - أبو زهرة - ٦ / ٣٣٤٢ .

(٥) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٣ / ١٦٦٨ (بتصرف يسير) .

لهم ما يريدون، وكان خيراً لهم مما طمعوا في هذه الصدقات، وطعنوا رسول الله في ذلك، ولكن هكذا كانوا هم في كل زمان ومكان، والله في خلقه شئون. (١)

وفي الآية بيان لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون جميعاً، إزاء كل ما يقول الرسول ﷺ ، أو يعمل.. وهو الرضا المطلق، والتسليم المطلق، بكل ما يقضى به، فهو - صلوات الله وسلامه عليه - الأمين الذي ائتمنه الله ﷻ على دينه ، والقيّم الذي أقامه الله ﷻ على عبادته ، وأنه ﷻ لا ينطق عن الهوى، ولا يحكم إلا بما أراه الله ﷻ ؛ فمن آمن بالله، فلن يكون مؤمناً حتى يؤمن مما يقضى به رسول الله ﷺ ! كما أن ذكر النبي ﷺ مرتين في هذا الموضع، مع ذكر الله سبحانه وتعالى (ما آتاهم الله ورسوله) وقوله سبحانه: (سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ) يكشف عن مقامه عند ربه ﷻ ، ويؤكد منزلته الرفيعة عنده..؛ فما أعظم هذا الفضل العظيم، وما أسمى هذا المقام الكريم؛ لهذا النبي الذي يحفه ربه بهذا الفضل، ويرفعه إلى هذا المقام، الذي يشرف منه مع ربه على الناس، ويعطيهم من فضل الله ما يرضيهم ويغنيهم؛ وما أشقى أولئك الذين يحادّون هذا الرسول، أو يخالفون عن أمره، أو يقع في نفوسهم ريب من قول يقوله أو فعل يفعله.. (٢)

(١) انظر: محاسن التأويل - القاسمي - ٤٣٥ / ٥ ، نظرات في كتاب الله - حسن الساعاتي - ص ٣١٧ ، تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ٣٩٢ / ٥ .

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٨٠٦ / ٥ .

المبحث الثالث

خدلان المنافقين للنبي ﷺ (في أحوج الأوقات)

وعناية الله ﷻ به

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : موقف المنافقين في غزوة أحد في ضوء (سورة آل عمران)

المطلب الثاني: موقف المنافقين في غزوة بني النضير في ضوء (سورة الحشر)

المطلب الثالث : موقف المنافقين في غزوة الخندق في ضوء (سورة الأحزاب)

المطلب الرابع: موقف المنافقين في غزوة بني المصطلق في ضوء (سورة

المنافقون)

المطلب الأول

موقف المنافقين في غزوة أُحُد في ضوء (سورة آل عمران)

تتبين مواقف الرجال، وتتجلى خصالهم العالية في أحوال تحتاج لقدرة كبير من التضحية بالنفس والمال، لذا كان الجهاد محكَّ اختبار الصادقين من الكاذبين، وبه انكشف حال الجماعة المنافقين، وتميّز شأن المؤمنين المخلصين المشاركين في الجهاد، ولقد كانت غزوة أُحُد في العام الثالث من الهجرة من المواقف التي امتحن المسلمون فيها بعد الانتصار الذي حققه المسلمون في غزوة بدر، ليميز الله ﷻ الصادقين من المنافقين، وأنزل الله على إثرها آيات تتلى إلى يوم الدين، فنزلت ثمان وخمسون آية من سورة آل عمران، تتحدث عن هذه الغزوة، وبدأت آيات القرآن الكريم بعرضها عن غزوة أُحُد بتحذير المسلمين من اتخاذ مَنْ يرونهم من أعدائهم من المنافقين بطانة لهم، ومستشارين، يطلعون على سرائرهم، فيتضررون منهم^(١) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عْتَبْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨] فهؤلاء لا يفكرون عن إفساد حالكم، وهم يفرحون بما يصيبكم من ضرر ومكروه، وقد ظهرت شدة البغض في كلامهم، وما تخفي صدورهم من العداوة لكم أكبر وأعظم، قد بيّنّا لكم البراهين والحجج، لتتعظوا وتحذروا، إن كنتم تعقلون عن الله ﷻ مواعظه وأمره ونهيه^(٢)، وقد عرض القرآن الكريم أحوال المنافقين لكشفهم، وفضح أمرهم، وأبان عوارهم، وذلك في ثنايا عرضه لأحوال المسلمين في هذه الغزوة، كما حذر الله ﷻ منهم، فهم يحطمون العزائم، ويزرعون الوهن والضعف في نفوس المؤمنين خاصة في أوقات الهزائم والنكبات؛ لأنهم يكيّدون للدعوة، ومثال ذلك ما حدث في هذه الغزوة إذ كان المنافقون يبهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله، والضرب في الأرض طاعة لله ﷻ وطاعة لرسوله ﷺ، فحذر الله تعالى منهم، فقال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦] ، وبالفعل فقد انجلت حقيقتهم في هذه الغزوة، وذلك بخذلانهم للنبي ﷺ في هذه الغزوة، وبانت حقيقتهم، حيث قال سبحانه وتعالى:

(١) انظر: التفسير الوسيط - الزحيلي - ١ / ٩٠٠ ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٢ / ١٠٦ .

(٢) التفسير الميسر - نخبة من أساتذة التفسير - ١ / ٦٥ .

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ * الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران ١٦٦-١٦٨] فقد قام رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول بشطر الجيش، وسحب أنصاره منه وهم زهاء الثلاثمائة، ولم يكن سبب هذا الانعزال هو ما أبداه هذا المنافق، وتعلل به من رفض رسول الله ﷺ لرأيه؛ وإلا لم يكن سار مع الجيش من البداية؛ بل كان هدفه أن يحدث البلبلة والاضطراب في جيش المسلمين على مرأى ومسمع من عدوهم حتى ينحاز عامة الجيش عن النبي ﷺ، وتتهار معنويات من بقي معه، بينما يتشجع العدو، وتعلو همته لرؤية هذا المنظر؛ فيكون ذلك أسرع إلى القضاء على النبي ﷺ وأصحابه ويرجع ابن أبي لرياسته، وقد تبعهم عبد الله بن عمرو - والد جابر بن عبد الله - ينصحهم بالثبات، ويؤنبهم على العودة، ويذكرهم بواجب الدفاع عن المدينة ضد المغيرين إذا لم يكن لهم إيمان بالله واليوم الآخر في هذا الظرف الدقيق، فتبعهم وهو يويخهم، ويحضهم على الرجوع، ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله رجاء ثواب الآخرة، وإن لم تريدوا ثواب الآخرة فادفعوا عن أنفسكم وأهلكم معرة جيش غاز، يريد قتلهم، إذ وقوفكم معنا يكثر سوادنا، ويدفع عنا خطر العدو الدايم، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع؛ - وهذا تناقض مع القول الأول، وإرجاف ليس له معنى - وهذا يدل على تأصل النفاق في قلوبهم، وأن غايتهم التلبيس، والتدليس، والاستهزاء، وتعمية الحقائق، مع أن جمع المشركين في أحد وخروج المسلمين لمقابلتهم قرينة قاطعة على إرادة القتال؛ فرجع عنهم عبد الله بن حرام قائلاً: أبعدكم الله، أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيه^(١)، وفيمن انسحب معه نزلت الآية: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧] قال ابن كثير: "يعني: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ الْقَوْلَ وَلَا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ"^(٢)، فأخبر تعالى عنهم بأنهم في هذه الحال: {هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ} فهذه إدانة لهم، وحكم عليهم، بهذه الكلمة المنافقة، التي باعدت بينهم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم - ٢ / ١٦٠، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - الزحيلي - ٤ / ١٥٥،

سيرة ابن اسحاق - ص ٣٢٥، الرحيق المختوم - المباركفوري - ص ٢٢٩، فقه السيرة - الغزالي - ص

٢٥٧، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني - أحمد غلوش - ص ٣٣٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٢ / ١٦٠ .

وبين الإيمان الذي ينسبون أنفسهم إليه، والتي خَطَّتْ بهم خطوات سريعة إلى الكفر (١) فقد ظهرت حقيقتهم، فبعد أن كانوا مستورين يطلق عليهم لفظ الإيمان، أصبحوا لا ينطبق عليهم الوصف، وصاروا أقرب إلى الكفر، فإن من يقعد عن الجهاد في سبيل الله والدفاع عن الأوطان لا يصح أن ينطبق عليه وصف المؤمنين (٢)

ومن أقوالهم أيضاً بعد القتال في معركة أحد أنهم قالوا مقالة أشد خطراً وضرراً في حق إخوانهم الذين قُتِلُوا في موقعة أحد، قالوا في شأنهم بما أخبر الله ﷻ عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] أي لو أطاعونا ولم يسيروا مع المسلمين ما قتلوا، كأنهم حصروا أسباب الموت والهلاك في ذهابهم إلى ساحة القتال! تَبَّ لهؤلاء الجبناء الرعايد!! ألم يعلموا أن كثيراً ممن يذهب إلى القتال ينجو، ومن يتخلف يموت، وهل سبب الموت إلا انتهاء الأجل؟! (٣) قال السعدي في وصفهم: " جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله وقدره " (٤) ، فقال الله ﷻ ردّاً عليهم: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا﴾ أي: فادفعوا عن أنفسكم الموت، (إن كنتم صادقين) في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلاً، وهو القعود عن القتال، وأن الحذر كان يمنعكم من القدر، فخذوا إلى دفع الموت طريقاً ومتى تقدرون على ذلك؟! هيهات هيهات، قيل إنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً من غير قتال، ومن غير خروج، لإظهار كذبهم (٥) .

وقد بسط ابن القيم الكلام على الحِكم والغايات المحمودة في هذه الغزوة ومن أهمها: أنها ميَّزَتِ الْمُؤْمِنِ الصَّادِقِ مِنَ الْمُنَافِقِ الْكَاذِبِ، فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا أَظْهَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَطَارَ لَهُمُ الصَّيْتُ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ ظَاهِرًا مَنْ لَيْسَ مَعَهُمْ فِيهِ بَاطِنًا، فَاقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ ﷻ أَنْ سَبَبَ لِعِبَادِهِ مِحْنَةً مَيَّزَتْ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ، فَأَطْلَعَ الْمُنَافِقُونَ رُءُوسَهُمْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، وَتَكَلَّمُوا بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ، وَظَهَرَتْ مَخْبَأَتُهُمْ، وَعَادَ تَلْوِيحُهُمْ تَصْرِيحًا، وَانْقَسَمَ النَّاسُ إِلَى كَافِرٍ وَمُؤْمِنٍ

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم يونس الخطيب - ٢ / ٦٣٨ .

(٢) انظر: التفسير الواضح - الحجازي - ١ / ٣٠٦ .

(٣) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - الزحيلي - ٤ / ١٥٦، التفسير الواضح - الحجازي - ١ /

٣٠٦ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - ص ١٥٦ .

(٥) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن - محمد القنوجي - ٢ / ٣٧٤ ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة

من علماء الأزهر - ص ٩٨ .

وَمُنَافِقٍ انْقِسَامًا ظَاهِرًا، وَعَرَفَ الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ لَهُمْ عَدُوًّا فِي نَفْسِ دُورِهِمْ، وَهُمْ مَعَهُمْ لَا يُفَارِقُونَهُمْ، فَاسْتَعَدُّوا لَهُمْ، وَتَحَرَّزُوا مِنْهُمْ، فَقَدْ تَكَلَّمَ الْمُنَافِقِينَ بِمَا فِي نَفْسِهِمْ فَسَمِعَهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَسَمِعُوا رَدَّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَجَوَابَهُ لَهُمْ، وَعَرَفُوا عَاقِبَةَ النِّفَاقِ، وَمَا يَبْتُلُ إِلَيْهِ، وَكَيْفَ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَيَعُودُ عَلَيْهِ بِفَسَادِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلِلَّهِ كَمٌّ مِنْ حِكْمَةٍ فِي ضَمَنِ هَذِهِ الْقِصَّةِ بِالْعَةِ وَنِعْمَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَابِغَةً، وَكَمْ فِيهَا مِنْ تَحْذِيرٍ وَتَخْوِيفٍ وَإِشْرَاحٍ وَتَنْبِيهِ وَتَعْرِيفٍ بِأَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَمَا لَهَا وَعَاقِبَتُهُمَا (١) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَيِّرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩] .

ومن فوائد غزوة أُحُدٍ تمحيص المؤمنين وتمييزهم عن المنافقين، وأنها ميزت بين المؤمن والمنافق حيث أطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة، وتكلموا بما كانوا يكتُمونه، هكذا كان واقع المنافقين في المحن والشدائد، خوف وهلع وتمن وترج وتسويق، وفرار من الواقع، وظن بعدم معرفة غيرهم لهم والأمر خلاف ذلك، فهذه الغزوة العظيمة تعد نموذجاً حياً لما يمر به المسلمون اليوم من محن وشدائد، فما أحرانا أن نقف عندها، ونستفيد من دروسها وعبرها، وما أحوج الأمة وهي تمر بهذه المرحلة الحرجة في تاريخها، أن تراجع نفسها، وتستعيد ذاكرتها، وتعي سيرة نبيها ﷺ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد - ٣ / ١٩٧ (بتصرف يسير) .

المطلب الثاني

موقف المنافقين في غزوة بني النضير في ضوء (سورة الحشر)

لقد أظهرت سورة الحشر المنافقين كعادتهم أيام المحن والشدائد، فهذه المواقف هي التي تكشف أمرهم، وتفضح عملهم، وقد تناولت سورة الحشر موقفهم وتحالفهم مع إخوانهم من اليهود، وكشفت أيضاً موقفهم من المسلمين، وما كان منهم من تأمر وتحريض لبني النضير ضد النبي ﷺ قال تعالى ﴿ أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر ١١-١٤] لقد بدأت الآيات في الحديث عن المنافقين في هذا الموقف بزجرهم بطريقة غير مباشرة، وفضح لعهدهم الكاذب الذي قطعوه مع اليهود، ولتعلم الناس جميعاً بأن المنافقين واليهود على درجة واحدة في البعد عن الله ﷻ فهم إخوان لليهود كما قال تعالى: (يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ) وصفهم الله ﷻ بأنهم إخوة في الكفر، وكفى بهذا الوصف زجراً لهم، وتوبيخاً على سلوكهم بأن جعلهم والكفار على مستوى واحد، وقد عبر بالمضارع عن أمر مضي، استحضاراً للصورة كأنك تشاهدها، فهم يتآخون لأنهم مشتركون في الكفر بالله ﷻ، ومعاداة أهل الإيمان، فإذا كان العدو هم أهل الإيمان، فهؤلاء إخوة يتفقون، ويتواطئون، ويتآمرون، فهم بهذه المثابة، وهذا أمر يثير العجب، وموضع للدهشة والحيرة^(١)، ثم عرَضَ للملأ جميعاً ما أقدم عليه المنافقون من عمل يوحي بانعدام ولائهم، وذلك بدعوتهم يهود بني النضير بعدم الاستجابة لأمر النبي ﷺ حين أمرهم ﷺ بالخروج من المدينة بعد تمردهم، ونقضهم للعهد الذي كان معهم، وذلك بقولهم لليهود: (لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ) ذلك بأن قال المنافقون لليهود: لئن أخرجتم من المدينة لنخرجن معكم، ولا نطيع في خذلانكم أحداً أبداً، ووعدوهم النصر أيضاً، ذكر ابن هشام قول ابن اسحاق: وَكَانَ رَهْطٌ مِنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَرْجِ قَدْ بَعَثُوا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ: أَنْ أُتْبِتُوا وَتَمَنَعُوا، فَإِنَّا لَنْ نُسَلِّمَكُمْ، إِنْ قُوتِلْتُمْ

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١٤ / ٨٦٦، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام

المنان - السعدي - ص ٨٥٢، التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٢٨ / ٩٩، التفسير الوسيط للقرآن الكريم

- طنطاوي - ١٤ / ٣٠٢، تفسير المراغي - ٢٨ / ٤٨ .

قَاتَلْنَا مَعَكُمْ، وَإِنْ أُخْرِجْتُمْ خَرَجْنَا مَعَكُمْ، فَتَرَبَّصُوا ذَلِكَ مِنْ نَصْرِهِمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجْلِيَهُمْ وَيَكْفَ عَنْ دِمَائِهِمْ^(١)، قال الزرقاني: بل ويزيد أمر المنافقين سوءاً ما قاله رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول في رواية أخرى: لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي من العرب، يدخلون معكم حصونكم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان^(٢)؛ وهكذا بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَهْلَ النَّفَاقِ يُبَيِّنُونَ لَهُمْ وَيَحْرَضُونَهُمْ عَلَى الْمَقَامِ وَيَعِدُونَهُمُ النَّصْرَ، فَفَوَيْتَ عِنْدَ ذَلِكَ نُفُوسَ الْيَهُودِ، وَحَمِيَ حَيْيُ بْنُ أَخْطَبَ، وَبَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ، وَتَابَدُوهُ بِنَفْضِ الْعَهْدِ؛ فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَقَالُوا: حَارِبَتْ يَهُودٌ فَتَحَرَّكَتْ جِيُوشُ الْمُسْلِمِينَ صَوْبَهُمْ، وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْحِصَارَ لِمُدَّةِ خَمْسِ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِحَرْقِ نَخِيلِهِمْ، وَقَضَى ﷺ بِذَلِكَ عَلَى أَسْبَابِ تَعَلُّقِهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ، وَضَعُفَتْ حِمَاةُهُمْ لِلْقِتَالِ، وَجَزَعُوا وَتَصَايَحُوا، وَأَلْقَى اللَّهُ ﷻ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَأَدْرَكَ بَنُو النَّضِيرِ أَنْ لَا مَفْرَاجَ لِهِمْ، وَدَبَّ الْيَأْسُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَخْلَفَ ابْنُ أَبِي وَعْدَهُ بِنَصْرِهِمْ، وَعَجَزَ الْمُنَافِقُونَ عَنِ تَقْدِيمِ أَيِّ شَيْءٍ لَهُمْ، وَلَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ وَجَدَّ الْجَدَّ اسْتَجَابَ الْيَهُودُ بِمَا طَلَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَلْتَمِسُونَ مِنْهُ أَنْ يُؤْمِنَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ؛ فَوَافَقَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ^(٣) يَقُولُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ بَعْدَ ذَلِكَ: " وَحَزَنَ الْمُنَافِقُونَ عَلَيْهِمْ حُزْنًا شَدِيدًا"^(٤)

ثم كَذَّبَ اللهُ تَعَالَى الْمُنَافِقِينَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فَذَكَرَ اللهُ ﷻ أَنَّهُمْ يُخْلَفُونَهُمْ مَا وَعَدُوهُمْ مِنَ الْخُرُوجِ وَالنَّصْرِ فَلَمَّا شَهِدَ اللهُ ﷻ عَلَى كَذِبِهِمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ كَذَّبَهُمْ تَفْصِيلاً؛ لِيَزِيدَ تَعْجِيبَ الْمَخَاطَبِ مِنْ حَالِهِمْ، وَلِيُبَيِّنَ لَهُ مَبْلَغَ خُبْتِ طَوَيْتِهِمْ، وَشِدَّةَ جُبْنِهِمْ، وَفَزَعَهُمْ

(١) انظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - الرازي - ٢٩ / ٥٠٩ ، السيرة النبوية - ابن هشام - ٢ / ١٩١ .

(٢) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - ٢ / ٥١٦ (بتصرف يسير) ، وانظر: إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع - المقريزي - ١ / ١٨٩ ، جوامع السيرة النبوية - علي القرطبي - ص ١٤٤ ، فقه السيرة - الغزالي - ص ٢٨٤ .

(٣) انظر: السيرة النبوية - ابن هشام - ٢ / ١٩١ ، المقتفى من سيرة المصطفى - بدر الدين الحلبي - ص ١٥٢ ، مستعذب الأخبار بأطيب الأخبار - أبو مدين الفاسي - ص ٢٦٠ ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - علي الصلابي - ص ٥٥١ ، حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار - محمد الحضرمي - ص ٢٩١ ، نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز - رفاة الطهطاوي - ١ / ٢٦٦ .

(٤) الطبقات الكبرى - ٢ / ٥٨ ، وانظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة - أبو شُهبة - ٢ / ٤٠٠ .

من القتال، وأن هذه الوعود أقوال كاذبة لاكتها أسنتهم؛ وقلوبهم منها براء (١) فقال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ﴾ [الحشر: ١٢] إن موقف المنافقين يصب في موقع الخيانة العظمى، فقد سَعَوْا وَاللَّبَا عدو المسلمين عليهم، وواعدوه بالمناصرة، والمؤازرة في حرب المسلمين، وأكَّدُوا لإخوانهم يهود بني النضير التزامهم بكل ما يترتب على عدم خروجهم، وأنهم ربطوا مستقبلهم معهم فإن خرج اليهود سيخرجون معهم، وإن دعا الأمر إلى قتال سيفاتلون معهم، إنها الموالاة للعدو والمعاداة للمسلمين - هكذا وعدوهم - ، ولكن الله ﷻ فَصَحَّ حَقِيقَتَهُمْ، فلو أُخْرِجَ حلفاؤهم ما خَرَجُوا معهم، ولو قُوتِلُوا ما قاتلوا إلى جانبهم، ولو قاتلوا إلى جانبهم لَمَّا صبروا على القتال، وَلَمَّا ثَبَتُوا في ميدان المعركة، لأنهم إنما يقاتلون بأجسامهم، لا بقلوبهم، فإذا اشتدَّ البأس، وكانت الدائرة عليهم وعلى حلفائهم؛ ولَوَا الْأَدْبَارَ؛ فكان الأمر على ما ذكر الله تعالى، لأنهم أخرجوا فلم يخرج معهم المنافقون، وقُوتِلُوا فلم ينصروهم (٢)

ثم بيّن الله ﷻ مدى خوفهم، ورهبتهم من المؤمنين فقال سبحانه : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣] أي إنكم أيها المؤمنون أشدُّ رهبة وخشية في صدور هؤلاء المنافقين، وإخوانهم اليهود من الله ﷻ، فقد كان المنافقون يُضْمِرُونَ مخافتهم من المؤمنين، وذلك لأنهم قوم لا يفقهون، فهم لا يؤمنون بالله، ولا يعلمون ماله سبحانه من علم وقدره، ولهذا الجهل وعدم الشعور بحقيقة الإيمان؛ لا يستحضرون عظمة الله، ولا يشهدون وجوده، وإنما الذي يشهدونه هو الذي يرونه رأى العين، والذي تتمثل لهم شخصه، ولو فقهوا لعلموا أن الله سبحانه هو أولى بأن يُخَافَ منه، ويُخشى من الاعتداء على حرمانه (٣) .

(١) انظر: تفسير المراغي - ٤٨ / ٢٨ .

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٤ / ٢٦٠ ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - الرازي - ٢٩ / ٥٠٩ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١٤ / ٨٦٨ ، بحر العلوم - السمرقندي - ٣ / ٤٣٠ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري - ٤ / ٥٠٦ ، الباب في علوم الكتاب - سراج الدين الدمشقي - ١٨ / ٦٠٠ ، التفسير الحديث - محمد عزت دروزة - ٧ / ٣٢١ .

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي - ٥ / ٢٠١ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١٤ / ٨٧٠ ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة من علماء الأزهر - ص ٨١٧ ، الموسوعة القرآنية - إبراهيم الأبياري - ١١ / ٣١٠ .

ثم تتواصل الآيات فنُشِبَةُ العلاقة القائمة بين اليهود والمنافقين تشبيهاً بليغاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] ذكر القرطبي أن ابن عباسٍ رضي الله عنه قَالَ: فَضَرَبَ اللَّهُ هَذَا مَثَلًا لِلْمُنَافِقِينَ مَعَ الْيَهُودِ (١) ، فَمَثَلُ الْمُنَافِقِينَ مَعَ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ يَغْوِي الْإِنْسَانَ وَيُؤْذِيهِ، فَانْتَهَوْا بِهِمْ إِلَى تِلْكَ النَّهْيَةِ الْبَائِسَةِ؛ وَهَذَا مَثَلٌ فِي غَايَةِ السُّوءِ وَشِدَّةِ الْوَقْعِ عَلَى الْنَفُوسِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "مَثَلُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ فِي اغْتِرَارِهِمْ بِالَّذِينَ وَعَدُوهُمْ النَّصْرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَقَوْلِ الْمُنَافِقِينَ لَهُمْ: (وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ)، ثُمَّ لَمَّا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ وَجَدَّ بِهِمُ الْحِصَارُ وَالْقِتَالُ، تَخَلَّوْا عَنْهُمْ، وَأَسْلَمُوهُمْ لِلْهَلَكَةِ، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا سَوْلُهُ لَهُ تَبَرُّاً مِنْهُ وَتَنَصَّلَ، وَقَالَ: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} " (٢) ، ثُمَّ أَبَانَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَهُ مَا يُوْجِبُهُ مِنَ الْعِقَابِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧] أَي فَكَانَ عَاقِبَةُ الشَّيْطَانِ الْأَمْرَ بِالْكَفْرِ، وَالْإِنْسَانِ الَّذِي كَفَرَ وَاسْتَجَابَ أَنَّهُمَا صَائِرَانِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ، خَالِدِينَ فِيهَا عَلَى الدَّوَامِ، وَذَلِكَ الْجَزَاءُ، وَهُوَ الْخُلُودُ فِي النَّارِ، هُوَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ جَمِيعًا، وَمِنْهُمْ الْيَهُودُ وَالْمُنَافِقُونَ (٣) .

(١) الجامع لأحكام القرآن - ١٨ / ٤٢ (بتصرف يسير) .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ٨ / ٧٥

(٣) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ٩ / ٢٨٤ ، التفسير المنير - الزحيلي - ٢٨ / ٩٩ .

المطلب الثالث

موقف المنافقين في غزوة الخندق في ضوء (سورة الأحزاب)

لقد تحدثت سورة الأحزاب بالتفصيل عن كثير من صفات المنافقين، ومواقفهم المتكررة في أيام الشدائد والمحن كما في غزوة الأحزاب، حين زادت جيوش الأحزاب في تشديد الحصار على المسلمين بعد انضمام بني قريظة إليها، واشتد الكرب على المسلمين، وتأزم الموقف، وقد تحدث القرآن الكريم، ووصف ما وصل إليه المسلمون من جزع وخوف، في تلك المحنة الرهيبة أصدق وصف، وصورها تصويراً دقيقاً من تألب لقوى البغي والشر على المؤمنين، حيث قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠] فقله سبحانه: (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) تمثيل لشدة اضطراب القلوب من الفزع والهلع حتى كأنها لا اضطرابها تتجاوز مكانها، وترتفع طالبة الخروج من الصدور؛ فإذا بلغت الحناجر لم تستطع تجاوزها من الضيق؛ وهذا كناية أخرى عن هذا الكرب^(١)، قَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ: (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ): ظُنُونٌ مُخْتَلَفَةٌ، فَقَدْ ظَنَّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَصْحَابَهُ يُسْتَأْصَلُونَ، وَأَيُّنَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقٌّ، وَأَنَّهُ سَيُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وهكذا كان ظن المسلمين بالله ﷻ قويا^(٢)، وقد سجله القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] وكان النبي ﷺ في هذا الوقت العصيب يبشر الصحابة بأمر عظيم، ويرفع من عزائمهم؛ تأكيداً على أن المستقبل للإسلام مهما حلت بهم من ظروف؛ ويصور حال المسلمين ما رواه المقرئ في إمتاع الأسماع قال: " ثم وافى المشركون سحرًا، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه، فقاتلوا يومهم إلى هوي من الليل: وما يقدر رسول الله ﷺ، ولا أحد من المسلمين أن يزولوا من موضعهم " (٣) وفي خضم ذلك يبرز المنافقون كعادتهم؛ ففي ظل هذه المرحلة الحرجة التي تحتاج من الجميع التعاون، وتوظيف الجهود والطاقات لإنجاز مشروع الخندق بالسرعة الممكنة التي تترك مخطط العدو، ويفاجأ فيما يراه من تلك التحصينات فتؤثر في عزمته؛ إلا أن

(١) انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٢٨٠ / ٢١ .

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم - ٣١١٩ / ٩ ، تفسير القرآن - العز بن عبد السلام - ٥٦٣ / ٢ ، النكت والعيون

- الماوردي - ٣٨٠ / ٤ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري - ٥٢٧ / ٣ .

(٣) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع - ٢٣٧ / ١ .

صورة المنافقين كانت في أقبح مظاهرها، فقد تأخروا عن المجيء للعمل مع المسلمين في الخندق، ومن جاء منهم كان أداءه في مستوى ضعيف، وزاد على ذلك أنهم لا يطيلون الإقامة في هذا العمل، بل مع ضعفهم يتكفون الأعداء التي تجعله ﷺ يأذن لهم بالعودة، بل بعضهم لا يحتاج إلى هذا الإذن، فيتسلل بعيداً عن أعين الناس إلى مسكنه داخل المدينة^(١).

وهكذا كشفت سورة الأحزاب عن خفايا المنافقين وطبائعهم، فحذرت من طرقتهم في الكيد، والتخديّل، والتثبيط، وأطالت الحديث عنهم في بدء السورة وفي ختمها، حتى لم تُبق لهم سترًا، ولم تُخف لهم مكرًا، فهم حينما رأوا جموع الكافرين؛ تزعزعت قلوبهم، وانخلعت صدورهم لرؤية الجموع، والعدد والعُدّة، ولم يتوقف أثرهم على المسلمين على ما سبق من تخاذلهم أثناء حفر الخندق، وقد تجاوز ذلك إلى أن عمّدوا إلى تثبيط همّ المسلمين، وتشكيكهم في موعود الله لهم على لسان رسوله ﷺ أثناء حفر الخندق، حينما بَشَّرَ النبي ﷺ المسلمين بفتح بلاد الروم والفرس والشام واليمن^(٢)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] "أي: باطلاً استدرجنا به إلى الانسلاخ عمّا كنا عليه من دين آبائنا، وإلى الثبات على ما صرنا إليه بعد ذلك الانسلاخ بما وَعَدَنَا به من ظهور هذا الدّين على الدين كله، والتمكين في البلاد" ^(٣) قاصدين بذلك الاستهزاء بما بَشَّرَ به النبي ﷺ من خزائن كسرى وقيصر قائلين: إنّ محمداً يَعِدنا أن نفتح مدائن كسرى وقيصر، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله! هذا والله الغرور^(٤) قال الإمام الشافعي رحمه الله: "غزا رسول الله ﷺ فغزا معه بعض من يُعرَفُ نفاقه، فانخزل يوم أحد عنه بثلاثمائة، ثم شهدوا معه يوم الخندق، فتكلموا بما حكى الله ﷻ من قولهم: (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)" ^(٥) ، ثم طلبوا الإذن لهم بالرجوع إلى بيوتهم بحجّة أنها عورة، ولأنها - حسب زعمهم - مكشوفة للعدو، ولا تجد من يحميها منهم؛ وما هو إلا تتصل من الجهاد، وهرب منه^(٦)

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٢٠ / ٢٢١ ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٦ /

٣٨٨ ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - علي الصلابي - ص ٦٠٠ .

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق - ٣ / ٣٤ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ٨ / ١٩ ، غرائب التفسير

وعجائب التأويل - تاج القراء - ٢ / ٩١١ .

(٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير - شمس الدين الخطيب - ٣ / ٢٢٩

(٤) انظر: البحر المحيط في التفسير - أبو حيان - ٨ / ٤٦٠ .

(٥) تفسير الإمام الشافعي - ٣ / ١١٨٨ .

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان - ٣ / ٤٧٨ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٣ / ٦١٦ .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣] فقد كان موقفهم ينسب بالجبن والإرجاف وتخذيل المؤمنين، وهكذا، فكل الآيات السابقة أشارت إلى النفاق، وما تولد عنه من القلق في النفوس، والجبن في القلوب، وانعدام الثقة بالله عند تعاضم الخطوب^(١)

ثم انتقلت السورة لإدانة ممارسات المنافقين، يقول تعالى عنهم: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بِيَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٤] الآية تتحدث عن صورة التناقض الذي يعيشه المنافقون في شخصيتهم؛ وهو تلازم لا ينفك عنهم، فيدعون الحماية لأنفسهم ولأهلهم، ويدعون المرابطة مع العدو، ولكنهم في حقيقة الأمر لو دخل عليهم العدو من سائر جوانبها، وأخذ في النهب والسلب، ثم سُئِلُوا الْفِتْنَةَ أي الرجعة إلى الكفر لفعلوها، وما توقفوا بإعطائها إلا ريثما يكون السؤال والجواب؛ فهم لا يحافظون على الإيمان، ولا يستمسكون به، مع أدنى خوف وفرح؛ فعقيدتهم واهنة لا تثبت، وجبُّهُم غامر لا يملكون معه مقاومة؛ هكذا يكشفهم القرآن، ويقف نفوسهم عارية من كل ستار، وهذا منتهى الذم لهم..^(٢)

وتستمر سورة الأحزاب في تقرير المنافقين، وكشف أمرهم، وبيان زيغهم حيث قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الأحزاب: ١٥] أي ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ قد أعلنوا التزامهم مع الله ﷻ بالثبات أمام العدو، وعدم التولي عنه، إذ إن التولي من كبائر الذنوب التي لا يليق بالمؤمنين مقارفتها، أمّا في وقت معاهدتهم ففيه أقوال منها: ما ذكره الطبري عن قتادة ؓ قال: " كان ناس غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة " ^(٣) لذا قال سبحانه: (وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا) " إشارة إلى أن عهد الله ﷻ أشبه بكائن حيّ مجسّد، وأنه يقوم في الناس مقام الرسول المبلّغ عن ربه؛ ولهذا فهو يسأل عمّن

(١) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٢٠ / ٢١٨، زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٣ / ٤٥١، محاسن التأويل - القاسمي - ٨ / ٥٥، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١١ / ٦٦٢، التحرير والتوير - ابن عاشور - ٢١ / ٢٨٦، السيرة النبوية - ابن هشام - ٢ / ٢٤٦، السيرة النبوية - ابن كثير - ٣ / ٢٠١، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - محمد الشامي - ٤ / ٣٧٤ .
(٢) انظر: محاسن التأويل - القاسمي - ٨ / ٥٦، في ظلال القرآن - سيد قطب - ٥ / ٢٨٣٩ .
(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢٠ / ٢٢٨ .

أوفى به، ومن نكث، كما يسأل الرسل عن آمن بهم ومن كفر، كما يقول الله تعالى: (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ..) (١)، وفي هذا تعظيم لعهد الله، وما ينبغي أن يكون له في الناس من إكبار وإجلال " (٢)

إن المنافقين لا يترددون عن مفارقة المعصية أياً كان نوعها، بل لا يجدون في ذلك حرجاً منهم، وما يعلمون أن ما يودون الهروب منه بأي ثمن، هو أمامهم ليأخذهم إلى ما فرؤوا منه، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧، ١٦] فمع هذه الآمال التي عقدها بالنجاة من الموت، وهذا الجهد الذي بذلوه في سبيل ذلك من تغطية لأهدافهم، وإظهار لخلاف نيّاتهم؛ جاء القرآن الكريم ليقول لهم وللناس جميعاً أن ما يسعى إليه أولئك القوم هو عمل لا تقبله العقول، ولا المنطق الصحيح، فهي توبيخات شديدة لأولئك الذين نافقوا ولم يؤمنوا، حيث أمر الله ﷻ النبي ﷺ أن أخبرهم أن الفرار من القتال لن ينفعكم، ولن يدفع عنكم ما قضاه الله عليكم من موت، أو قتل، وإذا نفعكم الفرار فلم تفتلوا في ساحة الحرب، فإن بقاءكم في الدنيا محدود الأجل، ومتاعكم فيها متاع قليل، وسيأتي الموت في الموعد المحدد لا يتأخر ولا يتقدم، وقل لهم أيها الرسول لا أحد يستطيع أن يمنعكم من مراد الله ﷻ بكم، أو دفع السوء عنكم إذا قدره الله ﷻ عليكم، أو جلب الخير والنفع لكم إن أَرَادَهُ اللهُ ﷻ، ولن يجد هؤلاء المنافقون ومؤيدوهم مجيراً، ولا نصيراً ينصرهم أو يشفع لهم، وفيه بيان افتقارهم لله ﷻ، وأنه مهما تصوروا الاستغناء عنه فإن ذلك وهم يتوقعونه؛ ثم تختم هذه الآيات ببيان أنه لا أحد يستطيع أن يحقق لهم الموالة والنصرة سوى الله ﷻ (٣).

كما أبرزت السورة حقيقة موقفهم المتخاذل والمثبط عن الجهاد حيث قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨] وصور موقفهم لحظة الخوف حيث قال تعالى: ﴿ أَشْحَتٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغَسِّي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ... ﴾ [الأحزاب: ١٩] كما صور موقفهم لحظة ذهابه فهم لا

(١) سورة المائدة : الآية (١٠٩) .

(٢) التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١١ / ٦٦٧ .

(٣) انظر: تفسير السمعاني - ٤ / ٢٦٧ ، التفسير الوسيط - الزحيلي - ٣ / ٢٠٦٠ ، الكشف والبيان عن تفسير

القرآن - الثعلبي - ٨ / ٢٠ .

يَتَوَرَّعون عن سُلُقِ الْمُسْلِمِينَ ﴿...بِالسَّنَةِ حِدَادٍ...﴾ [الأحزاب: ١٩] هكذا كان دَيْدُهُمْ فِي الْأَوْقَاتِ الْعَصِيبَةِ.. (١)

ثم ختمت الآيات بإنذار مزلزل لهؤلاء المنافقين، ومن انضوى إليهم، حيث قال سبحانه: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْمًا تُقْتَلُوا أَخَذُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢] في الآية هَدَّدَ اللهُ ﷺ كل المؤذنين للنبي ﷺ من جميع الأصناف بأنواع العقاب فقال متوعداً: لئن لم يترك هؤلاء المنافقون نفاقهم، والزناة فجورهم، والذين ينشرون الأراجيف والأكاذيب، وخلخلة الصفوف، ونشر أخبار السوء؛ كمجيء عدو، وانهزام سرية، وهكذا مما يكسرون به قلوب المؤمنين؛ فلنسلطنك عليهم يا محمد؛ ثم يخرجون من المدينة فلا يعودون إلى مجاورتك فيها إلا زمناً قليلاً ريثما يتأهبون؛ فيرتحلون بأنفسهم وعيالهم، وقيل: حَتَّى تَقْتُلَهُمْ وَتُخْلِي مِنْهُمْ الْمَدِينَةَ؛ قَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا، وَيُفْشُونَ الْأَخْبَارَ، أَيْنَمَا وَجَدُوا وَأَدْرَكُوا أَخَذُوا عَلَى وَجْهِ الْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ، ثُمَّ قَتَلُوا لِكْفَرِهِمْ بِاللَّهِ ﷻ تَقْتِيلًا؛ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الْمُنَافِقِينَ، وَعَادَتُهُ فِيمَنْ سَبَقَ مِنْهُمْ، أَنْ يُفْعَلَ بِهِمْ ذَلِكَ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: لَقَدْ سَنَّ اللَّهُ ﷻ فِيمَنْ أَرْجَفَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَأَظْهَرَ نِفَاقَهُ أَنْ يُؤْخَذَ وَيُقْتَلَ؛ وَذَكَرَ قَوْلَ السَّدي: أَنَّ مَنْ قُتِلَ بِحَقِّ فَلَا دِيَةَ عَلَيْهِ قَاتَلَهُ؛ وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ ﷻ لَنْ تَتَّغِيرَ أَوْ تَتَبَدَّلَ؛ لِكُونِهَا بُنِيَتْ عَلَى أُسَاسٍ مَتِينٍ، وَفِي الْآيَةِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَي فَلَا تَحْزَنْ عَلَى وُجُودِ الْمُنَافِقِينَ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّ ذَلِكَ سُنَّةٌ قَدِيمَةٌ لَمْ يَخُلْ مِنْهُمْ زَمَنٌ مِنَ الْأَزْمَانِ؛ وَفِي الْمَقَابِلِ سَنَسَنَ بِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ سُنَّةَ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ مِنْ قَبْلُ، وَنَأْخُذُهُمْ بِمَا أَخَذْنَا بِهِ أَمْثَالَهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالنَّفَاقِ؛ فَهَذَا هُوَ حُكْمُ اللَّهِ ﷻ فِي الْمَفْسُودِينَ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ حُكْمٌ قَائِمٌ لَا يَتَبَدَّلُ أَبَدًا... (٢)

(١) انظر: دراسات في السيرة - د: طالب أبوشرع، وآخرون - ص ٣٦٧ .

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٢٠ / ٣٢٦، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٦ / ٣٧٧، محاسن التأويل - القاسمي - ٨ / ١١٤، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - الرازي - ٢٥ / ١٨٤، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٤ / ٢٤٧، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١١ / ٧٥٥ .

المطلب الرابع

موقف المنافقين في غزوة بني المصطلق في ضوء (سورة المنافقون)

لقد خصَّص الله تعالى - بعد تعداد خصال المنافقين في مناسبات قرآنية عديدة - سورة لبيان أوصاف المنافقين هي سورة (المنافقون)، وقد تضمنت هذه السورة حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وتبكياتهم، ومناوراتهم، وبيان ذلهم وكذبهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ودكر تشريف المؤمنين وتبجيلهم، وبيان عزهم وشرفهم، وما يُميّز هذه السورة عن باقي السور التي تتحدث عن المنافقين أنها تكاد تكون مقصورة على الحديث عنهم، والإشارة إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم، ورويت عنهم (١) ، فكلمًا توطدت سلطة المسلمين، ورسخت مكانتهم، ازداد المنافقون ضغناً عليهم، وترصباً بهم، ولما رأوا عزة الله ﷻ ونصره للإسلام، وأخذت القبائل العادية تخنفي واحدة تلو الأخرى، التحق أولئك المنافقون بصفوف المسلمين، ولم تتكشف نياتهم السوء إلا من فلتات الألسنة، ومزالق الطَّبَّاع، فكانت سيرتهم تلك مثار فتن شداد، تأذى منها رسول الله ﷺ والمؤمنون شيئاً ليس بالقليل، ومن أهم هذه المواقف ما كان من المنافقين في غزوة بني المصطلق (٢) حيث أخبر سبحانه بما افتروه: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [المنافقون ٨، ٧] وهذا من شدة عداوتهم للنبي ﷺ والمسلمين، فحينما رأوا اجتماع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على النبي ﷺ وائتلافهم، ومسارعتهم في مرضاته ﷺ ، قالوا يزعمهم الفاسد: (لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ

(١) انظر: التفسير الوسيط - الزحيلي - ٣ / ٢٦٦٢ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - ٣١١ / ٥ .

(٢) اختلف العلماء في تحديد تاريخها والراجح أنها حدثت في السنة ٥ هـ .؛ لكن ابن اسحاق والطبري ذكروا أنها في شعبان السنة السادسة للهجرة، ومن أهم الأسباب في هذه الغزوة هو أن قبيلة بني المصطلق أخذت تجمع الجموع لغزو المدينة المنورة، وقد أطمعها في التفكير في غزو المدينة والتصميم على ذلك انتصار المشركين في غزوة أحد بسبب خطأ ارتكبه الرماة في هذه الغزوة كما هو معروف؛ فبعث النبي ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي، ليتحقق الخبر، فأتاهم، وبعد أن تأكد لديه ﷺ صحة الخبر نذب الصحابة وأعد عدته، واتخذ جميع التدابير المناسبة، وباغت هذه القبيلة في عقر دارها وهزمهم شر هزيمة (انظر: الرحيق المختوم - المباركفوري - ص ٢٩٨ ، مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع - إبراهيم قريبي - ص ٨٩ ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء - سليمان الكلاعي - ١ / ٤٥٤ ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - محمد اليعمرى - ٢ / ١٢٨) .

اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) أي حتى تصيبهم مجاعة، فيتفرقوا عن النبي ﷺ ؛ فإنهم - كما يزعمون - لولا أموال المنافقين ونفقاتهم عليهم، لما اجتمعوا في نصره دين الله ﷻ، وهذا من أعجب العجَب، أن يدَّعي هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين، وأدْيئة المسلمين، مثل هذه الدعوى التي لاتروج إلا على من لا علم له بحقائق الأمور، ولهذا قال الله ﷻ رداً لقولهم: (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فيؤتي الرزق من يشاء، ويمنعه من يشاء، ويبيسر الأسباب لمن يشاء، ويعسرهما على من يشاء، (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ) فلذلك قالوا تلك المقالة، التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، وتحت مشيئتهم، وما ذلك إلا لجهلهم بسنن الله في خلقه، وأن الله ﷻ قد كَفَلَ الأرزاق لعباده في أي مكان كانوا، متى عملوا وجدوا في الحصول عليها (١) ، وقد روى زيد بن أرقم رضي الله عنه هذا المشهد فقال: " كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، يَقُولُ: لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْرُ مِنْهَا الْأَذْلَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعَمْرٍ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ " (٢) .

كما أثار المنافقون في هذه الغزوة فتنة كادت تعصف بالمسلمين، وتثير فيهم خلافاً يُعيد عليهم صوراً من حياة الجاهلية؛ وبأسلوب تظهر فيه خسة النفس الإنسانية عندما يستندُ بها الحقد، ويغلب عليها الضعف؛ إلا أن النبي ﷺ وبما عُرف عنه من حكمة، وتقديرٍ للأمور، وحُسن إدارة لها؛ رَفَعَ عن الناس آثار هذه الفتنة (٣)، وقد بدأت هذه الفتنة كما رواها البخاري عن جابر رضي الله عنهما يقول: (كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ (٤) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ:

(١) انظر: محاسن التأويل - القاسمي - ٢٣٦ / ٩ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - السعدي - ص ٨٦٥ ، تفسير المراغي - ١١٣ / ٢٨ ، التفسير الميسر - نخبة من أساندة التفسير - ٥٥٥ / ١ ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه - مكي بن أبي طالب - ٧٤٨٧ / ١٢ .

(٢) صحيح البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابُ قَوْلِهِ: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ} قَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ٦ / ١٥٢ - رقم ٤٩٠٠ .

(٣) انظر: فقه السيرة - الغزالي - ص ٢٨٨ .

(٤) الكسع: أَنْ تُضْرِبَ بِيَدِكَ، أَوْ بِرِجْلِكَ بِصَدْرِ قَدَمِكَ عَلَى دُبُرِ إِنْسَانٍ أَوْ شَيْءٍ (انظر: لسان العرب - ابن منظور - ٣٠٩ / ٨) .

يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَهَا اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ قَالَ: (مَا هَذَا؟) فَقَالُوا كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ...)، وهنا استغل رأس النفاق عبد الله بن أبي هذا الموقف فقال: (فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَلَبَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ؛ وَكَانَتْ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ) (١)، وورد أن المنافقين اجتمعوا عند رأس النفاق " فَأَنْكَفَأَ كُلُّ مُنَافِقٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَقَالُوا كُنْتَ تُرَجَى وَتَدْفَعُ، فَصِرْتَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ " (٢) فقال قولته الشنيعة في حق النبي ﷺ .

ولقد كانت الفرصة قائمة في أن يُحَاسِبَ النبي ﷺ عبد الله بن أبي بن سلول، لا سيما أن ابنه عبد الله عَرَضَ على النبي ﷺ القيام بقتل والده إن كان يريد بذلك ليوقع عليه ما يستحق جزاء فَعَلْتَهُ هذه التي لو تَرَكْتَ ستؤثر في نفوس الناس، وستُحَطَّمُ العلاقات بينهم، فكان رده ﷺ بأنه سيتحمل كل ما يمكن أن يقوم به من أذى له ﷺ وللمسلمين، حيث قال ﷺ: بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا (٣) .

وقد كان لتسامح النبي ﷺ مع رأس المنافقين أبعاد الآثار فيما بعد، فقد كان ابن أبي كلما أَحَدَثَ حَدَثًا، كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويعتقونه، ويعرضون قتله على النبي ﷺ، ورسول الله ﷺ يأبى وَيَصْفَحُ، فأراد رسول الله ﷺ أن يكشف لعمر بن الخطاب ﷺ سياسته الحكيمة، فقال: كيف ترى يا عمر؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُتِلْتَ لِي لَأَرْعَدَتْ لَهُ آنَافُ لَوْ أَمَرْتُهُا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَفَتَلَّتْهُ!! فقال عمر ﷺ: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري (٤)؛ وهذه إحدى نتائج حسن إدارته ﷺ للمواقف مع المنافقين.

(١) صحيح البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ - بَابُ قَوْلِهِ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} - ٦ / ١٥٤ - رقم ٤٩٠٥ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر - ٨ / ٦٤٩ .

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٨ / ١٣٢، السيرة النبوية - ابن هشام - ٢ / ٢٩٣، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة - أبو شهبه - ١ / ٢٠ .

(٤) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ٦ / ٣٥٧٦، الموسوعة القرآنية - إبراهيم الأبياري - ١ / ٢١٢، وَا مُحَمَّدَاهُ إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ - سيد العفاني - ١ / ٢٩٥ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن النبي ﷺ كان يخاف أن يتولد من قتلهم من الفساد أكثر مما في استبقاتهم؛ وقد بين ذلك حين قال: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، إذا ترد لهم آناف - أخذتها الحمية وغضبت لذلك - كثيرة بيثرب، فإنه لو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد، وإنما قصده الاستعانة بهم على الملك كما قال: أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، وأن يخاف من يريد الدخول في الإسلام أن يُقتل مع إظهاره الإسلام كما قُتل غيره، وقد كان أيضاً تغضب لقتل بعضهم قبيلته، وأناس آخرون فيكون سبباً للفتنة.. (١)

وكانت عناية الله ﷻ بحبيبه المصطفى ﷺ أنه كلما مكر الكائدون والمنافقون له ﷺ فإن القرآن ينتزل ويفصح عن بواطنهم، فيتعرى المنافقون، وتجلت العناية الربانية في حفظه ﷺ كما في المواقف السابقة، ومع ذلك وكل ما كادوه للنبي ﷺ ودينه؛ يُبقي الإسلام ورسول الإسلام باباً مفتوحاً إلى التوبة؛ فلن يوصد الباب أبداً، لكنّ اللعب على الحبال بات مكشوفاً، والتظاهر بالإيمان أضحي مفضوحاً، لا يُجدي ولن يُفيد إلا التوبة النصوح الخالصة لله سبحانه وتعالى (٢).

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول - ابن تيمية - ص ٣٥٧ (بتصرف يسير) .

(٢) انظر: فقه السيرة النبوية - محمد منير الغضبان - ص ٣٩١ .

الفصل الرابع

”عناية الله بالنبي ﷺ من أذى أهل الكتاب”

وفيه توطئة ومبحثان :

المبحث الأول : إيذاء أهل الكتاب القولي للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به

المبحث الثاني : إيذاء أهل الكتاب العملي للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به

توطئة:

لقد أرسل الله ﷺ رسوله المصطفى ﷺ إلى الناس كافة، العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال أيضاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] ذكر الطبري في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ قال: " أرسل الله ﷺ محمداً ﷺ إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله ﷻ أطوعهم له " (١) وقيل: " أي كافاً يكفهم عما هم عليه من الكفر، بعث محمداً ﷺ إلى جميع العالم " (٢) وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) (٣)، وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً) (٤) وهذه الآيات هي إعلام من الله تعالى بأن رسالة النبي ﷺ هي رسالة عامة لجميع الخلائق، وفيها بيان لهذا المقام العظيم، مقام النبي ﷺ عند ربه ﷻ، وهو مقام لا يطاول، ومنزلة لا تتال؛ قد انفرد بها النبي ﷺ من بين رسل الله وأنبيائه جميعاً، وقد كان من جملة من أرسل لهم النبي ﷺ هم أهل الكتاب، كما هو ظاهر الآيات القرآنية، وصريح الأحاديث النبوية .

تعريف أهل الكتاب وحقيقتهم:

إنَّ مُصْطَلَحَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ الشَّرْعِيِّ يُرَادُ بِهِ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، فَقَدْ ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمْ: الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، وَاسْتَدَلُّوا لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِعَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ١٥٦]

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢٨٨ / ١٩ .

(٢) زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٤٩٩ / ٣ ، وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٦٨١ / ٣ .

(٣) صحيح مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانِ - بَابُ وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسَخِ الْمِلَّةِ بِمِلَّتِهِ - ١ / ١٣٤ - رقم ١٥٣ .

(٤) صحيح البخاري - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا - ٩٥ / ١ - رقم ٤٣٨ .

فَالطَّائِفَتَانِ اللَّتَانِ أَنْزَلَ عَلَيْهِمَا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا هُمَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَالْفُقَهَاءِ (١).

وقد بيّنت السنة المطهرة أيضاً المقصود بأهل الكتاب؛ حيث روي عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: (هَلْ نَقَصْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟) قَالُوا: لَا، قَالَ: (فَذَلِكَ، فَضَلِي أَوْتِيهِ مِنْ أَشَاءِ) (٢) وهنا بيّن الحديث أن المقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى، كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (...أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا...) (٣) فبين أن المقصود بأهل الكتاب هم أهل الكتابين .

ثم أشار القرآن الكريم إلى أن أهل الكتاب منهم المؤمن، ومنهم الكافر، قال تعالى: ﴿... وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠] إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٦] فهذا الانقسام في اليهود والنصارى، إنما هو باعتبار حالهم قبل مبعث النبي ﷺ، أما بعدما بعث الله ﷻ خاتم النبيين، فكل من لم يؤمن به من اليهود، والنصارى، وغيرهم فإنه كافر، فإن مات على ذلك فهو من أهل النار، ولا ينفعه انتسابه لشريعة التوراة، أو الإنجيل لأن الله ﷻ قال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾ [آل عمران: ١٩] .

أما بالنسبة لليهود والنصارى الذين بين أظهرنا ممن ظهرت عداوتهم، وطال ضررهم كل مسلم، وأهلكوا الحرث والنسل، وسلبوا خيرات المسلمين، وأذلّوهم، وأهانوهم، وتناولوا على كتاب الله

(١) انظر: الملل والنحل - أبو بكر الشهرستاني - ١٣ / ٢ ، أحكام القرآن - الجصاص - ١١٨ / ٣ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الإجازة - باب الإجازة إلى نِصْفِ النَّهَارِ - ٩٠ / ٣ - رقم ٢٢٦٨ .

(٣) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب بيان قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ ثُبُودًا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوُهَا﴾ [البقرة: ٢٨٤] -

١ / ١١٥ - رقم ١٢٥ .

تمزيقاً، ورمياً بالأماكن المقدرة، وسخروا من نبي الإسلام ﷺ ، وكل ذلك وغيره علناً، وعبر وسائل الإعلام العالمية جهاراً نهاراً؛ يقول سيد قطب في الضلال: إنه ليس وليد مرحلة تاريخية معينة، إنما كان وليد حقيقة دائمة مستقرة، كما أن حربهم للإسلام والمسلمين، لم تكن وليد فترة تاريخية معينة، فهي ما تزال معلنة، ولن تزال، إلا أن يرتد المسلمون عن دينهم تماماً، وهي معلنة بضراوة وإصرار وعناد، بشتى الوسائل، على مدار التاريخ (١) هذا موقفهم الحقيقي من الإسلام وأتباعه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء ١٥١، ١٥٠] قال الطبري: (إن الذين يكفرون بالله ورسوله) من اليهود والنصارى، (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله)، بأن يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه بوحية، ويزعموا أنهم افترخوا على ربه؛ فذلك هو معنى إرادتهم التفريق بين الله ورسوله، بادعائهم عليهم الأباطيل، ويقولون: نصدّق بهذا ونكذب بهذا، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى عليه السلام ومحمداً ﷺ، وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمداً ﷺ، وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم (٢) ، وقال صاحب الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان تعقياً على افتراءاتهم: " فهذه أمة الغضب، وهذه أمة التثليث والضلال يرمون جمعاً من أنبياء الله ورسوله بقبائح الأمور التي تقشعر منها الجلود، وينسبون هذا إلى كتب الله المنزلة: التوراة والإنجيل - وحاشا لله - (٣) وبالرغم من جودهم لدين الحق، وتكرهم له، وانطلاقاً من دعوة النبي ﷺ بأنها إلى الناس كافة؛ أخذ النبي ﷺ على عاتقه حمل هذه الرسالة بعد أن دُرست معالم الحق والفضيلة عند أهل الكتاب، وبعد أن ضيعوا الكثير من تعاليمه، وأخفوا بعضه، ونقضوا ميثاقهم مع ربه؛ فبادرهم النبي ﷺ بالدعوة إلى وحدانية الله ﷻ والتي هي أحسن، وذكرهم النبي ﷺ بأصل معتقدهم، وما جاء به أنبيأؤهم ورسولهم، ولكنهم قابلوه بالتعنت والجدال والتكذيب فحاربوه، وناصروه العدا، واستخدموا ضده كل كيد وعدوان لإيذائه، والوقوف أمام دعوته ﷺ ، حتى وصل الحال بهم أن هموا بقتله ﷺ ، ومحور الدراسة في هذا الفصل عن جملة مما لقي النبي ﷺ من أذى أهل الكتاب قولاً وفعلاً.

(١) في ضلال القرآن - ٣ / ١٦٣١ (بتصرف يسير) .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٩ / ٣٥٢ (بتصرف) .

(٣) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان - بكر بن عبد الله - ص ٧٦ .

المبحث الأول

أذى أهل الكتاب القولي للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : إيذاؤهم للنبي ﷺ بالطعن في نبوته ﷺ بعد تيقنهم بصدقه وإيثارهم الشرك على الإيمان

المطلب الثاني: إيذاؤهم للنبي ﷺ بتعننتهم معه واتهامه في غايته النبيلة

المطلب الثالث : إيذاؤهم للنبي ﷺ بحسدهم وكبريائهم وجحودهم الحق

الذي جاء به

المطلب الرابع : إيذاؤهم للنبي ﷺ بالتعالي عليه وادعائهم الخصوصية والأفضلية على أمته

المطلب الأول

إذاؤهم للنبي ﷺ بالطعن في نبوته ﷺ بعد تيقنهم بصدقه وإيثارهم الشرك على الإيمان

لقد سلك أهل الكتاب في أذى النبي ﷺ مسالك وأساليب شتى، ومن هذه الأساليب الطعن في نبوته ﷺ ، فقد أخذوا يُصَرِّحُونَ أنه ﷺ ليس هو النبي المنتظر، بعد أن تيقنوا بصدقه، وعرفوه، بحيث لا يلتبس عليهم من أمره شيء، فقد كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، حيث كان موصوفاً عندهم في التوراة والإنجيل بصفاته الكاملة، وقد سجل القرآن الكريم هذه الحقيقة عليهم، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] ، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١] ، وقال أيضاً: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] ذكر الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن عباس ؓ أنه قال: كان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل بعثته، فلَمَّا بعثه الله ﷺ من العرب؛ كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور ودأود بن سلم: يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبرونا أنه مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم - أحد يهود بني النضير - : ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم، فأُنزل الله عز وجل ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١) ، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: " كانت يهود خيبر تقابل عطفان، فلَمَّا اتقوا هزمت يهود، فعادت يهود بهذا الدعاء، وقالوا: إِنَّا نَسْأَلُكَ بِحَقِّ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي وَعَدْتَنَا أَنْ نُخْرِجَهُ لَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِلَّا تَنْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَكَانُوا إِذَا اتَّقُوا دَعَوْا بِهَذَا الدَّعَاءِ فَهَزَمُوا عَطْفَانَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ كَفَرُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْآيَةَ " (٢)

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٢ / ٣٣٣ (بتصرف يسير) ، وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن - البيهقي - ١ / ١٤١ ، زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ١ / ٨٧ ، تفسير الجلالين - جلال الدين السيوطي - ص ١٩ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية - ٥ / ١٦٢ .
(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد - الواحدي - ١ / ١٧٣ ، وانظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري - ١ / ١٦٤ ، تذكرة الأريب في تفسير الغريب - ابن الجوزي - ص ١٩ ، تفسير القرآن - العز بن عبد السلام - ١ / ١٤٣ .

وقد ذكر القرطبي رواية أخرى: أنهم كانوا إذا قاتلوا مشركي العرب قالوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِ النَّبِيِّ الَّذِي نَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا تَبِعْتَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ أَنْ تَتَّصِرْنَا؛ فَيُنْصِرُونَا عَلَيْهِمْ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ لِأَعْدَائِهِمُ الْمُشْرِكِينَ: قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُ نَبِيِّ يَخْرُجُ بِتَصْدِيقِ مَا قُلْنَا، فَنُقَاتِلُكَ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَامٍ^(١)، وذكر صاحب منحة القريب: ... وهذا من أوضح الأدلة، وأكبر الحجج على نبوة محمد ﷺ لأنهم ما كانوا يستفتحون به إلا لما يعلمون من نعته، وصفاته، وزمانه، فلما ظهر ﷺ كفروا به حسداً وبغياً، وجحدوا نبوته؛ ولا ريب أن استفتحهم به، وجحد نبوته لا يجتمعان، فإن كان استفتحهم به لأنه نبي؛ كان جحد نبوته محالاً، وإن كان جحد نبوته - كما يزعمون - حقاً؛ كان استفتحهم به باطلاً، وهذا مما لا جواب لأعداء الله عنه البتة، سوى أن يقولوا: إنَّ هذا الموجود ليس بالذي كنا نستفتح به، وهذا ورثي من أعظم الجحود والعناد، فإن الصفات والعلامات التي فيه طابقت ما كان عندهم مطابقة المعلوم لعلمه، فإنكارهم أن يكون هو النبي؛ جحد باللسان مع أن القلب يعرفه معرفة تامة، وهذا ضلال ما بعده من ضلال^(٢)، فحالهم كما قال سبحانه وتعالى يقول: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣]

كما أنكر أهل الكتاب أن يكون القرآن منزلاً من عند الله ﷻ في محاولة للطعن في صدق النبي ﷺ وبالتالي فلا يكون القرآن الكريم معجزة، حيث ذكر القرطبي في تفسيره ما روي عن ابن عباس ؓ أنه قال: " أن رجلاً من اليهود قال لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا مُحَمَّدُ مَا جِئْتَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ فَنَتَّبِعَكَ بِهَا؟ " ^(٣) فأنزل الله ﷻ مدافعاً عن نبيه ﷺ في هذه الفرية حيث قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ [البقرة: ٩٩] ، كما قال سبحانه موبخاً لهم، وزاجراً لهم: ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ١٩٧] روي

(١) الجامع لأحكام القرآن - ٢٧ / ٢ (بتصرف يسير) ، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ٢١٦ / ١ ، العجائب في بيان الأسباب - ابن حجر العسقلاني - ٢٨٢ / ١ ، ٢٢٢ ، لباب النقول في أسباب النزول - جلال الدين السيوطي - ص ١١ ، الشريعة - الآجري - ١٤٥٣ / ٣ ، الخصائص الكبرى - جلال الدين السيوطي - ٣٩ / ١ ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - ابن قيم الجوزية - ٢٤٩ / ١ .

(٢) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب - عبد العزيز آل معمر - ٢٩١ / ١ (بتصرف) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - ٣٩ / ٢ ، وانظر: الهداية الى بلوغ النهاية - مكي بن أبي طالب - ٣٦٣ / ١ ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - أ. د. حكمت بن بشير - ٢٠٤ / ١ .

عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قَالَ: " كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِهِمْ فَأَمَّنَ بِكِتَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم: أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ مِنْ خِيَارِهِمْ" ^(١) وَعَنْ قَتَادَةَ رضي الله عنه قَالَ: " كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ، وَهَكَذَا فَقَدْ وَبَّخَهُمَ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ آيَةٌ إِسْلَامَ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَفَقَاهَتِهِمْ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَحْوَ ابْنِ سَلَامٍ، وَغَيْرِهِ؛ إِذْ كَانُوا لَا يُسَلِّمُونَ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ، وَثَبَتَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ؛ وَمَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَعْرِفُونَ؛ إِذْ كَانَ فِي إِسْلَامِهِمْ ذَهَابَ مَكَانَتِهِمْ وَرِيَّاسَتِهِمْ... " ^(٢)

وهكذا فقد كانت عناية الله صلى الله عليه وسلم بحبيبه صلى الله عليه وسلم من أذى أهل الكتاب، بأنه تولى بنفسه صلى الله عليه وسلم الدفاع عنه في قرآنه الكريم مقابل أي افتراء، وقد دحض صلى الله عليه وسلم هذه الفرية بأن شهد له سبحانه بنفسه فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتِكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩] ومعنى الآية الكريمة أَنَّ الله تعالى يأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يقول لمن طعن في نبوته أي شيء أعظم شهادة، حتى يشهد لي بأني صادق في دعوتي لكم للإيمان بنبوتي؟ فإن أجابوك؛ وإلا فقل لهم الله صلى الله عليه وسلم يشهد لي بصدق ما أدعو إليه، وكفى بشهادة الله صلى الله عليه وسلم لي، وهذا من عناية الله صلى الله عليه وسلم به .

ومن المواقف التي تثبت معرفة أهل الكتاب بأنه صلى الله عليه وسلم هو نبي حقاً ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، فَمَرِضَ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (أَسْلَمَ) ، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم ، فَأَسْلَمَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقُولُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) ^(٣) ، ذَكَرَ أَبُو النَّثَاءِ الْأَلُوسِيُّ مَا رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا ظَهَرَ؛ كَتَبَتْ يَهُودُ الْمَدِينَةِ لِيَهُودِ خَيْبَرَ: إِنْ اتَّبَعْتُمْ مُحَمَّدًا أَطْعَمَاهُ، وَإِنْ خَالَفْتُمُوهُ خَالَفْنَاهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، وَمَنَا عَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَمَتَى كَانَتْ النَّبِيُّوَّةُ

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ١٢٩ / ٦ ، وانظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٧ / ٦٤٤ ، غرائب التفسير وعجائب التأويل - تاج القراء - ٨٣٧ / ٢ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل - البيضاوي - ١٥٠ / ٤ .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم - ٢٨٢٠ / ٩ ، وانظر: تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ٨٥ / ٨ .

(٣) صحيح البخاري - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الْإِسْلَامُ - ٩٤ / ٢ - رقم ١٣٥٦ .

في العَرَب؟ نحنُ أَحَقُّ بها من محمد، ولا سَبِيلَ إلى اتبَاعِهِ، فَنَزَلَ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة ٦، ٧] (١) .

كما روى صاحب الدر المنثور عن رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنَّهُ قَالَ: " جَلَبْتُ جُلُوبَةً إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ بَيْعَتِي قُلْتُ: لِأَلْفَيْنِ هَذَا الرَّجُلَ فَلَأَسْمَعَنَّ مِنْهُ، قَالَ: فَتَلَقَّانِي بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ يَمْشُونَ، فَتَبِعْتُهُمْ فِي أَفْقَائِهِمْ حَتَّى أَتَوْا عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ نَاشِرًا النَّوْرَةَ يَفْرُوْهَا، يُعْرِي بِهَا نَفْسَهُ عَنِ ابْنِ لَهُ فِي الْمَوْتِ كَأَحْسَنِ الْفَنِيَانِ وَأَجْمَلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَشْذَكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ، هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ هَذَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي؟) فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا، أَي: لَا ، فَقَالَ ابْنُهُ: إِي؛ وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ ﷺ : (أَقِيمُوا الْيَهُودِيَّ عَنِ أَحْيَاكُمْ) ثُمَّ وَلِيَ كَفَنَهُ، وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ " (٢)، فسبحان الله تعالى ناشد الرسول ﷺ اليهودي الأب بالله ﷻ ، فكذب زاعماً أنه لا يجد في التوراة صفة رسول الله ﷺ ومخرجه، وأشرق قلب اليهودي الابن المريض، فصدق في بيان الحقيقة، ونطق بالشهادتين، وبذلك أصبح أخاً للمسلمين، ثم يأمر النبي ﷺ بإزاحة أبيه الكافر عنه ، لأن النسب الحقيقي قد تبدل بين الأب الذي ظل على يهوديته ، والابن الذي أكرمه الله تعالى بالإسلام .. وما أعظمه من درس أن يتولى النبي ﷺ كفنه ، والصلاة عليه بعد أن انضم إلى قافلة الخير والهدى .. إن في ذلك لعبرة لمن يخشى....

ولم يقتصر أهل الكتاب على مخالفة الإسلام، وعدم اتبَاعِهِ، بل تعدوا ذلك إلى تفضيل عبادة الأوثان والمشركين عن الإسلام، فقد روي أن قريشاً قالت لعلماء اليهود الذين زاروهم في مكة: " يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، إِنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَالْعِلْمُ بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ، أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ؟ قَالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ " (٣) وإنها لسقطة من اليهود

(١) فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية - أبو الثناء الألوسي - ٢ / ٢٧٩ (بتصرف) .

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ٣ / ٥٧٥ ، وانظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٣ / ٤٨٣ ، صحيح السيرة النبوية - الألباني - ص ٧٣ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - الزحيلي - ٩ / ١٢٠ ، المحتضرين - ابن أبي الدنيا - ص ٢٥ ، فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار - الحسن الصنعاني - ٣ / ١٧٢٤ .

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٢٠ / ٢١٨ ، وانظر: الموسوعة القرآنية - إبراهيم الأبياري - ١ / ١٩٠ ، السيرة النبوية - ابن هشام - ٢ / ٢١٤ ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام - السهيلي - ٦ / ١٩٦ .

وهم أهل كتاب أن يُفَضَّلُوا الوثنية على التوحيد، وفي هذا الموقف تصوير لمدى حقد أهل الكتاب وخصوصاً اليهود على الإسلام والمسلمين حيث تتاسوا ما تنطوي عليه مبادئ الديانة اليهودية في أساسها من التوحيد، وفضلوا الوثنية على دين محمد ﷺ ، وكان من المعقول المنتظر أنهم إذا طُلبَتْ منهم المُفَاضَلَةُ بين دين قريش، والدين الذي يدعو إليه محمد ﷺ - على ما كان من خلاف بينهم وبين المسلمين - أن يشهدوا بفضل الإسلام على الوثنية، ولكنَّ عداءهم للإسلام لم يسمح لهم بذلك^(١)، وقد سجل الله عليهم هذا الموقف المخزي فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنُجَذِلَنَّهُ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥١، ٥٢]. وكفى اليهود خزيًا أن يهودياً مثلهم قد أخذهم على هذا الموقف المشين، حيث قال العالم اليهودي الدكتور إسرائيل ولفنسون: ولكن الذي يلامون عليه بحق، والذي يؤلم كلَّ مؤمن بالله واحد من اليهود والمسلمين على السواء، إنما هو تلك المحادثة التي جرت بين نفر من اليهود، وبين بني قريش الوثنيين، حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية ... كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش، وألا يصرِّحوا أمام زعماء قريش، بأنَّ عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي، ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم ...^(٢)

وبالرغم من ذلك بقي النبي ﷺ يدعوهم لعلمهم يعودون الى الحق، فأخذ يدعوهم بكلام يهزُّ الوجدان، وينصاع إليه من كان لديه عقل رشيد، ورأي سديد، وفطرة سليمة، حيث إنَّ القلوب تطمئن بالإيمان، وتلين لسماع الحق، لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] فإذا أعرض الإنسان عن أرض الإيمان، وأخذ الى أرض الغفلة، واتباع الهوى؛ فسا قلبه وعمت بصيرته، وذلك ما حكاه الله ﷻ في كتابه عن حال كثير من أهل الكتاب وتلك علامة خروجه عن الطريق القويم، فقال سبحانه: ﴿ ... وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦] فقد رفضوا الاستجابة للنبي ﷺ

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك - الطبري - ٥٦٥ / ٢ ، إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ - حسن المالكي - ص ٣٥٥ ، وا محمداه إن شانئك هو الأبتتر - سيد العفاني - ٣٣٢ / ١ ، البداية والنهاية - ابن كثير - ١٠٨ / ٤ ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة - محمد أبو شُهبة - ٢٧٥ / ٢ .

(٢) اليهود في بلاد العرب - الدكتور إسرائيل ولفنسون - ص ١٤٢ (بتصرف) ، وانظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم - طنطاوي - ١٨٢ / ٣ ، السيرة النبوية - أبو الحسن الندوي - ص ٢٨٩ ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة - أبو شُهبة - ٢٧٥ / ٢ ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ - أحمد إبراهيم الشريف - ص ٣٦٤ .

بالرغم من تيقنهم بصدقه - كما أسلفنا - فقد صورَ الله ﷻ حالهم بعدم تأثرهم برسالة النبي ﷺ وبالوعد والوعيد، قائلاً سبحانه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] قال صاحب تفسير المنار: "وَالْمَعْنَى أَنَّ الْحِجَارَةَ عَلَى صَلَابَتِهَا وَقَسْوَتِهَا تَتَأَثَّرُ بِالْمَاءِ الرَّقِيقِ اللَّطِيفِ فَيَشَقُّهَا وَيَنْفُذُ مِنْهَا بِقِلَّةٍ أَوْ كَثْرَةٍ، فَيُحْيِي الْأَرْضَ، وَيَنْفَعُ النَّبَاتَ وَالْحَيَوَانَ، وَأَمَّا هَذِهِ الْقُلُوبُ فَلَمْ تَعُدْ تَتَأَثَّرُ بِالْحِكْمِ وَالنُّذُرِ، وَلَا بِالْعِظَاتِ وَالْعِبَرِ، فَالْحِكْمُ لَا تَقْوَى عَلَى شَفِّهَا، وَالنُّفُوزِ مِنْهَا إِلَى أَعْمَاقِ الْوُجْدَانِ، وَأَنْوَارِ الْفِطْرَةِ قَدْ انْطَفَأَتْ فِيهَا فَلَا يَظْهَرُ شِعَاعُهَا عَلَى إِنْسَانٍ" (١) فكان حالهم مع كتاب الله ﷻ كحال الحمار الذي يحمل أسفاراً، قال ابن القيم في معرض بيانه للطبائع الحيوانية في بعض البشر: " وَمِنْهُمْ مَنْ نَفْسُهُ جِمَارِيَّةٌ لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لِلْكَدِّ وَالْعَلْفِ، كُلَّمَا زِيدَ فِي عَلْفِهِ، زِيدَ فِي كَدِّهِ، أَبْكَمُ الْحَيَوَانَ وَأَقْلَهُ بَصِيرَةً، وَلِهَذَا مَثَلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ مِنْ حَمَلِهِ كِتَابَهُ فَلَمْ يَحْمِلْهُ مَعْرِفَةً وَلَا فَهْمًا وَلَا عَمَلًا... " (٢)

(١) تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ١ / ٢٩٢ .

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - ابن قيم الجوزية - ١ / ٤٠٤ .

المطلب الثاني

إيذاؤهم للنبي ﷺ بتعنتهم معه واتهامه في غايته النبيلة

لم يألُ النبي ﷺ جَهْدًا في محاولة أخذه بيد أهل الكتاب إلى الطريق الصحيح؛ خوفًا عليهم من عقاب الله ﷻ وسخطه، وعذابه، ورفعاً للحجة عليهم، وفي المقابل لم يدَّخر أهل الكتاب وسعاً في إيذاؤه، ومجابهته بكل السبل، ومن ذلك محاولة إخراجهم في السؤال عن الروح، وعن الساعة... فقد كان غرضهم من ذلك التعنت، وإحراج النبي ﷺ، وإزعاجه، وتضليل المسلمين، والباس الحق على الباطل، ومن ذلك أنهم طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بكتاب مخطوط من السماء، مجسماً يلمسونه بأيديهم، حيث قال تعالى عنهم: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ...﴾ [النساء: ١٥٣] ذكر ابن كثير في تفسيره عن مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ، وَالسُّدِّيِّ، وَقَتَادَةَ: " سَأَلَ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ، كَمَا نَزَلَتِ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى مَكْتُوبَةً، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: سَأَلُوهُ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ صُحُفًا مِنَ اللَّهِ مَكْتُوبَةً إِلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ، بِتَصْدِيقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَهَذَا إِنَّمَا قَالُوهُ عَلَى سَبِيلِ التَّعَنُّتِ وَالْعِنَادِ وَالْكَفْرِ وَالْإِلْحَادِ..."^(١)، وقال صاحب التفسير المنير: ومن المعلوم عند المفسرين أن أهل الكتاب قد سألو النبي ﷺ أن يصعد إلى السماء، وهم يرونه، فينزل عليهم كتاباً مكتوباً فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة، كما أتى موسى بالتوراة تعنتاً له ﷺ، فسؤالهم ذلك ليس بنية حسنة، فهو ليس من أجل الإقناع، وطلب الحجة والبرهان بصدق ويقين، وإنما هو من قبيل التعنت والتعجيز والإحراج، قال الحسن البصري: " لو سألوه ذلك استرشاداً؛ لأعطاهم ما سألوهم " ^(٢) لكنهم كانوا يسألون سؤال تعنت، لا سؤال رشد، فلم يسألوا ليعلموا، أو يؤمنوا، ولكن ليتشفوا من داء التكبر، والتعنت المتمكن فيهم؛ ولو أنهم كانوا يؤمنون بآيات الله، لآمنوا بما بين أيديهم من آيات مادية محسوسة، تجابه كل معاند، وتخزي كل متحد؛ ولكنهم لا يريدون إلا العناد، والتناول والسفه ^(٣)، ثم قال تعالى ﴿... فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً...﴾ [النساء: ١٥٣] وفي هذا الردَّ الرياني تسلية للنبي ﷺ، وعرض الأسوة، حيث أن سياق الكلام المذكور يدل على محذوف، تقديره: فلا تُبالِ يا محمد عن سؤالهم،

(١) تفسير القرآن العظيم - ٢/ ٤٤٦، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - ٢/ ١٣١

، بحر العلوم - السمرقندي - ١/ ٣٥٣، الجواهر الحسان في تفسير القرآن - الثعالبي - ٢/ ٣٢٤ .

(٢) التفسير المنير - الزحيلي - ٦/ ١٦ (بتصرف) .

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٣/ ٩٦٠، تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ٣/ ٤٠٧

ومجاوزتهم الحق إلى الباطل، فإنها عادتهم، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ^(١) ، ذكر صاحب الضلال: أَنَّ عناية الله ﷻ في هذا الأمر كانت بإخباره ﷺ صفحة من تاريخهم مع نبي الله موسى ﷺ خلاصتها بأن هذه طبيعتهم، وتلك جِبِلَّتُهُمْ، فهذه الجِبِلَّةُ ليست جديدة عليهم، وليست طابع هذا الجيل وحده منهم، إنما هي جِبِلَّتُهُمْ منذ الأزل، فورثتهم المقلدون لهم راضون بفعلهم، وهو مظهر من مظاهر تكافل الأمة الواحدة حال الرضا بفعل بعض أفرادها؛ فهم من عهد موسى ﷺ أهل تعنت، فلا يسلمون إلا تحت الضغط والقهر...^(٢) ، ثم عاقبهم الله ﷻ على هذا العناد الفاجر حيث قال سبحانه: ﴿... فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ بِظُلْمِهِمْ...﴾ [النساء: ١٥٣] فقد تجلّى لهم في جلال جبروته ونقمته، فالصاعقة: هي العذاب الذي فيه الهلاك، وقوله سبحانه: (بِظُلْمِهِمْ) قال القرطبي: "فَعُوْقِبُوا بِالصَّاعِقَةِ لِعِظَمِ مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ السُّؤَالِ وَالظُّلْمِ بَعْدَ مَا رَأَوْا مِنَ الْمُعْجَزَاتِ... " ^(٣) وليس العقاب بسبب سؤالهم الرؤية، كما قال الزمخشري وأبوحيان ^(٤) ، لأنه لو كان ما أخذهم من العذاب بسبب سؤال الرؤية، لكان موسى ﷺ أولى بذلك؛ حيث قال: ﴿... رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ...﴾ [الأعراف: ١٤٣] فدلّ على أن العذاب إنما أخذهم بتعنتهم وبكفرهم بعد ظهور الآيات لهم أنه رسول الله تعالى إليهم ^(٥) .

وفي ميدان التعنت، وتنويع المراء، تَفَنَّنَ أهل الكتاب في سؤالهم وجدالهم للنبي ﷺ ، ومن أقبح ذلك ما رواه الطبري في تفسيره عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ : " أَنَّهُ قَالَ أَتَى رَهْطٌ مِنْ يَهُودٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟ قَالَ فَعَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَعَ لَوْنُهُ، ثُمَّ سَاوَرَهُمْ غَضَبًا لِرَبِّهِ؛ قَالَ فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَسَكَّنَهُ، فَقَالَ خَفَضَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَاءَهُ مِنْ اللَّهِ بِجَوَابٍ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤] قَالَ فَلَمَّا تَلَاهَا عَلَيْهِمْ قَالُوا: صِفْ لَنَا يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ خَلَقَهُ؟ كَيْفَ ذَرَعَهُ؟

(١) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل - الخازن - ٤٤٣ / ١ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٩٦٠ / ٣ .

(٢) في ضلال القرآن - سيد قطب - ٨٠٠ / ٢ (بتصرف) ، وانظر: زهرة التفاسير - أبو زهرة - ١٩٤٢ / ٤ ، النكت والعيون - الماوردي - ٥٤٠ / ١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - ٦ / ٦ .

(٤) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري - ٥٨٥ / ١ ، البحر المحيط في التفسير - أبو حيان - ١٢١ / ٤ .

(٥) انظر: تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ٤٠٧ / ٣ .

كَيْفَ عَضُدُهُ؟ فَعَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهِ الْأَوَّلِ وَسَاوَرَهُمْ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَجَاءَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِجَوَابٍ مَا سَأَلُوهُ " (١) يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

كما أن من عنادهم، وتعنتهم، وقلوبهم للحقائق؛ أنهم روجوا لأفكار مختلفة ليس لها صلة بالواقع هدفها الطعن في النبي ﷺ ، وتشويه صورة الإسلام في أذهان الناس، وخداعهم؛ ومن ذلك أنهم اتهموا النبي ﷺ في غايته النبيلة؛ وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإرشاد العباد إلى عبادة رب العباد؛ فقد روي عن ابن عباس أنه قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصرانيي يقال له الرئيس: أو ذلك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا؟ أو كما قال: فقال رسول الله ﷺ : (مَعَادُ اللَّهِ أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ، أَوْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي، وَلَا بِذَلِكَ أُمِرَني) ، فأنزل الله تعالى دفاعاً عن نبيه ﷺ وهو أصدق القائلين، فقال سبحانه: ﴿ مَا كَانَ لِيَشْرَ أَنْ يُوتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] (٢) فهذا لا يمكن أن يقع شرعاً، ولا قدرأً، لسبب يسير، وهو أن الله ﷻ أعلم حيث يجعل رسالته، فلا يصح لبشر امتن الله ﷻ عليه بإنزال الكتاب، والهداية إلى الحكمة والصواب في فهم ما أنزل الله ﷻ عليه، وإيتائه النبوة والرسالة، ثم يطلب من الناس أن يعبدوه وحده، أو يعبدوه مع الله ﷻ ، فهذا هو الشرك بعينه، كما أن الله ﷻ إنما يتخير سفراءه، ورسله من صفوة خلقه، ثم يكلمهم ويحملهم بما يفيض عليهم من نفحات رحمته، فإذا هم بعد هذا الأدب الرباني؛ أكمل الناس كمالاً، وأصدقهم

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٣٢٨ / ٢١ ، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ٦٧١ / ٨ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ٣٣٣ / ١٠ ، السيرة النبوية - ابن هشام - ٥٧١ / ١ ، الهداية الى بلوغ النهاية - مكي بن أبي طالب - ٦٣٧٥ / ١٠ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - محمد اليعمرى - ٢٥١ / ١ .

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٥٣٩ / ٦ ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٦٦ / ٢ ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - أ. د. حكمت ياسين - ٤٢٩ / ١ ، العجائب في بيان الأسباب - ابن حجر العسقلاني - ٧٠٥ / ٢ ، لباب النقول - جلال الدين السيوطي - ص ٤٣ ، زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن قيم الجوزية - ٥٥١ / ٣ ، تفسير ابن أبي حاتم - ٦٩٣ / ٢ .

قولاً، وأبعدهم عن مواطن الشبه والريب، بل هم الكمال كله، والصدق جميعه، والفضيلة في تمامها وكمالها... (١) قال الماتريدي: والآية دليل عصمة الرسل والأنبياء عليهم السلام، وخاصة في عصمة رسولنا مُحَمَّد ﷺ (٢) فحاشا جنابه ﷺ أن يأمر أمته بالشرك، بل الذي كان يأمر به النبي ﷺ هو ما يأمره الله بالأمر به، فإن الله أمر في قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] (٣)

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٢ / ٥٠٥ ، التفسير الوسيط - الزحيلي - ١ / ٢٠٧ .
(٢) تأويلات أهل السنة - ٢ / ٤١٤ (بتصرف يسير) .
(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية - علماء نجد الأعلام - ١١ / ٤٧ .

المطلب الثالث

إيذائهم للنبي ﷺ بحسدهم وكبرياتهم وجحودهم الحق الذي جاء به

الحسد هو تمنى زوال النعمة عن الغير، والحسد يذيب النفس ويذهب بفضائلها، ولقد قال الحسن البصري: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد! وإن من يحسد إنما يعادي الله ﷻ ، ويعادي نعمه؛ لأنه كلما أتى الله ﷻ أحداً نعمة نقمها على صاحبها، فكأنما يعادي الله ﷻ الذي أعطاهما، ولقد قال عبد الله بن مسعود: (لا تعادوا نعم الله!! قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)، والحسد من صفات أهل الكتاب المتجذرة؛ فهم يحسدون الناس لا لشيء إلا كراهة أن يوتي الله ﷻ من فضله أحداً غيرهم، فقد قامت الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة لهم على صدق رسالة الرسول ﷺ ، ولكن ذلك لم يزد لهم إلا عناداً، وعداوة، واستكباراً، وحقداً، وحسداً على الرسول ﷺ والذين آمنوا معه، فقد أخبر الله ﷻ عن سبب صد أهل الكتاب وجحودهم، ذلك هو فضل الله على رسوله بأن أرسله خاتماً للأنبياء والمرسلين^(١) فقال تعالى عن حالهم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤] نص المفسرون على أن المراد بالناس في الآية هو: سيدنا محمد ﷺ وعبر عنه بصيغة الجمع تقديراً له، وقيل: أراد محمداً ﷺ وأصحابه^(٢) قال ابن كثير في تفسيرها: يَعْنِي بِذَلِكَ حَسَدَهُمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَا رَزَقَهُ اللَّهُ ﷻ مِنَ النُّبُوَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَمَا مَنَعَهُمْ مِنْ تَصَدِيقِهِمْ إِيَّاهُ إِلَّا حَسَدُهُمْ لَهُ؛ لِكَوْنِهِ مِنَ الْعَرَبِ، وَلَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَدْ كَانُوا يظنون أن الرسول الذي سيبعث سيكون منهم، يتجمعون حوله، ويقاثلون به أعداءهم، فلما بعث الرسول ﷺ من غيرهم جن جنونهم، وطار صوابهم، ووقفوا يعادونه عداوة شديدة، وجعلوا المشركين أقرب منه إلى الله، وقلوا ذلك حسداً منهم له، لقد حسدوه على ما آتاه الله من النبوة، قَالَ مُجَاهِدٌ فِي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ٥٥]، ذكر ابن كثير في تفسير قوله سبحانه: ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ﴾ أي: بِمُحَمَّدٍ ﷺ ، وقوله: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴾ فَالْكَفْرَةُ مِنْهُمْ أَشَدُّ تَكْذِيبًا لَكَ، وَأَبْعَدُ عَمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ، وَالْحَقُّ الْمُبِينُ، وَلِهَذَا قَالَ مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: ﴿ وَكَفَىٰ

(١) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية - سعود بن عبد العزيز الخلف - ص ١٥٤ ، زهرة التفاسير - أبو زهرة - ٤ / ١٧١٨ .

(٢) انظر: معتزك الأقران في إعجاز القرآن - جلال الدين السيوطي - ١ / ١٥٨ ، التحرير والتتوير - ابن عاشور - ٤ / ١٦٩ ، دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي - ص ٤١٥ .

بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا أَي: وَكَفَى بِالنَّارِ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ كُتِبَ اللَّهُ وَرُسُلُهُ (١) كما بَلَغَ حَسَدُ أَهْلِ الْكِتَابِ حَدًّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَذْهَبُونَ إِلَى أَبِي جَهْلٍ وَأُمِّيَّةَ ابْنِ خَلْفٍ وَيَقُولُونَ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَهْدَى مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ سَبِيلًا؛ حَسَدًا ، وَبَغْيًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ (٢)

إنَّ موقف كثير من اليهود والنصارى العدائي للإسلام ونبيه ﷺ ؛ حملهم على مُجَانِبَةِ المنهج المنصف في النظر إلى الأشياء، والمبادئ، والأشخاص المخالفة لهم في المعتقد، وقد كان السلف لا يأخذون بأقوال الأقران بعضهم في بعض - والجميع في دائرة المؤمنين - تحرُّراً من غَلَبَةِ الحسد الذي يُعْمِي عن رؤية سبيل الإنصاف والعدل، فكيف الحال بمن جاء بدين يُصَادِم عقائدهم وَيُسَفِّهُ مذاهبهم؟! (٣) ، وقال الرازي: والحسد لا يحصل إلا عند الفضيلة، فكما كانت فضيلة الإنسان أتم وأكمل؛ كان حسد الحاسدين عليه أعظم، ومعلوم أن النبوة أعظم المناصب في الدين، ثم إنه تعالى أعطاهما لمحمد ﷺ ، وضم إليها أنه جعله كل يوم أقوى دولة، وأعظم شوكة، وأكثر أنصاراً وأعواناً، فلما كانت هذه النعم سبباً لحسد هؤلاء، بيَّن الله ﷻ ما يدفع ذلك الحسد عناية بنبيه المصطفى ﷺ فقال سبحانه: ﴿... فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] والمعنى: أنه حصل في أولاد إبراهيم جماعة كثيرين جمعوا بين النبوة والملك، وأنتم لا تتعجبون من ذلك، ولا تحسدونهم، فلم تتعجبون من حال محمد ﷺ ولم تحسدونه؟؟ (٤) ثم قال سبحانه: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥] فَمِنْ جِنْسِ هَؤُلَاءِ الْحَاسِدِينَ وَأَبَائِهِمْ مَنْ آمَنَ بِمَا أُوتِيَ آلَ إِبْرَاهِيمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَسَعَى فِي صَدِّ النَّاسِ عَنْهُ، وَهُوَ مِنْهُمْ وَمِنْ جِنْسِهِمْ، أَي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ بِكَ يَا مُحَمَّدٌ وَلَسْتَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ فَالْكُفْرَةُ مِنْهُمْ أَشَدَّ تَكْذِيبًا لَكَ، وَأَبْعَدُ عَمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْهُدَى، وَالْحَقُّ الْمُبِينُ، كَمَا أَنَّ فِيهَا تَسْلِيَةً

(١) تفسير القرآن العظيم - ٢ / ٣٣٦ (بتصرف يسير) ، وانظر: القرآن ونقض مطاعن الرهبان - د. صلاح

الخالدي - ١ / ٧٢١ ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - علي الصلابي - ص ٣٥١ ، صراع

مع الملاحدة حتى العظم - عبد الرحمن حَبَنَّة الميواني - ص ٣٧٠ .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٨ / ٤٧٧ (بتصرف يسير) .

(٣) انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال - شمس الدين الذهبي - ١ / ١١١ ، التنصير عبر الخدمات التفاعلية

لشبكة المعلومات العالمية - محمد المجمالي - ص ٢٩٦ .

(٤) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - الرازي - ١٠ / ١٠٤ (بتصرف) ، وانظر: محاسن التأويل - القاسمي - ٣ /

١٧٥ ، روح البيان - إسماعيل الخلوتي - ٢ / ٢٢٣ .

لرسول الله ﷺ وأن ذلك ديدنهم المستمر، وكفى بجهنم سعيراً أي ناراً مسعرة يعذبون بها على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسله (١) .

كما قال تعالى مبيناً حرص كثير منهم على زوال هذه النعمة، التي خص بها المؤمنين تفضلاً وتكرماً، وشرح الله ﷻ صدورهم لها، فقال سبحانه : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ... ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال صاحب التحرير والتنوير: " قَوْلُهُ: مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ جِيءَ فِيهِ بِمِنِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ لِلإِشَارَةِ إِلَى تَأْصُلِ هَذَا الْحَسَدِ فِيهِمْ، وَصُدُورِهِ عَنْ نُفُوسِهِمْ، وَأَكَّدَ ذَلِكَ بِكَلِمَةِ (عِنْدِ) الدَّالَّةِ عَلَى الإِسْتِقْرَارِ، لِيُزَادَ بَيَانُ تَمَكُّنِهِ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِحَسَدًا لَا بِقَوْلِهِ: وَدَّ " (٢) وفي هذه الآية يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنْ حَسَدِ الْيَهُودِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَغْبَتِهِمْ فِي إِضْلَالِهِمْ، وَصَرْفِهِمْ عَنِ الإِيمَانِ، فَقَالَ: إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَحْبَابِ الْيَهُودِ وَرُؤَسَائِهِمْ أَحَبُّوا أَنْ يُوقِعُوكُمْ فِي الضَّلَالَةِ بِالإِقْدَانِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تُشَكِّكُكُمْ فِي دِينِكُمْ، وَتَرُدُّكُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يُضِلُّونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيُفْسِدُونَ فِطْرَتَهُمْ بِإِخْتِيَارِهِمْ، لِأَنَّهُمْ يَشْغَلُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْبَحْثِ عَنْ وَسِيلَةٍ لِإِضْلَالِكُمْ؛ فَيَصْرِفُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ النَّظَرِ فِي طُرُقِ الْهِدَايَةِ، وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ مَكْرَهُمْ مُحِيقٌ بِهِمْ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ سَعْيِهِمْ لَا تَضُرُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَ صَاحِبُ الظَّلَالِ كَلَامًا جَمِيلًا فِي هَذَا السِّيَاقِ: والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس، الذي فاضت به نفوس كثير من أهل الكتاب تجاه الإسلام والمسلمين، وما زالت تفيض، وهو الذي انبعثت منه دسائسهم، وتدبيراتهم كلها، وما تزال، وهو الذي يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود والنصارى لزراعة العقيدة في نفوسهم، وردِّهم بعد ذلك إلى الكفر الذي كانوا فيه (٣) .

وقد روت لنا كتب التفسير والسيرة جانباً مهماً من الوقائع التي تبرز تمكُّن هذه الصفة الخبيثة (الحسد) في قلوب القوم؛ ومن ذلك ما رواه صاحب الدر المنثور، وصححه الحاكم النيسابوري من حديث سلمة بن سلامة بن وقش قال: " كَانَ لَنَا جَارٌ مِنَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا قَبْلَ الْبُعْثَةِ بِرَمَانٍ، فَذَكَرَ الْحَشْرَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَقُلْنَا لَهُ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ، قَالَ خُرُوجُ نَبِيِّ يُبْعَثُ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَشَارَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالُوا مَتَى يَقَعُ ذَلِكَ، قَالَ فَرَمَى بِطَرْفِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَقَالَ إِنْ يَسْتَنْفِدُ هَذَا الْعُلَامُ عُمُرَهُ يُدْرِكُهُ، قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللهُ

(١) محاسن التأويل - القاسمي - ١٧٥ / ٣ (بتصرف يسير) .

(٢) التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٦٧٠ / ١ .

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب - ١٠٢ / ١ (بتصرف يسير) .

رَسُولُهُ ﷺ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَأَمَّا بِهِ، وَكَفَرَ بِهِ بَغِيًّا وَحَسَدًا، فَقُلْنَا وَيْلَكَ يَا فَلَانَ أَلَسْتَ بِالَّذِي قُلْتَ لَنَا قَالَ: بَلَىٰ وَلَيْسَ بِهِ " (١)، وصدق الله العظيم القائل سبحانه: ﴿بَشِّرْهُم بِمَا كَفَرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠] قال ابن كثير في تفسيره: " مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ كُفْرَ الْيَهُودِ عِتَادٌ وَجُحُودٌ وَمُبَاهَاةٌ لِحَقِّ، وَعَمَطٌ لِلنَّاسِ وَتَنْقِصٌ بِحَمَلَةِ الْعِلْمِ" (٢)، وقد ذكر صاحب الظلال: أن هذه الطبيعة التي تبدو هنا في يهود هي الطبيعة الكنود، طبيعة الأثرة الضيقة التي تحيا في نطاق من التعصب الشديد، وتشعر أن كل خير يصيب سواها كأنما هو مقتطع منها، ولا تشعر بالرابطة الإنسانية الكبرى، التي تربط البشرية جميعاً.. وهكذا عاش اليهود في عزلة، يشعرون أنهم فرع مقطوع من شجرة الحياة، ويتربصون بالبشرية الدوائر، ويكونون للناس البغضاء، ويعانون عذاب الأحقاد والضغائن، ويذيقون البشرية رجوع هذه الأحقاد فتناً يوقدونها بين بعض الشعوب وبعض، وحروراً يثيرونها ليجروا من ورائها المغانم، ويروون بها أحقادهم التي لا تنطفئ، وهلاكاً يسلطونه على الناس، ويسلطه عليهم الناس.. وهذا الشر كله إنما نشأ من تلك الأثرة البغيضة حيث وصفها سبحانه: (بَغِيًّا.. أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) .. (٣)

وقد توالى الأحداث مبيّنة أن القوم مصرّين على غيهم وبغيهم وحسدكم، بل إنهم يشهدون على ذلك بأنفسهم، فقد ذكّر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، قال: " حَدَّثْتُ ... عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ، أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أَحَبَّ وَوَلَدِ أَبِي إِلَيْهِ، وَإِلَى عَمِّي أَبِي يَاسِرٍ، لَمْ أَلْقَهُمَا قَطُّ مَعَ وَوَلَدِ لَهْمَا إِلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ، قَالَتْ: فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ فُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَعَمِّي أَبُو يَاسِرٍ بْنِ أَخْطَبَ، مُغْلَسِينَ (٤)، قَالَتْ: فَلَمْ يَرْجِعَا حَتَّىٰ كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، قَالَتْ: فَأَتَيْتَا كَالْتَيْنِ كَسَلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْتَشِيَانِ الْهَوِيَّ، قَالَتْ: فَهَشِشْتُ

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ٢١٧ / ١ ، وانظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٣٢٧ / ١ ، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - أ. د. حكمت بن بشير - ١٩٦ / ١ ، الشريعة - الأجرى - ١٤٥٥ / ٣ ، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب - عبد العزيز آل معمر - ١ / ٢٩٦ ، المستدرک على الصحيحين - الحاكم النيسابوري - ٤٧١ / ٣ ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - ابن تيمية - ١٧٢ / ٥ ، تلبیس إبلیس - ابن جوزی - ص ٦٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم - ١٦٦ / ٣ .

(٣) في ظلال القرآن - سيد قطب - ٩٠ / ١ (بتصرف يسير) .

(٤) الغلّس: بفتح اللام آخر الليل (انظر: لسان العرب - ابن منظور - ١٥٦ / ٦ ، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم - أبو عبد الله بن أبي نصر - ص ٢٠٥) .

إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَوَاللَّهِ مَا التفتَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْعَمِّ، قَالَتْ: وَسَمِعْتُ
عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي، حُيَّيْ بِنِ أخطَبَ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ: قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُنَبِّئُهُ؟
قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قَالَ: عداوتهُ والله ما بَقِيْتُ " (١) .

(١) السيرة النبوية - ابن هشام - ١١٩ / ٢ ، وانظر: دلائل النبوة - أبو نعيم الأصبهاني - ص ٧٨ ، إنسان
العيون في سيرة الأمين المأمون - ابن برهان الدين - ١٤٤ / ٢ ، الرحيق المختوم - المباركفوري - ص
١٦٤ ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى - أبو الحسن السمهودي - ٢٠٩ / ١ ، إمتاع الأسماع بما للنبي
من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع - المقرئزي - ٣٥٢ / ٣ ، بنو إسرائيل في ضوء الإسلام - محمد أمين
- ص ٨١ .

المطلب الرابع

إيادوهم للنبي ﷺ بالتعالي عليه وادعائهم الخصوصية والأفضلية على أمته

عندما يظهر الانهزام على شخص ما، أو جماعة، أو دولة ما يبحث عن مبرر لإثبات وجوده، في محاولة إقناع الآخرين من خلال ذلك المبرر الذي اختاره، خوفاً على سقوط مكانته الاجتماعية، وإصراراً منه على عدم تطويع نفسه على قبول الحق، والانقياد له حسداً وكبراً، وهذا ما وقع فيه أهل الكتاب من اليهود والنصارى لما رأوا محمداً ﷺ ينشر دعوته بوضوح وبرهان قاطع، ورأوا إقبال الناس والوفود عليه مستسلمين طائعين؛ بدأوا ينشرون التغيرير الكاذب في صفوف الناس، ويدعون الأمانى الكاذبة، فمن ذلك ما زعموه بأفضليتهم على الأمم، وأنهم وحدهم على الحق، وأنه لن يدخل الجنة سواهم^(١)، حيث قال سبحانه حاكياً عن زعمهم الباطل: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

وهذا موقف آخر من مواقف أهل الكتاب - اليهود والنصارى - إزاء المسلمين، فاليهود يقولون: لا يدخل الجنة إلا من كان على اليهودية، والنصارى يقولون: لا يدخل الجنة إلا من كان على النصرانية.. فكل فريق منهما يرى أن دينه الذي يدين به هو الحق، ولا دين حق غيره! .. وتلك أمانى وأحلام، فقد ردَّ الله تعالى عليهم بأن تلك الأشياء إنما يتمنونها على الله ﷻ بغير وجه حق، وليس لهم دليل ولا حجة على ما يقولون، حيث لقن الله ﷻ رسوله ﷺ أن يجابهم بالتحدي، وأن يطالبهم بالدليل: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وهكذا اختصر القرآن الكلام أبلغ اختصار، وأوجزه مع أمن اللبس، ووضوح المعنى، فطالبهم الله ﷻ بالبرهان على صحة الدعوى؛ فإن كان لدعواهم هذه أساس فليأتوا ببرهان عليها، فكل صاحب دعوى يطالب بدليل وبرهان، وإلا لا عبرة لدعواه، وبما أنهم لا يستطيعون إقامة الدليل على دعواهم هذه فأضحوا كاذبين، والله ﷻ إذا دفع باطلاً أقام الحق مقامه؛ فقال سبحانه بعدها: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢] كلمة (بلى) للإضراب: أي: الانتقال عن الشيء إلى آخر ضده، بلى يعني: كلامكم هذا غير صحيح، وهنا يقرر سبحانه قاعدة من قواعد التصور الإسلامي في ترتيب الجزاء على العمل بلا محاباة لأمة، أو لطائفة، أو لفرد؛ إنما هو الإسلام

(١) انظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه - أحمد بن عبد الله الزهراني - ص ٨٦ .

والإحسان، لا الاسم والعنوان ^(١) فلا يكون ولياً لله إلا من آمن بالرسول وبما جاء به واتبعه باطناً وظاهراً، وَمَنْ ادَّعَى محبة الله ﷻ وولايته، وهو لم يتبعه، فليس من أولياء الله؛ بل مَنْ خالفه كان من أعداء الله ﷻ وأولياء الشيطان .

كما أن من أباطيلهم التي زعموها في خداعهم للناس، أنهم زعموا أن طريق الهداية والحق مقتصرة عليهم فقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥] ذكر ابن عباس رضي الله عنه: نَزَلَتْ فِي رُؤْسَاءِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ: كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ وَوَهْبِ بْنِ يَهُودَا وَأَبِي يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ، وَفِي نَصَارَى نَجْرَانَ السَّيِّدِ وَالْعَاقِبِ وَأَصْحَابِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَاصَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّينِ، كُلُّ فِرْقَةٍ تَزْعُمُ أَنَّهَا أَحَقُّ بِدِينِ اللَّهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: نَبِيُّنَا مُوسَى أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِتَابُنَا التَّوْرَةُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ، وَدِينُنَا أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ، وَكَفَرَتْ بَعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى نَبِيُّنَا عِيسَى أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِتَابُنَا الْإِنْجِيلُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ، وَدِينُنَا أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ، وَكَفَرَتْ بِمُوسَى وَالتَّوْرَةَ وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ وَالْقُرْآنِ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِلْمُؤْمِنِينَ كُونُوا عَلَيَّ دِينِنَا، فَلَا دِينَ إِلَّا ذَلِكَ، فَقَالَ تَعَالَى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، بَلْ تَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً أَنَّهُ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا الْأَعُورُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَا الْهُدَى إِلَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ فَاتَّبِعْنَا يَا مُحَمَّدُ تَهْتَدُ وَقَالَتِ النَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا } فَاحْتَجَّ اللَّهُ ﷻ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أْبْلَغَ حُجَّةً، وَأَوْجَزَهَا وَأَكْمَلَهَا، وَعَلِمَهَا نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ لِلْقَائِلِينَ لَكَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَأَصْحَابِكَ: (كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا)؛ بَلْ تَعَالَوْا تَتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي يَجْمَعُ جَمِيعُنَا عَلَى الشَّهَادَةِ لَهَا بِأَنَّهَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ وَاجْتَبَاهُ ^(٢) قَالَ الْقَاسِمِيُّ فِي تَفْسِيرِهَا أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَأْمُرُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: بَلْ نَرْجِعُ جَمِيعاً، نَحْنُ وَأَنْتُمْ، إِلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، أَبِينَا وَأَبِيكُمْ، وَأَصْلُ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَصَاحِبُ الْعَهْدِ مَعَ رَبِّهِ (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بَيْنَمَا أَنْتُمْ تَشْرِكُونَ!! وَهَكَذَا فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ قُلْ لِهَوْلَاءِ الَّذِينَ

(١) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ١/ ١٠٣ ، لوامع الأنوار البهية - شمس الدين السفاريني - ٢/ ٢٢٦ ، بدائع الفوائد - ابن قيم الجوزية - ٤/ ١٥١ .

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٣/ ١٠٢ ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ١/ ٤٤٨ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ١/ ٢٨٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ١/ ١٧١ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ١/ ٣٣٧ ، محاسن التأويل - القاسمي - ١/ ٤٠٦ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١/ ١٤٥ ، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢/ ١٣٩ .

انحرفوا عن الجادة إلى الضلال؛ بل نتبع ملة إبراهيم عليه السلام ، ونستن بسنته، لا نُحوّل عنها كما تحولتم حنيفاً أي مستقيماً أو مائلاً عن الباطل إلى الحق، فلما خالف المشركون هذا الأصل العظيم بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين لدعوة الناس جميعاً إلى هذا الأصل ^(١) كما قال لهم سبحانه في موضع آخر على سبيل التقرّيع عليهم، وإظهار كذبهم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة، ٦، ٧] ، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة، ٩٤، ٩٥]. أي إن صدق قولكم، وصحّت دعواكم أنّ الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً، وأنكم أولياء الله صلى الله عليه وسلم ، وشعبه المختار، وأن النار لن تمسكم إلا أياما معدودات، فتمنّوا الموت الذي يوصلكم إلى ذلك النعيم الخالص الدائم الذي لا ينازعكم فيه أحد، إذ لا يرغب الإنسان عن السعادة؛ ويختار الشقاء، ولأنّ من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة في الدنيا، لما يصير إليه من نسيم الجنة، ويزول عنه من نصّب الدنيا، ثم ذمّه على عدم تمنّيهم للموت بسبب سيئاتهم، وعلى حرصهم على طول الحياة في الدنيا ^(٢) ، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، لَمَاتُوا، وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ) ^(٣) قال ابن القيم رحمه الله: " وهذه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم أعجز بها اليهود، ودعاهم إلى تمني الموت، وأخبر أنهم لا يتمنونه أبداً، وهذا علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يمكن الاطلاع على بواطنهم إلا بإخبار عالم الغيب، ولن ينطق الله ألسنتهم بتمنيه أبداً " ^(٤)

كذلك كان من كذبهم، ومرائهم؛ دعواهم أنهم أبناء الله ، وأحباؤه، وأولياؤه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ...﴾ [المائدة: ١٨] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود، فكلّموه وكلمهم، وودّعاهم إلى الله صلى الله عليه وسلم

(١) محاسن التأويل - القاسمي - ٤٠٧ / ١ (بتصرف يسير) .

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ٨٩ / ١ ، روائع التفسير - ابن رجب الحنبلي - ١ / ٥٧٤ .

(٣) مسند الإمام أحمد - مُسْنَدُ أَهْلِ النَّبِيِّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - ٩٩ / ٤ - رقم ٢٢٢٦ ، حكم عليه المحقق شعيب الأرنؤوط بأنه صحيح ، وانظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ١ / ٢٢٠ ، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع - المقرئ - ٩٢ / ١٤ .

(٤) تفسير القرآن الكريم - ص ١٣٩ .

وَحَدَّرَهُمْ نَفْسَتَهُ، فَقَالُوا: مَا تَخَوَّفْنَا يَا مُحَمَّدُ! نَحْنُ وَاللَّهِ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، كَقَوْلِ النَّصَارَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ الْآيَةَ (١) ذكر القاسمي أنهم قصدوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنَا كَالْأَبِّ فِي الْحُنُوِّ وَالْعَطْفِ، وَنَحْنُ كَالْأَبْنَاءِ لَهُ فِي الْقُرْبِ وَالْمُنْزِلَةِ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: إِنَّ الْيَهُودَ وَجَدُوا فِي التَّوْرَةِ يَا أَبْنَاءَ أَحْبَارِي، فَبَدَّلُوا يَا أَبْنَاءَ أَبْكَارِي، فَمِنْ ذَلِكَ قَالُوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ؛ فَحَنَ مِنْ اللَّهِ بِمَنْزِلَةِ الْأَبْنَاءِ مِنَ الْآبَاءِ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَنَحْنُ أَحْبَاؤُهُ لِأَنَّنا عَلَى دِينِهِ (٢) وَالْحَقُّ أَنَّهُمْ مَا كَانُوا إِلَّا أَبْنَاءَ لِأَهْوَانِهِمْ، وَإِلَّا أَحْبَاءَ لِشَهَوَاتِهِمْ، أَمَا اللَّهُ ﷻ الَّذِينَ يَدْعُونَ عَلَيْهِ هَذِهِ الدَّعْوَى، فَهِيَ أَعْدَاؤُهُ وَحَرْبٌ عَلَيْهِ؛ فَالْيَهُودُ قَدْ بَدَّلُوا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَحَرْفُوهُ، وَأَدَّوْا رِسْلَهُ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُ؛ فَكَيْفَ تَسْتَقِيمُ مَعَ هَذَا دَعْوَاهُمْ بِأَنَّهُمْ أَبْنَاؤُهُ وَأَحْبَاؤُهُ؟ وَالنَّصَارَى قَدْ أَلْبَسُوا اللَّهَ ﷻ هَذَا الثَّوبَ الْبَشَرِيَّ، وَدَارُوا بِهِ فِي الْأَرْضِ دَوْرَةَ قَاسِيَةٍ، يَتَلَقَّى بِهَا اللَّطَمَاتِ وَاللَّعْنَاتِ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِهِ الْأَمْرُ مُعَلَّقًا عَلَى خَشْبَةٍ بَيْنَ لَصِيْنٍ! وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْإِدْعَاءَ الْكَاذِبَ، وَسَلَكَهُمْ جَمِيعًا - الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى - مَسْلَكًا وَاحِدًا، إِذْ كَانَ طَرِيقُهُمْ عَلَى الضَّلَالِ وَاحِدًا.. فَقَالَ تَعَالَى نَاقِضًا هَذَا الزَّعْمَ بِقَوْلِهِ: (فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ؟) يُرِيدُ إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاؤُهُ وَأَحِبَّاءُهُ فَإِنَّ الْأَبَّ لَا يُعَذِّبُ وَلَدَهُ، وَالْحَبِيبَ لَا يَهِينُ كِرَامَةَ حَبِيبِهِ بِالْتَّعْذِيبِ، وَأَنْتُمْ مُؤْرُونَ أَنَّهُ مُعَذِّبُكُمْ؟ وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمْتُمْ لَمَا صَدَرَ عَنْكُمْ مَا صَدَرَ، وَلَمَا وَقَعَ عَلَيْكُمْ مَا وَقَعَ، وَقِيلَ: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ أَيُّ: لِمَ عَذَّبَ مَنْ قَبْلَكُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَمَسَخَهُمْ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ؟ وَهَكَذَا فَقَدْ جَعَلَ سُبْحَانَهُ عُقُوبَتَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَحْضَارَهُمْ لِلْعَذَابِ مُبْطِلًا لِدَعْوَاهُمْ الْكَاذِبَةَ، وَهَذَا النَّقْدِيُّ فِي الْآيَةِ أَبْلَغَ فِي إِبْطَالِ قَوْلِهِمْ (٣) قَالَ السَّمْرَقَنْدِيُّ فِي تَفْسِيرِهَا كَلَامًا جَمِيلًا وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَلِيلٌ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدَهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ، وَلَا يُعَذِّبُهُ بِذُنُوبِهِ، حَيْثُ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ أَحْبَاءَ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: ٢٢٢] فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُ التَّوَّابِينَ بِذُنُوبِهِمْ.. (٤)

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٦٩ / ٣ ، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٢٠ / ٦ ، فتح

القدير - الشوكاني - ٣٠ / ٢ ، التفسير الوسيط - الزحيلي - ٤٤٥ / ١ ، لباب التأويل في معاني التنزيل -

الخازن - ٢٥ / ٢ ، التفسير الحديث - محمد عزت دروزة - ٨٤ / ٩ .

(٢) محاسن التأويل - ٩٤ / ٤ (بتصرف) ، وانظر: الفوز الكبير في أصول التفسير - ولي الله الدهلوي - ص ٥٥ .

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم - ابن القيم - ص ٥١٣ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١ /

١٣١ ، مباحث العقيدة في سورة الزمر - ناصر الشيخ - ص ١٠٠ ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٣ /

٦٩ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٣٣ / ٣ .

(٤) بحر العلوم - ٣٧٩ / ١ (بتصرف) .

ثم بين القرآن أنهم كسائر البشر، وأنهم محاسبون ومجزيون بالإحسان وإحساناً، والإساءة عقاباً، وأنهم خاضعون لمشيئة الله النافذة، فقال سبحانه: ﴿... بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨] أي أن صلة الله تعالى بكم هي صلته بخلقه، وأنتم بعض منهم، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، ففي هذه الآية يقرر سبحانه الحقيقة الحاسمة في عقيدة الإيمان، ويقرر عدل الله ﷻ، وقيام المغفرة والعذاب عنده على أصلها الواحد، فلا يحابي أحداً، وإنما يغفر لمن يعلم أنه مستحق للمغفرة، ويعذب من يعلم أنه مستحق للعذاب، فهو يجزيكم بأعمالكم، كما يجزي سائر البشر أمثالكم، فارجعوا عن غروركم بأنفسكم وسلفكم وكتبكم؛ فإنما العبرة بالإيمان الصحيح والأعمال الصالحة، لا بمن سلف من الآباء والأمهات، وله سبحانه بحق الملوك أن يفعل ما يشاء، ولا معقب لحكمه، وإليه مصير العباد بالحشر والمعاد (١).

وهكذا فلا ترى موضعاً، أو زعماً يدعي فيه أهل الكتاب أنهم أولى من النبي ﷺ وأتباعه عند الله ﷻ وأنهم أحبواؤه وأولياؤه من دونه، إلا تكفل الله تعالى بنقضه، وإظهار كذبهم، واقتراءاتهم، فتجد هنا في هذا القول الذي كان يصدر عن اليهود والنصارى؛ كان يصدر في معرض التبرج بأنهم على هدى من الله ﷻ، وبأنهم مستغنون عن دعوة النبي ﷺ وهُذاه، استعلاء عليه، مع ادعائهم الأفضلية دونه، فرد سبحانه عليهم ردّاً قوياً مفحماً، بأنهم ليسوا إلا أناساً كسائر الناس فيهم قابلية الهدى والضلال، والصالح والخطأ... (٢)

ومن خلال ما سبق تجلت عناية الله ﷻ بنبيه المصطفى ﷺ في كشف الله سبحانه لتلك الهالة التي أحاط بها اليهود والنصارى أنفسهم، بأنهم أكثر الناس فهماً وإدراكاً، وأنهم أبناء الله وأحبواؤه وأولياؤه، وأوضح سبحانه أنهم لم يرقوا إلى منزلة الرضا عند الله ﷻ، لما ظلموا، وطمغوا وبيغوا، وناصروا رسل الله العدا، وكانوا في مجابهة الحق دوماً، بل انحطوا بسبب انحرافاتهم إلى أن يكونوا في الدرك الأسفل من غضب الله ﷻ وعقابه حيث قال سبحانه: ﴿... فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠] أما المؤهلون لمنزلة الرضا عند الله ﷻ فهم أتباع حبيبه

(١) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن - الثعالبي - ٢ / ٣٦٦ ، تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ٦ / ٢٦٠ ، تفسير المراغي - ٦ / ٨٥ ، في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢ / ٨٦٧ ، زهرة التفاسير - أبو زهرة - ٤ / ٢١٠٠ .

(٢) انظر: التفسير الحديث - محمد عزت دروزة - ٩ / ٨٥ .

المصطفى ﷺ الذين يتبعونه فلا يحدون، ولا يظلمون، حيث تكون أفعالهم صورة صادقة لأقوالهم، لا كما فعل اليهود والنصارى إذ كانوا على تناقض واضح بين دعواتهم الإيمان، وبين سلوكهم المخزي في الماضي والحاضر كما كشفت عن ذلك آيات الكتاب الكريم، ونصوص السنة النبوية...

المبحث الثاني

إيذاء أهل الكتاب العملي للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به

ويحتوي على خمسة مطالب:

المطلب الأول: إيذاؤهم للنبي ﷺ بإثارتهم الفتنة بين المسلمين، وتجروؤهم على نساء المؤمنين

المطلب الثاني: إيذاؤهم للنبي ﷺ بمحاولة قتله، والغدر به

المطلب الثالث: إيذاؤهم للنبي ﷺ بتأليبهم للناس ضده ، وخيانتهم ونكثهم لعهودهم معه

المطلب الرابع: إيذاؤهم للنبي ﷺ باستهزائهم به وبالموحدين معه

المطلب الخامس: إيذاؤهم للنبي ﷺ بالتشكيك في نبوته، ودخولهم في الإسلام ثم الارتداد عنه

لقد رد الله ﷻ عن النبي ﷺ والموحدين معه أذى أهل الكتاب القولي، فباعت أساليبهم القولية، وجدالهم، بالفشل، وعجزوا أن يقفوا في وجه دعوة النبي ﷺ من خلال هذه الافتراءات فعمدوا إلى أسلوب جديد، يُنم عن حقدهم الأسود على الإسلام، ونبيه ﷺ ، ورفضهم لكل حق أو هدى أو علم، ذلك أن قلوبهم كما وصفوها كانت غلفاً ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥] وفي آذانهم وقر (١) ، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥] وفي نفوسهم مرض، فقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] وعلى أبصارهم غشاوة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجنائفة: ٢٣] فهم على يقين أن دين النبي ﷺ هو الحق، ولكنه الكبر والعناد، فبعد أن فشلت ألوان الأذى القولي للنبي ﷺ ، بدأوا بحياكة مواقف عملية مع النبي ﷺ ، سنتطرق إلى بعضها في دراسة هذا المبحث، إن شاء الله تعالى...

(١) الوقر: هو ثقل في الأذن، أو هو ذهاب السمع كله، والنقل أخف من ذلك، ويقال منه: وقرت أذنه توقر وقرًا (انظر: مقاييس اللغة - ابن فارس - ٦ / ١٣٢) .

المطلب الأول

إيذاؤهم للنبي ﷺ بإثارتهم الفتنة بين المسلمين، وتجروهم على نساء المؤمنين

لقد حرص الإسلام في عهده الأول على وحدة الصف، واجتماع الكلمة، وتحقيق الألفة، وإشاعة المحبة، والسبيل التي وحد الله بها الأمة هو اتحاد دستورها، واعتصامها بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، إذ ليس أسوأ من تفرق الأمة، وتمزق صفوفها، وانقسامها فرقاً وأحزاباً، وقد استغل ذلك أهل الكتاب وبالأخص (اليهود) في حربهم على النبي ﷺ، وعلى الإسلام؛ فحاولوا جاهدين تمزيق الصف المسلم وتخريبه، بنقطيع أوامر المحبة والمودة بين المسلمين، وذلك من خلال إثارة الفتن الداخلية، والشعارات الجاهلية، والنعرات القومية والقبلية، وفك الرباط القوي الذي صنعه النبي ﷺ بين المسلمين بالسعي بالدسيسة والوقية بين الإخوة المتآلفين؛ وشواهد التاريخ والواقع شاهدان على ذلك؛ فقد ذكرت التفاسير، وكتب السير نموذجاً مما كان يفعله اليهود في عهد النبي ﷺ، في محاولتهم لإقامة العراقيل في وجه النبي ﷺ، وفي طريق دعوته إلى الله ﷻ، ومن تلك المواقف ما كان من يهود بني قينقاع حين هالهم توحد المسلمين من الأوس والخزرج في إطار الإسلام، وصلاحيات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية، فأكل الغيظ قلوبهم، ونهش الحسد عقولهم، وأعمى الغل أبصارهم، وهم يشاهدون المدينة تجتمع بعد فرقة، وتتحد بعد اختلاف، وتتحاب بعد كراهية؛ فحاولوا الإيقاع بينهم ليعودوا إلى جاهليتهم، فتعود الحروب بينهم كما كانت، ويخسر النبي ﷺ بذلك أقوى أنصاره، وتؤول السيادة لهم مرة أخرى، فقد ذكر الطبري في تفسيره أن زيد بن أسلم قال: " مرَّ شاسُ بنُ قيسٍ، وكانَ شيخاً قد عسا (١) عظيم الكُفر، شديد الضَّغْنِ على المُسلمين، شديد الحسدِ لهم، على نَفيرٍ من الأوسِ والخزرجِ في مجلسٍ قد جمَعهم يَنحدُّونَ فيه، فعَاطَهُ ما رَأى من الفُتْنةِ وجماعَتِهِم، وصَلاحِ ذَاتِ بَيْنِهِم على الإسلامِ بعدَ الَّذي كانَ بَيْنَهُم من العداوةِ في الجاهليَّةِ، فقالَ: قد اجتمعَ ما لبَّي قِيلةٌ (٢) بهذِهِ البلادِ، لا واللهِ ما لنا مَعَهُم إذا اجتمعَ ملوهُمُ بها من قَرارٍ، فأمرَ فتى شاباً مَعَهُ من يهودٍ، فقالَ: اعمدْ إليهم فاجلسْ مَعَهُم، ثمَّ ذكَّرتهم يومَ بُعَاثٍ، وما كانَ قبْلَهُ، وأنشدَهُم بعضَ ما كانوا تَقاولُوا فيه من الأشعارِ، وكانَ يومَ بُعَاثٍ يومَ افْتتلتَ فيه الأوسُ والخزرجُ، فكانَ الظفرُ فيه للأوسِ على الخزرجِ، ففعلَ؛ فتكلَّم القومُ عندَ ذلكَ، وتنازعوا،

(١) عسا الشيخ يعسو عسيًا: ولَّى وكبر (انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - أبو نصر الفارابي - ٦ / ٢٤٢٥).

(٢) بنو قيلة: هم الأنصار من الأوس والخزرج، وقيلة: اسم أم لهم قديمة، هي قيلة بنت كاهل، سموها بها (انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - ٧ / ٢٤٣).

وَتَقَاخَرُوا حَتَّى تَوَاتَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيِّينَ عَلَى الرَّكْبِ: أَوْسُ بْنُ قَيْظِيٍّ، أَحَدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ أَبِي
أَسَامَةَ بْنِ الْحَارِثِ مِنَ الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَتَقَاوَلَا، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا
لِصَاحِبِهِ: إِنَّ شِئْتُمْ وَاللَّهِ زِدْنَاهَا الْآنَ جِدْعَةً ^(١) وَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا السَّلَاحَ،
السَّلَاحَ مَوْعِدُكُمْ الظَّاهِرَةَ ^(٢)، وَالظَّاهِرَةَ الْحَرَّةَ، فَخَرَجُوا إِلَيْهَا، وَانضَمَّتِ الْأَوْسُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ،
وَالْخَزْرَجُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى كَلِمَةٍ، قَالَهَا الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُ، اللَّهُ؛
بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ إِذْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ
الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْعَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَهُمْ، فَأَلْفَوْا
السَّلَاحَ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَبَكَوْا، وَعَانَقَ الرَّجَالُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، ثُمَّ انصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَاسٍ ^(٣) وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ، فِي شَأْنِ شَاسِ
بَنِي قَيْسٍ، وَمَا صَنَعَ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ * قُلْ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُوتًا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. [آل
عمران ٩٨، ٩٩]. قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: " مَا كَانَ مِنْ طَالِعِ أَكْرَهَةِ الْإِنْيَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمًا إِلَيْنَا
بِيَدِهِ، فَكَفَفْنَا وَأَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى مَا بَيْنَنَا، فَمَا كَانَ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَمَا رَأَيْتُ
قَطُّ يَوْمًا أَقْبَحَ، وَلَا أَوْحَشَ أَوْلَا، وَأَحْسَنَ آخِرًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ " ^(٤) وهكذا فقد تبين من هذه المحاولة
الآثمة مدى حقد أهل الكتاب على الإسلام؛ فإنه لولا عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ في إزالة هذه الفتنة،
بتنقية قلوب المسلمين؛ لكان من وراء هذه الفتنة شر كثير، وبلاء مستطير..

- (١) جذعة: من الجذع، وفلان في هذا الأمر جَدَعٌ؛ إذا أخذ فيه حديثاً، الدهر يسمّى جَدَعًا لأنه جديد وإذا طَفَنَتِ
الحرْبُ من القوم يقال: إن شِئْتُمْ أَعْدَانَهَا جَدَعَةً، أي أول ما يُبْتَدَأُ بها، أي تعالوا نعيدها من جديد (انظر:
أساس البلاغة - الزمخشري - ١/ ١٢٨، كتاب العين - الخليل الفراهيدي - ١/ ٢٢١).
- (٢) أي اليوم نصف النهار (انظر: تهذيب اللغة - الزمخشري - ٦/ ١٣٦).
- (٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٥/ ٦٢٩، وانظر: تفسير ابن المنذر - ١/ ٣١١، الدر
المنثور في التفسير بالمأثور - السيوطي - ٢/ ٢٧٨، اللباب في علوم الكتاب - سراج الدين الدمشقي - ٥/
٤٢٥، أسباب النزول - أبو الحسن الواحدي - ١٣/ ٦، السيرة النبوية - ابن هشام - ١/ ٥٥٥، الروض
الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام - السهيلي - ٤/ ٢٥١، نهاية الأرب في فنون الأدب - أحمد بن
عبد الوهاب - ١٦/ ٣٧٨، كواشف زیوف - عبد الرحمن حَبَنَكَةَ الميداني - ص ٢٧٥.
- (٤) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٤/ ١٥٥، وانظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان - النيسابوري - ٢/
٢٢١، الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ٣/ ١٥٩، التفسير المنير - الزحيلي - ٤/ ٢٢.

قال المراغي: وقد ختم الله ﷺ هذه الآية بنفي الغفلة عنه سبحانه، لأن صدهم عن الإسلام كان بضرب من المكر، والكيد، ووجوه الحيل، وختم الآية السابقة بقوله والله شهيد لأن العمل الذي فيها وهو الكفر ظاهر مشهود؛ فالآية الأولى لكفهم عن الضلال، والثانية لكفهم عن الإضلال... (١)

كما أنزل الله في الأنصار من الأوس والخزرج: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠] أخبرنا الله ﷻ أَنَّ طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداءً معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أُنشئت الأمة المسلمة، كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله ﷻ لقيادة الحياة، وتنظيمها، والسير بها صُعُداً في طريق النماء والارتقاء، وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس، وهي لا تشعر به، ولا ترى خطره القريب.. لذلك كشف الله ﷻ أولئك الذين كفروا من أهل الكتاب، وما يبيتون للمؤمنين من مكائد، ودسائس، وفتن، ليفسدوا عليهم دينهم؛ دعا الله ﷻ المؤمنين إلى أن يأخذوا حذرهم من هؤلاء الضالين، المضللين من أهل الكتاب، فقوله سبحانه: (إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ) أي إن استمتم إلى ما يلقيه بعض أهل الكتاب بينكم من دسائس ولتئم لهم، لا يكتفون بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم كما في الجاهلية، بل يتجاوزون ذلك إلى محاولتهم إعادتكم إلى وثنيتم القديمة وكفركم بالله بعد إيمانكم؛ فإنهم يحسنون وسائل التضليل والخداع، بما لهم من علم، ثم قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١] وفي هذه تنبيه للمؤمنين وتحذير لهم، وتسفيه لمن تسول له نفسه منهم أن يستجيب لدعوة هؤلاء الضالين، ويعطيهم منه أذناً واعية؛ فيا له من منكر أن يكفر الذين آمنوا بعد إيمانهم؛ إذ كيف ينفذ هذا الضلال إلى قلب مؤمن، وهو يستمع إلى آيات الله ﷻ تتلى عليه، وهي روح الهداية، وجماع الخير، تتلى غضة ندية، وبين أظهركم رسول الله إمام المرسلين، ورسول المحبة والخير والألفة والرشاد، فهل يليق بمن أوتوا هذا أن يتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل؟ (٢)

(١) تفسير المراغي - ٤/ ١٣ (بتصرف) ، وانظر: التفسير المنير - الزحيلي - ٤/ ٢٣ .

(٢) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٢/ ٥٣٨ ، في ظلال القرآن - سيد قطب - ١/ ٤٣٨ ، العصبية المؤمنة بين عناية الرحمن ومكر الشيطان - الشحود - ص ٨ ، نداءات الرحمن لأهل الإيمان - أبو بكر الجزائري - ص ٣٣ ، مَفْرُقُ الطَّرِيقِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - الشحود - ص ٩٢ .

كما ذكر الله ﷺ عن توليه سبحانه إبطال كيدهم، وتبدير مؤامراتهم، فكلما أشعلوا ناراً للحرب خذلهم الله ﷻ في مسعاهم، وارتد كيدهم على أنفسهم، فغلبوا وفُهِروا، حيث قال سبحانه: ﴿... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]

ذكر الطبري عن قتادة ؓ في تفسيره للآية أنه قال: " أولئك أعداء الله اليهود، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، فلن تلقى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذل أهله " (١) فالنار التي يوقدها اليهود هنا، هي كيدهم لدين الله ﷻ ، ولرسول الله ﷺ ، فينزل من آيات القرآن الكريم على النبي ﷺ ، ما يبطل تدبيرهم، ويتبر ما كانوا يعملون، وقال البغوي: " كُلَّمَا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ لِيُفْسِدُوا أَمْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَوْقَدُوا نَارَ الْمُحَارَبَةِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، فَرَدَّهُمْ وَقَهَرَهُمْ وَنَصَرَ نَبِيَّهُ وَدِينَهُ.. " (٢) وقد ذكر الله ﷻ مثل إيقاد النار للدلالة على اجتهادهم في المحاربة، وفي قوله تعالى: (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) تأبيد لهذه اللعنة التي لا ترفع عن الملعونين أبداً، حتى بعد موتهم، فتصحبهم إلى قبورهم؛ وتبعث معهم يوم يبعثون (٣)

وفي الآيات السابقة كثير من الدروس، والعظات والعبر ما ينبغي للمسلمين أن يقفوا عنده، ويتأملوه طويلاً، وخاصة في هذه الأيام التي كثرت فيها دسائس اليهود والنصارى، الذين كانوا ولا يزالون يبذلون قصارى جهدهم، وغاية وسعهم، لمقاومة المد الإسلامي في أصقاع الدنيا، بل ومهاجمة الإسلام والمسلمين في عقر ديارهم، لاسيما في حالات الضعف التي تنتاب العالم الإسلامي كحالته الراهنة اليوم؛ فقد تنوعت مكائدهم لتمزيق صف المسلمين، وإثارة النعرات القبلية والطائفية بينهم؛ حتى أصبحوا يقتتلون في كل مكان، وعلى أنفه الأسباب، وما كان لهم أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه لولا بُعد المسلمين عن دينهم، وتجاهلهم لتاريخ هؤلاء الأعداء مع نبي الإسلام ﷺ ومع المسلمين على مر التاريخ .

وننتقل إلى مشهد آخر من إيذاءهم للمسلمين وبالتالي للنبي ﷺ ، فهم كعادتهم لا يعباون بالقيم الأخلاقية، والتقاليد الكريمة، فالأخلاق والمبادئ لا وزن لها عندهم، وتاريخهم المعاصر يعجُّ بالفضائح، والمخازي الأخلاقية، وكرامة المرأة غير مصانة لا مع برٍّ، ولا مع شقيٍّ، فحاولوا أن ينفذوا إلى أنبل ما يتمتع به المسلمون من عِزَّة، وكرامة، وعَفَافٍ وَصَوْنٍ للمحارم، ذلك أن امرأة من المسلمات قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع؛ ثم جلست إلى صائغ يهودي تشتري منه، وكانت مُحَجَّبة الوجه، فجعل نفر منهم يستهزئون بها، وبحجابها، ويطلبون منها أن تكشف وجهها وتأبى هي ذلك، فالعفيفة لا تكشف وجهها ولا تتخلى عن حياتها، فَعَمَد الصائغ اليهودي إلى طرف ثوبها من الخلف، وَعَقَّده إلى ظهرها، وهي جالسة دون أن تشعر المرأة المسلمة بما فعل ذلك

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - ٨ / ٥٦٠ .

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٣ / ٧٧ .

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ١ / ٥٦٦ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب

اليهودي، فلما قامت انكشفت سواتها؛ فانطلقت من اليهود ضجة ضحك، وسخرية بالمرأة المسلمة العفيفة الطاهرة، فلما أَحَسَّت المرأة بما فعل الصائغ بها من مكر؛ صاحت واستغاثت بالمسلمين لشرفها المَهَان في سوق يهود، فوثب رجل من المسلمين - استجابة لتلك الصيحات - على الصائغ فقتله في الحال، فشَدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فغضب المسلمون لمكر يهود وخيانتهم، فنَبَذ رسول الله ﷺ عهدهم كما أمره الله: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] فدعا النبي ﷺ المسلمين إلى قتالهم، فحاصروهم في حصونهم خمس عشرة ليلة، وألقى الله ﷻ في قلوبهم الرعب، ولم يستطيعوا أن يصمدوا لقتال المسلمين، وهكذا هم جبناء أذلاء؛ ولما طال عليهم الحصار نزلوا على حكم النبي ﷺ ، وأمكن الله ﷻ نبيه ﷺ منهم، فأراد النبي ﷺ قتل رجالهم، وسبي نسائهم، ومصادرة أموالهم؛ لاعتدائهم على أعراض المسلمين، فتدخل رأس النفاق ابن سلول فقال: يا محمد! أحسن في موالي، وكانوا حلفاء له قبل الإسلام، وما زال المنافق يلح على النبي ﷺ حتى قال له النبي ﷺ كارهاً: (هُم لَكَ)، فأجلاهم النبي ﷺ من المدينة، وخرجوا منها أدلة صاغرين؛ وبذلك ردَّ الله ﷻ كيد أولئك الفجرة على أعقابهم، وجعل تدبيرهم الآثم في تدميرهم...^(١)

المطلب الثاني

إيذاؤهم للنبي ﷺ بمحاولة قتله، والغدر به

لقد بلغت جسامة حقد أهل الكتاب على النبي ﷺ ، أن أقدموا على محاولة قتله ﷺ بأسلوب الخيانة كعادتهم، فلم يكتفوا بحروب الجدل التي حاربوا بها النبي ﷺ ، ولا بحروب الدس والوقية، ومحاولة إثارة الفتنة بين أصحابه، ولا بإظهارهم الإسلام في أول النهار، وكفرهم في آخره، ولا بتحالفهم مع كل مبغض للإسلام والمسلمين، ولا باستهزائهم بالدين وشعائره، لم يكتفوا بكل ذلك من أجل القضاء على دعوة النبي محمد ﷺ ؛ وإنما لجئوا إلى وسيلة أخرى سولتها لهم أنفسهم الغادرة، وعقولهم الحاقدة، هذه الوسيلة هي محاولة قتل النبي ﷺ أكثر من مرة؛ متابعين بذلك أسلافهم في قتل رسل الله ﷻ ، فتاريخهم ملطخ بدماء الأنبياء والرسل، وتكذيب رسالاتهم، - وأنى لهم ذلك - فقد روي أن النبي ﷺ خرج في نفر من أصحابه عن طريق قباء إلى ديار بني النضير؛ ليستعينهم في دية القتيلين الكلابيين اللذين قُتِلَا ضحية جهل أحد الصحابة وهو عمرو بن أمية الضمري

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - أبو بكر البقاعي - ١٩ / ٤٥٤ ، محاسن التأويل - القاسمي - ١٩٢ / ٩ ، الموسوعة القرآنية - إبراهيم الأبياري - ١ / ١٥٧ ، السيرة النبوية - ابن هشام - ٢ / ٤٨ ، السيرة النبوية - ابن كثير - ٣ / ٦ ، البداية والنهاية - ابن كثير - ٤ / ٥ ، إنارة الدجى في مغازي خير الورى ﷺ - المالكي - ص ٢١٩ .

بجوار رسول الله ﷺ لهما؛ ذلك أن عمرو بن أمية الضمري حين انصرف من بئر معونة لقي رجلين كلابيين معهما أمان من رسول الله ﷺ فقتلتهما؛ ولم يعلم أن معهما أماناً من رسول الله ﷺ ، فاستقبل بنو النضير النبي ﷺ بكثير من البشاشة والدهاء، ثم خلا بعضهم إلى بعض يتشاورون في قتله، والغدر به، ففعد رسول الله ﷺ تحت الحصن، وأبو بكر الصديق ﷺ عن يمينه، وعمر بن الخطاب ﷺ عن يساره، وعلي بن أبي طالب ﷺ بين يديه، وقد تأمر بنو النضير وانفقوا أن يطرحوا عليه صخرة من فوق الحصن الذي كان يجلس تحته، ولكن الرسول ﷺ الذي كان برعاية الله ﷻ وحفظه أدرك مقاصد بني النضير، إذ جاءه الخبر من السماء بما عزموا عليه من شر، فنهض النبي ﷺ وانطلق إلى المدينة... (١) ، وأنزل الله ﷻ قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ١١] فأحبط الله تعالى كيدهم، وخيب مسعاهم، وفي هذه الآية دلالة إثبات رسالة محمد ﷺ لأنه أخبر عما كان منهم من غير أن يشهد ذلك؛ ليعلم أنه بالله ﷻ علم (٢) .

ومن صور حماية الله ﷻ لنبيه وحبيبه ﷺ من كيد أولئك الأراذل؛ حفظه من محاولة المرأة اليهودية أن تسمه ﷺ؛ فقد أخرج الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، أنه قال: (لَمَّا فَتَحَتْ خَيْبَرَ، أَهْدَيْتِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةً فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ)؛ فَجَمَعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْهُ) فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ أَبُوكُمْ) قَالُوا: أَبُونَا فَلَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فَلَانٌ) فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ، فَقَالَ: (هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ) فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي آبِنَا، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مَنْ أَهْلُ النَّارِ) فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخَلَّفُونَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اخْسُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا) ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: (فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِي عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ

(١) انظر: تفسير مجاهد - ص ٣٠٣ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ٣ / ٣٦ ، جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٠ / ١٠٢ ، زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ١ / ٥٢٦ ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٣ / ٦٣ ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن - الثعالبي - ٢ / ٣٦٢ ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم - طنطاوي - ٤ / ٧٥ ، زهرة التفاسير - أبو زهرة - ٤ / ٢٠٦٦ ، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٦ / ١١١ .
(٢) انظر: تأويلات أهل السنة - الماتريدي - ٢ / ٤٥٧ .

عَنْهُ) قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: (هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟) فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: (مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ) فَقَالُوا: أَرَدْنَا: إِنْ كُنْتَ كَذَابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ^(١)

وفي رواية للخبر عند الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ سأل اليهودية عن ذلك، فقالت: (أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ)، فقال ﷺ: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيُسَلِّطَكَ عَلَيَّ) (٢)، قال النووي: وهذه مُعْجِزَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَلَامَتِهِ مِنَ السُّمِّ الْمُهْلِكِ لِغَيْرِهِ، وَفِي إِعْلَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِأَنَّهَا مَسْمُومَةٌ، وَكَلَامِ عَضْوٍ مِنْهُ لَهُ فَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِ مُسْلِمٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: إِنَّ الدَّرَاعَ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ^(٣) فهذه المواقف دلالة على حفظ الله ﷺ لنبيه ﷺ، وبيان عصمته من الناس كلهم، كما قال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

(١) صحيح البخاري - كتاب الجزية - باب إذا عذر المشركون بالمسلمين، هل يُعفى عنهم - ٤ / ١٠٠ - رقم ٣١٦٩ .

(٢) صحيح مسلم - كتاب السلام - باب السُّمِّ - ٤ / ١٧٢١ - رقم ٢١٩٠ .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ١٤ / ١٧٩ (بتصرف يسير)، وانظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم - العظيم آبادي - ١٢ / ١٤٧ .

المطلب الثالث

إيذاؤهم للنبي ﷺ بتأليبهم للناس ضده، وخيانتهم ونكثهم لعهودهم معه

إنَّ من أكثر الصفات القبيحة التي أثبتتها القرآن لأهل الكتاب - وبالأخص اليهود - هو نقض العهود، والوعود، والمواثيق، فقد أشار القرآن إلى أنهم لا يحفظون عهداً مع أحد، ولا يرعون وعداً قطعوه على أنفسهم، ولا عهودهم مع الله ﷻ، ويُعدّ هذا الخلق من أهم الصفات التي ينبغي أن يلتفت إليها العالم أجمع، وليعلم الجميع أنّ اليهود والنصارى شعوبٌ تخطط دائماً للوصول إلى أغراضها، ولا يتحركون بدون خطةٍ ومنهج، وفي الوقت ذاته لا يتورعون عن سلوك أخس وأقذر الوسائل في الوصول إلى أغراضهم، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة؛ ولو كان السبيل إلى أهدافهم عقد المواثيق وإبرام العقود ثم نقضها لسلكوه؛ فتلك عقيدتهم، وذلك دينهم، وقد قال سعود الخلف أن الخيانة من طبائع اليهود الملازمة لهم، وتكون الخيانة في كل ما يؤتمن عليه الإنسان من مال، وعرض، ودين وعهد، وغير ذلك، وقد خان اليهود أمانتهم في الأموال، حيث قال تعالى في ذلك: ﴿... وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا...﴾ [آل عمران: ٧٥] وأما الدين فقد بدّلوه وغيروه - كما أسلفنا -، وأما العهود والمواثيق فقد نقضوها سواء مع الله ﷻ أو مع غيره، فهذا وغيره وصفهم الله ﷻ بالخيانة فقال: ﴿... وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى حَائِثَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ...﴾ [المائدة: ١٣] وهو وصف متحقق فيهم إلى هذا الزمن وما بعده ^(١) فاليهود جماعة مفككة الأهواء، لا يجتمعون على رأي، ولا يثبتون على عهد، ومع أنهم متعصبون لأنفسهم وجنسهم، ويكرهون أن يمنح الله ﷻ شيئاً من فضله لسواهم، إلا أنهم - مع هذا - لا يستمسكون بوحدة، ولا يحفظ بعضهم عهد بعض، وما من عهد يقطعونه على أنفسهم حتى تخرج منهم فرقة فتنتقض ما أبرموا، وتخرج على ما أجمعوا، فقال تعالى عن حالهم: ﴿... أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠] فنبتذ العهود ونقض المواثيق، هو الطبيعة الغالبة على بني إسرائيل، لا فرق في موقفهم هذا مع الناس، أو مع الله ﷻ؛ وما ذلك إلا لأنهم لا يؤمنون بالمبادئ والقيم، ولا يتقيدون بقيد الفضيلة والشرف، لما يغلب عليهم من أثره وأنانية شديدة، يستباحون بها كل شيء من خلق أو دين؛ وبئست هذه من صفة وخلة في اليهود؛ تقابلها في المسلمين صفة أخرى على النقيض، حيث قال رسول الله ﷺ: (... وَالْمُؤْمِنُونَ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَوْلَاهُمْ، وَيَرُدُّ

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية - سعود الخلف - ص ١٥٦ (بتصرف) .

عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ...^(١) وهذه سِمة الجماعة الكريمة، المتماسكة، المستقيمة، وذلك فرق ما بين أخلاق اليهود الفاسقين، وأخلاق المسلمين الصادقين^(٢).

ومن أمثلة على نقض أهل الكتاب لليهود والمواثيق مع رسول الله ﷺ ما يلي:

أولاً: نقض أحبار اليهود للعهد مع رسول الله ﷺ : فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: حَضَرَتْ عِصَابَةُ مِنَ الْيَهُودِ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، حَدِّثْنَا عَنْ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُنَّ؛ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: (سَلُونِي عَمَّا سَنَيْتُمْ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ، وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى بَنِيهِ: لَئِنْ أَنَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ، لَتَتَابِعُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ) قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ، قَالَ: (فَسَلُونِي عَمَّا سَنَيْتُمْ) قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعٍ خِلَالٍ نَسَأَلُكَ عَنْهُنَّ: أَخْبِرْنَا أَيُّ الطَّعَامِ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ مَاءُ الْمَرْأَةِ، وَمَاءُ الرَّجُلِ؟ كَيْفَ يَكُونُ الذِّكْرُ مِنْهُ؟ وَأَخْبِرْنَا كَيْفَ هَذَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فِي النَّوْمِ؟ وَمَنْ وَلِيَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ قَالَ: (فَعَلَيْكُمْ عَهْدُ اللَّهِ ﷻ وَمِيثَاقُهُ لَئِنْ أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ لَتَتَابِعُنِي؟) قَالَ: فَأَعْطُوهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، قَالَ: (فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى ﷺ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَرِضٌ مَرِضًا شَدِيدًا، وَطَالَ سَقَمُهُ، فَذَرَّ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ سَقَمِهِ، لِيَحْرَمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لَحْمَانُ الْإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا؟) قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: (اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَاءَ الرَّجُلِ أبيضٌ غليظٌ، وَأَنَّ مَاءَ الْمَرْأَةِ أصفرٌ رقيقٌ، فَأَيُّهُمَا علا كان له الولدُ والشَّبهُ بإذنِ الله؟ إن علا ماءُ الرَّجُلِ على ماءِ الْمَرْأَةِ كان ذَكَرًا بإذنِ الله، وإن علا ماءُ الْمَرْأَةِ على ماءِ الرَّجُلِ كان أنثى بإذنِ الله؟) قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: (اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ؟) قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. قَالَ: (اللَّهُمَّ اشْهَدْ) قَالُوا: وَأَنْتَ الْآنَ فَحَدِّثْنَا: مَنْ وَلِيكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَعِنْدَهَا نُجَامِعُكَ أَوْ نَفَارِقُكَ؟ قَالَ: (فَإِنَّ وَلِيَّيَ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلَّا وَهُوَ وَلِيُّهُ) قَالُوا: فَعِنْدَهَا نَفَارِقُكَ، لَوْ كَانَ وَلِيكَ سِوَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَتَابَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ، قَالَ: (فَمَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُصَدِّقُوهُ؟) قَالُوا: إِنَّهُ عَدُوْنَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) صحيح ابن حبان - كِتَابُ الْجَنَائِيَاتِ - بَابُ الْقِصَاصِ - ١٣ / ٣٤١ - رقم ٥٩٩٦ ، حكم عليه المحقق

شعيب الأرنؤوط بأن: إسناده حسن .

(٢) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ١ / ٩٤ ، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١ / ١١٦ ،

زهرة التفاسير - أبو زهرة - ١ / ٣٣١ .

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧] فَعِنْدَ ذَلِكَ: ﴿... فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ...﴾ [البقرة: ٩٠] (١)

ثانياً: نقض قبائل اليهود والمواثيق مع النبي ﷺ : ومن أول هذه القبائل هم بنو قينقاع، فقد قال ابن القيم في ذلك: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَصَالَحَ يَهُودَ الْمَدِينَةِ، وَكَتَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ كِتَابَ أَمْنٍ، وَكَانُوا ثَلَاثَ طَوَائِفَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ: بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَبَنِي النَّضِيرِ، وَبَنِي فُرَيْطَةَ، فَحَارَبَتْهُ بَنُو قَيْنِقَاعَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَ بَدْرٍ، وَشَرَفُوا بِوَفْعَةِ بَدْرٍ، وَأَظْهَرُوا الْبَغْيَ وَالْحَسَدَ فَسَارَتْ إِلَيْهِمْ جُنُودُ اللَّهِ، يَقْدُمُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ... وَحَاصَرَهُمْ حَمْسَةَ عَشَرَ لَيْلَةً، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ حَارَبَ مِنَ الْيَهُودِ، وَتَحَصَّنُوا فِي حُصُونِهِمْ، فَحَاصَرَهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ الَّذِي إِذَا أَرَادَ خِذْلَانَ قَوْمٍ وَهَزِيمَتَهُمْ أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ، وَقَذَفَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَتَزَلُّوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رِقَابِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ، وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَلَا يُجَاوِرُوهُ بِهَا، فَخَرَجُوا إِلَى أَدْرَعَاتٍ (٢) مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَقَالَ أَنْ لَبِثُوا فِيهَا حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُهُمْ... (٣)

كما نَقَضَ بنو النضير العهد مع النبي ﷺ : حين همُّوا أن يغدروا بالنبي ﷺ ، ويطْرَحُوا عَلَيْهِ صَخْرَةً مِنْ فَوْقِ الْحِصْنِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ تَحْتَهُ حِينَ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ لِيَسْتَعِينَهُمْ فِي دِيَةِ الْقَتِيلَيْنِ الْكِلَابِيِّينِ... وقد - أسلفنا - الحديث في المطالب الثاني من هذا المبحث عن هذه المحاولة الآثمة الغادرة ..

وأما يهود قريظة فقد كانوا أشدَّ اليهودِ عداوةً لرسول الله ﷺ ، وأغلظهم كفراً، وقد كانت بينهم وبين النبي ﷺ عهد وميثاق، ولكنهم نقضوا العهد، وخانوا النبي ﷺ ، وغدروه في وقت عصيب حين تجمعت كثير من الأحزاب والقبائل العربية، وتحزَّبوا للقضاء على المسلمين، واستئصال شأفتهم، فاتجهت جيوش الأحزاب نحو المدينة، وكانت عدَّتْهم عشرة آلاف مقاتل، وعدة المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وقد كان المسلمون يخشون غدر بني قريظة؛ لأنهم يسكنون في جنوب المدينة، فيقع المسلمون حينئذ بين نارين، اليهود خلف خطوطهم، والأحزاب بأعدادهم الهائلة من أمامهم، وقد

(١) مسند أحمد - مُسْنَدُ أَهْلِ النَّبِيِّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - ٤ / ٣١٢ - رقم ٢٥١٥ ، حكم عليه المحقق شعيب الأرنؤوط بأنه حسن ، وانظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ١ / ٣٣٦ .
(٢) مَوْضِعٌ بِالشَّامِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْحَمْرُ، وَهِيَ مَعْرَفَةٌ مَصْرُوفَةٌ مِثْلُ عَرَفَاتٍ (انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - أبو نصر الفارابي - ٣ / ١٢١١ ، مختار الصحاح - زين الدين الحنفي الرازي - ص ١١٢)
(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد - ٣ / ١١٥ (بتصرف يسير) ، وانظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد رضا - ١٠ / ٤٧ ، تفسير المراعي - ٦ / ١٣٥ .

كان ذلك حيث أعلن يهود بني قريظة على الملأ تحللهم من كل ما بينهم وبين المسلمين من المواثيق، وخلق هذا الموقف ردة فعل سيئة في نفوس الكثيرين، فكان نقضهم للعهد مع رسول الله ﷺ في هذا الظرف أشق على المسلمين من هجوم الأحزاب من خارج المدينة (١)، وقد كانت عناية المولى جل وعلا بنبي البشرية، والمسلمين معه بأن قلب السحر على الساحر، واندحرت جموع الأحزاب على أعقابهم خائبين حيث بعث الله ﷻ على معسكر الأحزاب الملائكة فقلعت الأوتاد، وأطفت النيران، وأكفأت الدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثرت تكبير الملائكة في جوانب العسكر، حتى كان سيد كل خباء يقول: يا بني فلان هلم إلي فاذا اجتمعوا قال لهم: النجاة النجاة، لما بعث الله تعالى عليهم من الرعب (٢) قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩] قال القرطبي: " وكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ كَانُوا قَرِيبًا مِنْهَا، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا إِلَّا عَرْضُ الْخَنْدَقِ، وَكَانُوا فِي عَافِيَةٍ مِنْهَا، وَلَا خَبَرَ عِنْدَهُمْ بِهَا" (٣) فكانت النتيجة كما قال سبحانه: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥] ، ولم يكتف النصر على ذلك فحسب، فعندما أيد الله تعالى نبيه ﷺ بنصره، ورد أعداءه بغیظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦] ذكر صاحب التحرير والتنوير أن الآية نزلت في قتال بني قريظة، حيث إنه لما عاد النبي ﷺ وجيشه إلى المدينة من الخندق، وكان بصدد أن يغتسل، ويسنن فجاءه الوحي بأن يعزرو قريظة، أولئك الذين نقضوا العهد، وغدروا به ﷺ ، فنادى في الناس أن لا يصلين أحدكم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٦/ ٣٤٣ ، محاسن التأويل - القاسمي - ٨/ ٦٠ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ٨/ ١٣ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي - ٣/ ٦١٥ ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل - الزمخشري - ٣/ ٥٢٦ ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - ٤/ ٣٧١ ، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى - أبو الحسن السمهودي - ١/ ٢٣٣ ، وا محمداه إن شانئك هو الأبتر - سيد العفاني - ١/ ٣١٩ ، السيرة النبوية دروس وعبر - مصطفى السباعي - ص ٨٩ .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٤/ ١٤٤ ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل - النسفي - ٣/ ١٩ ، التفسير المنير - الزحيلي - ٢١/ ٢٨٤ ، اللباب في علوم الكتاب - سراج الدين الدمشقي - ١٥/ ٥١٠ ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - علي الصلابي - ص ٦٠٦ ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس - حسين بكري - ١/ ٤٩١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن - ١٤/ ١٤٤ .

العصر إلا في بني قريظة، وخرج الجيش الذي كان بالخندق معه، فنزلوا على قريظة قريظة، واستعصم أهل القريظة بحصونهم، فحاصرتهم المسلمون نحوًا من عشرين ليلة، فلما جهدهم الحصار، من أن يفتح المسلمون بلادهم فيستأصلوهم؛ طمعوا أن يطلبوا أن يسلموا بلادهم على أن يحكم حكم في صفة ذلك التسليم؛ فأرسلوا شاس بن قيس إلى النبي ﷺ يعرضون أن ينزلوا على مثل ما نزلت عليه بنو النضير من الجلاء على أن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح، فأبى رسول الله ﷺ قبول ذلك...^(١) وانتهى أمرهم إلى سعد بن معاذ ﷺ إذ اختاره رسول الله ﷺ قال البخاري في صحيحه: " لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد هو ابن معاذ، بعث رسول الله ﷺ وكان قريبًا منه، فجاء على حمار، فلما دنا قال رسول الله ﷺ: (قوموا إلى سيديكم) فجاء، فجلس إلى رسول الله ﷺ، فقال له النبي ﷺ: (إن هؤلاء نزلوا على حكمك)، قال: فأبي أحكم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبي الذرية، قال ﷺ: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك)^(٢)

وهذا بلا ريب عدل القضاء، وحكم السماء أراده الله لهؤلاء اليهود من بني قريظة جزاءً وفاقاً لظلمهم وبغيهم، فقد ضربوا أسوأ مثل في الخيانة، فخذلوا المسلمين في أشد أوقات الحرج والضيق، ولولا عناية الله ﷻ لتمكن الأحزاب من اقتحام المدينة، وإفناء المسلمين، فكان جزاؤهم أن أهلكهم الله ﷻ، وأراح المسلمين من شرهم، ولا عجب فالظلم لا يدوم، ومرتع البغي وخيم..

(١) التحرير والتبوير - ابن عاشور - ٣١٢ / ٢١ (بتصرف) ، وانظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن - الثعلبي - ٢٥ / ٨ ، في ظلال القرآن - سيد قطب - ٢٨٤٨ / ٥ ، الدرر في اختصار المغازي والسير - الحافظ يوسف بن البر - ص ١٧٧ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب إذا نزل العدو على حكم رجل - ٦٧ / ٤ - رقم ٣٠٤٣ .

المطلب الرابع

إيادوهم للنبي ﷺ باستهزائهم به وبالموحدين معه

لقد استخدم أهل الكتاب أسلوب السخرية والاستهزاء؛ والذي يحمل في ثناياه - كما أسلفنا - كل الصفات السيئة كالحقد، والحسد، والبغض... وجميعها تدل على عمق الخبث في النفوس، وعلى سوء نيتهم، فهم يتخذون من الاستهزاء بالنبي ﷺ، والسخرية منه ومن أصحابه مادة لإشباع ذلك الجوع المسعور من الحقد على الإسلام، وعلى الرسول ﷺ الذي حمل رسالته، من أجل كسر الروح المعنوية للمسلمين، وتثبيطهم، ودفعهم باتجاه التزلزل، وعدم الثبات على الدين، فقد كان سلوكهم لهذا الخلق الذميمة مع النبي ﷺ، عندما أعيتهم عقولهم أن يقابلوا الحجّة بالحجّة في الرد على منطق الإسلام القوي، وأحكامه الحقّة، واستنفذوا وسائل الدفاع المختلفة عن عقائدهم الباطلة، فعمدوا إلى الاستهزاء من النبي ﷺ، ودين الإسلام، وقيمه السامية، واتخذوا أحكامه، ومناسكه، وتعاليمه على محمل السخرية واللعب، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨] قال ابن كثير في تفسيرها: أي إذا أَدْنَيْتُمْ دَاعِينَ إِلَى الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ لِمَنْ يَعْقِلُ وَيَعْلَمُ مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ (اتَّخَذُوهَا) أي اتخذوا عِبَادَةَ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ هُزُوءًا ^(١)، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي قال عنه النبي ﷺ (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْدِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْدِينَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا نُوبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّنَوُّبُ، أَقْبَلَ ... حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى) ^(٢) وهذا استحضار لصورة من صور الاستهزاء والسخرية التي حورب بها النبي ﷺ، وفي عرض القرآن لهذه الصورة ما يثير مشاعر المسلمين، ويلفتهم إلى هذا العدوان الذي يرميهم به أعداؤهم، وهم في هذا الموقف العظيم، بين يدي رب العالمين .

ومما يذكره الألوسي في تفسيره لاستهزاء اليهود قوله في تفسيره للآية: " عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: كَانَ مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَادَى إِلَى الصَّلَاةِ وَقَامَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا، قَالَتِ الْيَهُودُ: قَدْ قَامُوا؛ لَا قَامُوا، وَصَلُّوا؛ لَا صَلُّوا، فَإِذَا رَأَوْهُمْ رُكَّعًا وَسُجَّدًا اسْتَهْزَؤُوا بِهِمْ، وَضَحَّكُوا مِنْهُمْ" ^(٣)، وروي عن السُّدِّيِّ أَنَّهُ قَالَ: " نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ النَّصَارَى بِالْمَدِينَةِ كَانَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَدَّنَ

(١) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ١٤٠ / ٣ (بتصرف يسير) .

(٢) صحيح مسلم - كِتَابُ الصَّلَاةِ - بَابُ فَضْلِ الْأَذَانِ وَهَرَبِ الشَّيْطَانِ عِنْدَ سَمَاعِهِ - ١ / ٢٩١ - رقم ٣٨٩ .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - ٣ / ٣٣٨، وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن -

البغوي - ٦٥ / ٢ .

يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: حُرِّقَ الْكَادِبُ - يَعْنِي بِذَلِكَ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَدَخَلَ خَادِمُهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِنَارٍ، وَهُوَ نَائِمٌ، وَأَهْلُهُ نِيَامٌ، فَتَطَايَرَتْ مِنْهَا شَرَارَةٌ؛ فَاحْتَرَقَ الْبَيْتُ، وَاحْتَرَقَ هُوَ وَأَهْلُهُ^(١)، وقد ذكر القرطبي رواية أخرى عن الكلبي أنه قال: كَانَ إِذَا أَدَنَّ الْمُؤَدَّنُ، وَقَامَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَتِ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَقَدْ ابْتَدَعْتَ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْ بِهِ فِيمَا مَضَى مِنَ الْأُمَمِ، فَمِنْ أَيْنَ لَكَ صِيَاخٌ مِثْلُ صِيَاخِ الْعَيْرِ؟^(٢) فَمَا أَفْبَحَهُ مِنْ صَوْتٍ، وَمَا أَسْمَجَهُ مِنْ أَمْرٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَدَنَّ الْمُؤَدَّنُ لِلصَّلَاةِ تَضَاكَعُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَتَعَامَرُوا عَلَى طَرِيقِ السُّخْفِ، وَالْمُجُونِ، تَجْهِيلًا لِأَهْلِيهَا، وَتَنْفِيرًا لِلنَّاسِ عَنْهَا، وَعَنِ الدَّاعِي إِلَيْهَا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْأَيَّةُ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] ^(٣)

ويعلق الألوسي على هذا الاستهزاء فقال: إن السَّفَهَ يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق، والهُزءُ به، ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترأوا على تلك العظيمة، وبضيف: أقول إن اتخاذ المناداة هزواً منكر من المناكير، إنها من معروفات الشرع، فمن هذه الحيثية دل على أن المناداة التي كانوا عليها حق مشروع منه تعالى، وهو المراد بثبوته بالنص بعد أن ثبت ابتداء بالسنة ^(٤)

ثم ذكر تعالى أن فعلهم هذا إنما هو لعدم وعي عقولهم، بل عدمها؛ إذ لم تتصرف كما ينبغي لها، فكأنها لم توجد، فما يستهزئ بدين الله ﷻ وعبادة المؤمنين له إنسان سوي العقل، فالعقل - حين يصح ويستقيم - يرى في كل شيء من حوله دلائل على الإيمان بالله ﷻ، فالوجود كله يوحي بأن له إلهاً يستحق العبادة والتعظيم، وحين يختل وينحرف لا يرى هذه الدلائل، لأنه حينئذ تفسد العلاقات بينه وبين هذا الوجود كله، وهذا تسفيه لهؤلاء الذين يحادون الله ورسوله، ويهزؤون ممن يولّي وجهه إلى الله ﷻ، راکعاً وساجداً.. فقال سبحانه: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) فلو عقلوا لعلموا أنهم بعملهم هذا يحاربون الله ﷻ، ويصدون الناس عن أداء حقّه عليهم من الولاء

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ١٠ / ٤٣٢، وانظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي

- ٢ / ٦٥، غرائب القرآن و رغائب الفرقان - النيسابوري - ٢ / ٦٠٧، الدر المنثور في التفسير بالمأثور -

جلال الدين السيوطي - (٣ / ١٠٨) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٣ / ١٤٠ .

(٢) الحمار الوحشي، والأهلي أيضاً (موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي - عبد اللطيف عاشور - ص

. ٢٧٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٦ / ٢٢٤ (بتصرف)، وانظر: التفسير المنير - الزحيلي - ٦ / ٢٤٦،

اللباب في علوم الكتاب - سراج الدين دمشقي - ٧ / ٤٠٢، زهرة التفاسير - أبو زهرة - ٥ / ٢٢٦٢ .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - الألوسي - ٣ / ٣٣٩، (بتصرف يسير)

لجلاله، والشكران لنعمه، إنهم ظلموا أنفسهم ظلماً فوق ظلم.. ظلموها إذ لم يؤدوا حق الله ﷻ عليهم، ثم ظلموها إذ يصدون الناس عن عبادة الله بهذا الاستهزاء الذي يلقونه إليهم، وهم بين يدي الله ﷻ.. (١)، فحالهم كما قال القائل (٢) :

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا * * * * * وَأَفْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ (٣)

لذلك دعا الله ﷻ المؤمنين أن يجتنبوا هؤلاء المجرمين من اليهود والنصارى، الذين يهزؤون بهم، وبدينهم، ويتخذون من أحاديثهم في المجالس معرضاً للسخرية بالمسلمين، والزراية بدينهم؛ فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مَنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧] فهنا يُنْفَرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَوَالِدِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ شُرَائِعَ الْإِسْلَامِ الْمُطَهَّرَةَ، هُزُؤًا يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا، وَيَعْدُونَهَا نَوْعًا مِنَ اللَّعِبِ، وَيَتَمَنُّونَ زَوَالَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَيَأْمُرُ اللهُ ﷻ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَبِأَلَّا يَتَّخِذُوا هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ أَوْلِيَاءَ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِشَرَعِ اللهِ ﷻ حَقًّا وَصِدْقًا، وَهَذَا أَقَلُّ مَا فِيهِ بَأْسٌ يَغَارُ الْمُسْلِمُ عَلَى دِينِهِ، وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَطْعَ هَذِهِ الْأَسْنَةِ الَّتِي تَهْزَأُ بِدِينِهِ، وَتَسْخَرُ مِنْهُ، فَإِنَّ أَعْزَفَ الْإِيمَانِ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ هُوَ أَنْ يَتَجَنَّبَ هَؤُلَاءِ السَّاحِرِينَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَأَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ نَظْرَةَ الْعَدُوِّ الْمَتْرَبِصِ بِهِ، فَلَا يَأْمَنُ لَهُ، وَلَا يَرْكُنُ إِلَيْهِ (٤)، ثُمَّ قَالَ سبحانه: (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) إشارة إلى أن العيرة على الدين، والانتصار له ممن ينتهك حرمة، هو من تقوى الله ﷻ، وأوَّلُ مداخل التقوى إلى الله ﷻ هو توقيره سبحانه، وتوقير دينه، والغيرة على حرماته، والدفاع عنها، واعتبار كل عدوان عليها منكرًا، يدفعه بيده (٥)، فإن لم يستطع فليتمثل بقول الحبيب ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) (٦).

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - ٢ / ٢١٠، التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٣ / ١١٢٧ .

(٢) هو أبو الطيب المتنبى .

(٣) المآخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبى - عز الدين الأزدي - ٢ / ١٥٩ .

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٣ / ١٤٠، مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة - علي بن نايف الشحود - ص ١٨١ .

(٥) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٣ / ١١٢٦ .

(٦) صحيح مسلم - كِتَابُ الْإِيمَانِ - بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ - ١ / ٦٩ - رقم ٤٩ .

ولقد استمر هذا العدا المقيت في صدور الحاقدين من اليهود والنصارى للنبي ﷺ ولأتباعه الموحدين إلى يومنا هذا؛ فقد ترسخت جذوره، وقوي عودُه، حتى غدا كالطود العظيم، وعلى سبيل المثال لا الحصر: ما سمعناه، وسمعَه غيرنا في دولة السويد - سوّد الله وجهها - ومن قبلها الدنمارك، عن رسوم حاقدةٍ مأكرة، تنهدّ لها القامة، وتنزل لها الهامة، وكلامٍ تقوّه به حقيرٌ من الحُقراء، حيث استطلوا على أكرم خلق الله ﷺ فيا ويحهم، وتعجرفوا ويا ويلهم، فسخرُوا من أعظم جناب، وأكرم من وطئ التراب، سيّدنا وحبيبنا، وقرّة عيوننا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فبكت القلوب وحزنت قبل دمع العيون، وفارّ الدمعُ غضباً، ونصرةً لرسولِ الله ﷺ وجردت الأفلام، وكُتبت المقالات، وتحدثت الأُمَّة، وصاحت بأعلى صوتها، كُننا لكِ فداءً يا رسولَ الله، ولا نامتُ أعيُنُ الجبناء، وشلّنت يمينُ من يستهزأ بكِ أو يُؤذيكِ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولا ريبَ أنّ من أظهر سبَّ الرسول، وشتمه فإنّه يغيظ المؤمنين، ويؤلمهم أكثرَ ممّا لو سفك دماءَ بعضهم، وأخذ أموالهم، فإن هذا يثير الغضبَ لله ﷻ والحميةَ له ولرسوله" (١)، ويقول رحمه الله: "من سنة الله أن من لم يتمكّن المؤمنون أن يعذّبوه من الذين يؤذون الله ورسوله فإنّ الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إيّاه، وكلّ من شأنه وأبغضه وعاداه فإنّ الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره" (٢).

وقد كانت عناية الله ﷻ بحبيبه المصطفى ﷺ من أذى المستهزئين بأن سلّاه وأخبره بأن هذا الاستهزاء من المجرمين المكذبين هو من السنن الكونية المستمرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْرِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الحجر: ١٠، ١١]. وقال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠] وقد مضت هذه السنّة على النبي ﷺ كما مضت على إخوانه من الرسل والأنبياء؛ وفي المقابل جعل الله سبحانه وتعالى مصير المستهزئين بالآيات وبالرسول ﷺ العقوبات الكثيرة، والقوارع العديدة، التي أحلّها الله تبارك وتعالى بالمعادين للرسول، ولاسيما الساخرين المستهزئين، وقد قال الله ﷻ مُطْمَئِنّاً رسوله ﷺ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي الأقطع؛ يقطع الله تبارك وتعالى دابره، ويمحق أثره، وقد أحل الله ﷻ عقوباته الأليمة، ونكاله الشديد، بكل ساخر مستهزئ بأنبيائه، ورسله الكرام، فكيف بمن يستهزئ بإمام المرسلين، وخاتم النبيين عليه صلوات الله تعالى وسلامه؛ وإذا كان الله ﷻ قال في الحديث القدسي (مَنْ عَادَى لِي

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول - ص ٢٠، وانظر: وا محمداه إن شانئك هو الأبتر - سيد العفاني - ٤ /

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول - ابن تيمية - ص ١٦٤ .

وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ^(١) هذا حال الولي؛ فكيف بمن عادى نبياً!! وكيف بمن عادى إمام المرسلين، وقدوة العالمين، وسيد ولد آدم ﷺ!! .

ولئن كان بعض إخوان القردة والخنازير في زماننا هذا أخذوا يتهمون بشخص النبي الكريم ﷺ، ويهزؤون به عبر صورٍ ساخرة، وكلماتٍ مستهزئة فإن هذا إذن بزوالهم، ومحققهم بإذنه سبحانه، وسنة الله ﷻ ماضية بمن كان شأنه كذلك، يقول ابن تيمية رحمه الله: " إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسبَّه، ومُظَهَّرٌ لِدِينِهِ وَلِكَذِبِ الْكَاذِبِ إِذَا لَمْ يُمْكِّنِ النَّاسُ أَنْ يَقِيمُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، ونظير هذا ما حَدَّثَنَا به أَعْدَادٌ من الْمُسْلِمِينَ الْعُدُولِ، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مرَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي حَصَارِ الْحِصُونِ وَالْمَدَائِنِ الَّتِي بِالسَّوَاخِلِ الشَّامِيَةِ، لَمَّا حَاصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا بَنِي الْأَصْفَرِ فِي زَمَانِنَا، قَالُوا: كُنَّا نَحْنُ نَحَاصِرُ الْحِصْنَ أَوِ الْمَدِينَةَ الشَّهْرَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ الشَّهْرِ، وَهُوَ مَمْتَنٌّ عَلَيْنَا حَتَّى نَكَادَ نَيْأَسُ مِنْهُ، حَتَّى إِذَا تَعَرَّضَ أَهْلُهُ لِسَبِّ رَسُولِ اللَّهِ وَالْوَقِيعَةِ فِي عَرْضِهِ تَعَجَّلْنَا فَتَحَهُ وَتَيَسَّرَ، وَلَمْ يَكِدْ يَتَأَخَّرُ إِلَّا يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَفْتَحُ الْمَكَانَ عَنُودَةً، وَيَكُونُ فِيهِمْ مَلْحَمَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالُوا: حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَنْبَاشِرُ بِتَعْجِيلِ الْفَتْحِ إِذَا سَمِعْنَاهُمْ يَقْعُونَ فِيهِ، مَعَ امْتِلَاءِ الْقُلُوبِ غِيظًا عَلَيْهِمْ بِمَا قَالُوا فِيهِ"^(٢)

ومن يتأمل التاريخ على طول مداه يجده مليئاً بالشواهد العديدة والأدلة الكثيرة التي تدل على كمال قدرة الله ﷻ، وانتقامه بمن آذى نبيه ﷺ، ومن القصص التي تبرز عناية الله ﷻ بنبيه ﷺ وكفايته ممن استهزء به، وشتمه؛ ما ذكره الإمام ابن حجر في كتابه الدرر، حيث قال: كان النَّصَارِيُّ يَنْشُرُونَ دَعَاتِهِمْ بَيْنَ قِبَائِلِ الْمَغُولِ طَمَعًا فِي تَنْصِيرِهِمْ، وَقَدْ مَهَّدَ لَهُمُ الطَّاعِيَةَ هَوْلَاكُو سَبِيلِ الدَّعْوَةِ لِلنَّصْرَانِيَّةِ، بِسَبَبِ زَوْجَتِهِ الصَّلِيبِيَّةِ ظَفَرِ خَاتُونٍ، وَذَاتَ مَرَّةٍ تَوَجَّهَ جَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ النَّصَارِيِّ لِحَضُورِ حَفْلِ مَغُولِي كَبِيرٍ عَقِدَ بِسَبَبِ تَنْصُرِ أَحَدِ أَمْرَاءِ الْمَغُولِ، فَأَخَذَ وَاحِدٌ مِنْ دَعَاةِ النَّصَارِيِّ فِي شَتْمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ هُنَاكَ كَلْبٌ صَيْدٌ مَرْبُوطٌ، فَلَمَّا بَدَأَ هَذَا الصَّلِيبِيُّ الْحَاقِدُ فِي سَبِّ النَّبِيِّ ﷺ، زَمَجَرَ الْكَلْبُ، وَهَاجَ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَى الصَّلِيبِيِّ، وَخَمَشَهُ بِشِدَّةٍ، فَخَلَصُوهُ مِنْهُ بَعْدَ جَهْدٍ، فَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ: هَذَا بِكَلَامِكَ فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ الصَّلِيبِيُّ: كَلَّا بَلْ هَذَا الْكَلْبُ عَزِيزُ النَّفْسِ، رَأَيْتَ أَشِيرَ بِيَدِي، فَظَنَّ أَنِّي أُرِيدُ ضَرْبَهُ، ثُمَّ عَادَ لِسَبِّ النَّبِيِّ ﷺ وَأَقْدَعَ فِي السَّبِّ، عِنْدَهَا قَطَعَ الْكَلْبُ

(١) صحيح البخاري - كِتَابُ الرُّفَاقِ - بَابُ التَّوَّاضِعِ - ٨ / ١٠٥ - رقم ٦٥٠٢ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول - ص ١١٧ .

رباطه ووثب على عنق الصليبي، وقلع حلقه في الحال، فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم نحو أربعين ألفاً من المغول (١) .

وقد ذكر الإمام الكتاني أنه ظهر في زمن الحاكم رجلاً سمى نفسه هادي المستجيبين، وكان يدعو إلى عبادة الحاكم، وحكى عنه أنه سبَّ النبي ﷺ ، وبصق على المصحف، فلما ورد مكة شكاه أهلها إلى أميرها، فدافع عنه، واعتذر بتوبته، فقالوا: مثل هذا لا توبة له! فأبى، فاجتمع الناس عند الكعبة وضجوا إلى الله ﷻ ، فأرسل الله ريحاً سوداء حتى أظلمت الدنيا، ثم تجلَّت الظلمة وصار على الكعبة فوق أستارها كهيئة الترس الأبيض له نور كنور الشمس دون سقف الكعبة بنحو القامة فلم يزل كذلك ترى ليلاً ونهاراً ، فلما رأى أمير مكة ذلك أمر ب"هادي المستجيبين"، فضرب عنقه وصلبه (٢) .

كما ذكر القاضي عياض قصة عجيبة لساخرٍ بالنبي ﷺ وذلك أن فقهاء القيروان، أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري، حيث كان شاعراً متقناً في كثير من العلوم، وكان يستهزئ بالله وأنبيائه ونبينا محمد ﷺ ، فأمر القاضي يحيى بن عمر بقتله وصلبه، فطعن بالسكين وصلب مُنكساً، وحكى بعض المؤرخين أنه لما رُفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة، فكان آيةً للجميع، وكبر الناس، وجاء كلبٌ فولغ في دمه!! (٣)

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - ٤ / ١٥٣ (بتصرف) .

(٢) ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم - ص ١٤٠ (بتصرف) .

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - ٢ / ٢١٨ (بتصرف يسير) .

المطلب الخامس

إيذائهم للنبي ﷺ بالتشكيك في نبوته ودخولهم في الإسلام ثم الارتداد عنه

لقد اتجه أهل الكتاب في إيذائهم للنبي ﷺ ، ومجاہبتهم للحق الذي جاء به، بمواجهة فعلية عبر عدة مؤامرات، وديسائس، فقد كانوا يترصدون كل حَدَث يقع في محيط المسلمين، ليقعوا منه على سلاحٍ مسموم، يستغلونه في المعركة التي يخضونها ضد النبي ﷺ والمسلمين، ومن هذه الأساليب الخبيثة أسلوب التشكيك في نبوة النبي ﷺ ، وذلك لإدخال البلبلة والاضطراب على عقيدة المسلمين، ومن هذه المواقف ما أثاروه حول تحويل القبلة؛ فقد كان النبي ﷺ يُصلِّي وهو بالمدينة متجهاً إلى الصخرة التي في المسجد الأقصى ببيت المقدس، كما كان أنبياء بني إسرائيل يفعلون قبله، وظل كذلك ستة عشر شهراً، ولكنه كان يُحِبُّ استقبال الكعبة، ويتمنى ويدعو الله ﷻ أن يَتَوَجَّهَ إِلَى قِبْلَةِ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي الكعبة، فاستجاب الله ﷻ له، وأَمَرَهُ بالتوجه إلى البيت العتيق، بعد هجرته إلى المدينة (١) ، ونزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤] وكان أول صلاة صلاها هي العصر، كما في الصحيحين فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قَالَ: " لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ قَدْ وَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَاخْرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ" (٢) فما إن أمر الله ﷻ نبيه ﷺ ، والجماعة المؤمنة بالتوجه في صلاتهم ناحية المسجد الحرام، حتى انطلق خفافيش الظلام، سفهاء العقول، والأحلام، يشككون في أمر رسول الله ﷺ ، وفي صدق دعوته، واضطراب أمره، فهم بحق كما سماهم الله ﷻ سفهاء، وفي تعريف السفية قال القرطبي: "السْفِيَةُ الْبَهَاتُ، الْكُذَّابُ، الْمُتَعَمِّدُ، خِلَافَ مَا يَعْلَمُ" (٣)

فأطلق أولئك الرعايد مجموعة من الشبهات ، والافتراءات على النبي ﷺ ، فكان من ضلالهم:

- (١) انظر: تفسير الإمام الشافعي - ١/ ٢٢٦ ، الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢/ ١٤٨ .
- (٢) صحيح البخاري - كِتَابُ أَخْبَارِ الْأَحَادِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الْوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الْأَدَانِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ - ٩/ ٨٧ - رقم ٧٢٥٢ .
- (٣) الجامع لأحكام القرآن - ٢/ ١٤٨ .

" لقد خالف محمد ﷺ قبلة الأنبياء من قبله، ولو كان نبياً حقاً لاتبع قبلة الأنبياء من قبله!! " (١)
وقال بعضهم: " قد التبس عليه أمره ، وتحير " (٢) .

وقال آخرون: " ما لك تركت قبلة بيت المقدس؟! إن كانت ضلالة فقد دنت الله بها، وإن كانت هدى، فقد نُقِلت عنها " (٣)

وقد صدق فيهم قول الشاعر عبدة بن الطيب (٤) :

" إِنَّ الَّذِينَ تُرُونَهُمْ إِخْوَانَكُمْ * * * * * يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا " (٥)

فيمثل هذه التخرصات والأكاذيب كان يلقي اليهود المسلمين على السنة المنافقين، ومن في قلوبهم مرض، وقد أثاروا بهذه المقولات بلبلة واضطراباً، حتى لقد وقع عند بعض المسلمين أن صلاتهم التي اتجهوا بها إلى بيت المقدس لم تكن قائمة على وجهها الصحيح، ولهذا أمرهم الله بالتحول إلى البيت الحرام! (٦) كما وصل الأمر بأن قال رجال من أصحاب النبي ﷺ: "فَكَيْفَ يَمَنْ مَاتَ مِنَّا، وَهُوَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ أَنْتَبُلُ صَلَاتُهُ؟ فَفَرِحَ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ التَّبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ عَلَى دِينِكُمْ ... " (٧)

فجاءت العناية الربانية، والرد الرباني على أمر تحويل القبلة بما يتلج صدور المؤمنين ، والمتأمل في آيات سورة البقرة، والتي عالجت هذه القضية يجد ذلك في أكثر من موضع:

فبين في البداية أنهم لن يمروا على الحدث مرور الكرام، بل سيمرون عليه مرور اللئام، وفائدة ذلك: أن الإخبار بالمكروه إذا وقع قبل وقوعه؛ كان فيه تهويناً لصدمته، وتخفيفاً لروعته، وكسراً لثورته (٨)

(١) بدائع الفوائد - ابن قيم الجوزية - ١٥٧ / ٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ١٤٨ / ٢ .

(٣) زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ١٢٣ / ١ .

(٤) عبده بن يزيد (الطيب) بن عمرو بن علي، من تميم: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام، كان أسود، شجاعاً، شهيد الفُتُوح، وقتال الفُرس مع المثنى بن حارثة، والنعمان بن مقرن، بالمدائن وغيرها، وقد كانت له في ذلك آثار مشهودة، وله فيها شعر وهو مخضرم، وهو شاعر مُجيد ليس بالمنكر (انظر: الإصابة في

تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني - ٨٧ / ٥ ، الأعلام - الزركلي - ١٧٢ / ٤)

(٥) التذكرة الحمدونية - بهاء الدين البغدادي - ٣٥٠ / ٣ .

(٦) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ١٦٤ / ١ .

(٧) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة - البيهقي - ٥٧٥ / ٢ .

(٨) انظر: فتح القدير - الشوكاني - ١٧٤ / ١ .

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ النَّبِيُّ كَانُوا عَلَيْهَا قُلُوبَ اللَّهِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢] ثم سَلَى اللهُ ﷺ نبيه المصطفى ﷺ بأن أخبره أن أهل الكتاب لن يتبعوا قبلة المسلمين، ولن يؤمنوا بدينهم؛ حتى لو أقام عليهم الحجة الساطعة، فقال سبحانه: ﴿وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] قال ابن كثير في تفسيره: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ كُفْرِ الْيَهُودِ وَعِنَادِهِمْ، وَمُخَالَفَتِهِمْ مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْ شَأْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ لَوْ أَقَامَ عَلَيْهِمْ كُلَّ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، لَمَا اتَّبَعُوهُ، وَتَرَكُوا أَهْوَاءَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧] وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: (وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ) ^(١)، ذكر الماتريدي: أن الله ﷻ أخبر نبيه ﷺ أن قل يا مُحَمَّد: الله المشرق والمغرب، والأمكنة كلها، والنواحي كلها، يأمر بالتوجه إلى أي ناحية شاء شرقاً وغرباً، فالطاعة له ﷻ في الائتمار لأمره، والقبول لدعائه، لا للتوجه نحو الشرق، أو نحو الغرب؛ ليهوى في أنفسهم، فإن اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعاً لهوهم، لا اتباعاً لأمر أمروا به، وكذلك النصارى اتخذوا المشرق قبلة ليهوى أنفسهم؛ فأخبر الله تعالى المؤمنين أنهم يأتمرون بالله حيث ما أمروا توجهوا نحوه ^(٢)، ثم بين سبحانه في قطع لألسنة الحاقدين من أهل الكتاب؛ حين قال حَيَّيْ بِنِ أَخْطَبَ، وَأَصْحَابَهُ لِلْمُسْلِمِينَ: أَخْبَرُونَا عَنْ صَلَاتِكُمْ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، إِنْ كَانَتْ هُدًى فَقَدْ تَحَوَّلْتُمْ عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ ضَلَالَةً فَقَدْ دِنْتُمْ اللَّهَ بِهَا، وَمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَيْهَا فَقَدْ مَاتَ عَلَى الضَّلَالَةِ... حتى وصل الأمر إلى نفوس بعض المسلمين؛ فذهبوا إلى النبي ﷺ وقالوا: يا رسول الله، أرايت إخواننا الذين ماتوا، وهم يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ ^(٣) فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿... وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللهُ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي وما كانت حكمة الله ﷻ، ورحمته تقضي بإضاعة ثباتكم على الإيمان واتباعكم الرسول ﷺ في الصلاة وفي القبلة، وأن الله ﷻ يجزيكم الجزاء الأوفى، ولا يضيع أجركم، لأنه سبحانه رعوف بعباده، ذو رحمة واسعة بخلقه، فلا يضيع عمل عامل منهم، ولا يكون ابتلاؤهم

(١) تفسير القرآن العظيم - ١ / ٤٦١ (بتصرف يسير) .

(٢) تأويلات أهل السنة - ١ / ٥٨٢ (بتصرف) .

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي - ١ / ١٢٠، معالم التنزيل في تفسير القرآن - البغوي -

لمعرفة صدق إيمانهم وإخلاصهم؛ سبباً في إضاعة ثمرات الإيمان، وتفويت الجزاء، بل يجازيهم أتمّ جزاء؛ فالمؤمنون به أولى الناس برأفته ورحمته بطبيعة الحال... (١)

كما حالوا في أسلوب خبيث آخر محاولة في اختراق الجبهة الداخلية المتينة للمجتمع الاسلامي، وذلك بإحداث ردة عن الإسلام، وبالتالي التشكيك بصدق الدعوة والداعية، وذلك من خلال إعلان الإيمان بما يدعو إليه النبي ﷺ، ثم الارتداد عنه؛ بهدف زعزعة المؤمنين، وأن يثير شكوكاً في قلوب الضعفاء والجهلة، وعند من لم ترسخ أقدامهم بعد على طريق الإسلام؛ فيدخلوا الشك عليهم من جهته، فقد كان بعض الجهلة، وضعاف الإيمان يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب، فإذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون، حسبوا أنهم إنما ارتدوا بسبب اطلاعهم على خبيثة، ونقص في هذا الدين، ليوهموا الناس أنهم كانوا مخلصين في إيمانهم، طالبين الحق بهذا الإيمان، فلما تبين لهم البطلان خرجوا، فقد يخرج بهذا الخروج ضعاف الإيمان، ويُلقون بذلك بين المسلمين شكاً عملياً (٢)؛ ففضح الله ﷻ مؤامرتهم الخبيثة الماكرة بقوله سبحانه: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢] قال مجاهد: "هذه الآية إخبار عن اليهود صلّت مع النبي ﷺ صلاة الفجر وكفروا آخر النهار، مكرراً منهم، ليُروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة، بعد أن كانوا اتبعوه" (٣)، وقد أشير في هذه المكيدة إلى طائفة من أهل الكتاب؛ فقد ذكر صاحب الدر المنثور عن ابن عباس ؓ أنه قال: "قال عبد الله بن الضيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم؛ لعلهم يصنعون كما نصنع؛ فيرجعون عن دينهم، فأُنزل الله فيهم الآية" (٤)

(١) انظر: التفسير المنير - الزحيلي - ١١ / ٢ ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم - لجنة من علماء الأزهر - ص ٣١ ، التفسير الحديث - محمد عزت دروزة - ٢٥٢ / ٦ ، تفسير الجلالين - جلال الدين السيوطي - ص ٣٠ .

(٢) انظر: في ظلال القرآن - سيد قطب - ٤١٥ / ١ ، التفسير المنير - الزحيلي - ٢٦٠ / ٣ ، زهرة التفاسير - أبو زهرة - ١٢٧١ / ٣ ، شرح مسائل الجاهلية - صالح الفوزان - ص ١٨٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٥٩ / ٢ .

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - ٢٤٠ / ٢ ، وانظر: التفسير المنير - الزحيلي - ٢٥٩ / ٣ ، لباب النقول - جلال الدين السيوطي - ص ٤٢ ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - محمد اليعمري - ٢٤٦ / ١ ، العجائب في بيان الأسباب - ابن حجر العسقلاني - ١٢٠٦ / ٢ .

وروي عن مجاهد أنه قال: صَلَّتْ الْيَهُودُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ النَّهَارِ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَكَفَرُوا آخِرَ النَّهَارِ، مَكْرًا مِنْهُمْ، لِيُرُوا النَّاسَ أَنَّهُ قَدْ بَدَتْ لَهُمْ مِنْهُ الضَّلَالَةُ بَعْدَ أَنْ كَانُوا اتَّبَعُوهُ ... (١)

ولم يَدْرْ لأولئك الحاقدين أَنْ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ لَمْ يَرْجِعْ عَنْهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى مَا التَفَتَ إِلَيْهِ هِرْقَلُ مَلِكُ الرُّومِ حِينَ سَأَلَ أَبَا سَفِيَانَ عَنْ شُؤْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ: " هَلْ يَزِيدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخَطَةٌ لَهُ؟ قَالَ أَبُو سَفِيَانَ: لَا، ثُمَّ قَالَ هِرْقَلُ: وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ... " (٢)

وهكذا فقد كانت عناية الله ﷻ بنبيه المصطفى ﷺ؛ أن جعل أمرهم على غير ما قدروا، ودبروا؛ فبدلاً من أن يثيروا البلبلة، والاضطراب في محيط الإسلام والمسلمين، وقع الاضطراب واللبلة في جماعتهم هُم، وإذا كثير من هؤلاء الذين أرسلوهم ليكونوا كلاب صيد في حمى الإسلام، صادهم الإسلام، وعلقوا في حباله؛ فما أن عاش بعضهم في الإسلام ساعات حتى استولت عليه روح الإسلام، وطردت من كيانه نوازع الزيغ والضلال، فدخل في الإسلام عن يقين، بعد أن كان قد غشى حماه للكيد والإفساد؛ أمّا مَنْ غلبت عليه شِقْوَتُهُ من كلاب الصيد هذه، فلم يدخل الإسلام، ولم يعتقه، عاد إلى جماعته متخناً بالجراح، فلم يصبح مسلماً، ولم يعد كافراً؛ بل تحوّل إلى مرتد؛ وأُخِنَ بالجراح؛ بعد أن شرع الله ﷻ لنبيه ﷺ حد الردة من أجل أن لا تتخذ الردة وسيلة للتشكيك في الإسلام، ولذلك كانت إقامة هذا الحد حصناً يقي المجتمع المسلم من هذا المكر الخبيث، بالغ التأثير في الإفساد لو أتيح له المجال، وهذا من محاسن الإسلام، ودقة تشريعاته، وشمولها لكل ما فيه سلامة المجتمع وحمايته؛ وقد شاء الله ﷻ أن تسيئ عاقبة تلك الجماعة المتآمرة، وأن يفسد تدبيرها، ويسوء مصيرها، فتعلو كلمة الإسلام، ويموت الشانئون والكائدون، غيظاً وكمداً! (٣)

(١) تفسير مجاهد - ص ٢٥٣ (بتصرف يسير) ، وانظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن - الطبري - ٥٠٨ / ٦ - ، تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ٥٩ / ٢ ، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - محمد رشيد رضا - ٢٧٤ / ٣ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب قُلْ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ { - ٦ / ٣٥ - رقم ٤٥٥٣ .

(٣) انظر: التفسير القرآني للقرآن - عبد الكريم الخطيب - ٤٩٥ / ٢ ، أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة - عبد الله الجربوع - ٥٧٧ / ٢ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضلته تتم الصالحات وجعل رسالة سيدنا محمد ﷺ خاتمة الرسالات، صلى الله عليه وعلى أتباعه الذين ختم لهم بكمال الحسنات، ورفعة الدرجات، رضي الله عنهم وعن أتباعهم إلى يوم الدين. . . وبعد:

فسوف أذكر في هذه الخاتمة أهم النتائج والتوصيات المستخلصة من هذا البحث وهي كالتالي:

أولاً : نتائج الدراسة:

١. عناية الله تعالى بحبيبه المصطفى ﷺ ، وتركيبته، وتفضيله على جميع الأنبياء والرسل، والتكفل بحفظه، ورعايته، وعصمته، وكفايته من كل أنواع الأذى؛ وذلك في كل مراحل حياته، ولم يكن ذلك لغيره من الأنبياء ..
٢. إبراز كرامة النبي ﷺ عند الله ﷻ ، وعنايته به؛ يزيد المؤمنين إيماناً ومحبة وتعظيماً للرسول ﷺ بصورة نقية شفافة بلا غلو فيها ولا جفاء .
٣. أن سيل العداوة والإساءة للرسول ﷺ بدأ منذ صدع بالحق، ولن يتوقف إلى قيام الساعة.
٤. تهيئة الله ﷻ لنبيه ﷺ جميع أسباب الشرف، ووفر فيه جميع الخصال التي تؤهله للقيام بأعباء الرسالة العظمى التي اصطفاه واختاره لها، فجعل نسبه في الذروة من قومه، وقومه في الذروة من العرب .
٥. توقيف الله ﷻ للنبي ﷺ في ندائه؛ فإنه إذا أراد سبحانه مناداته ومخاطبته يذكره بأحب الأوصاف إلى نفسه، وذلك دون غيره من الرسل؛ فما منهم من نبي ولا رسول إلا ناداه الله باسمه المجرد .
٦. إحاطة العناية الربانية بالنبي ﷺ منذ نعومة أظفاره، فنشأ على سلامة الفطرة، ونقاء القلب، وعصمه سبحانه عن شرك الجاهلية، فلم تنتكس فطرته كما حصل لعباد الأصنام
٧. تيقن المشركين وأهل الكتاب بصدق النبي ﷺ ، وما منعهم من اتباع المصطفى ﷺ إلا الكبر والحسد .
٨. لم يدع المشركون، والمنافقون، وأهل الكتاب نقيصة إلا ألصقوها بالمصطفى ﷺ ؛ إلا نسبه، وأمانته، فلم يستطيعوا أن يفتنوا سمومهم خلالها لظهورها .
٩. من صور العناية الربانية أن يغيّر الله ﷻ السنن الكونية؛ صيانةً لنبيه ﷺ ، ورعاية له، ولا أدل من قصة الشاة المسمومة على ذلك.

١٠. نبذ العهود ونقض المواثيق، هو الطبيعة الغالبة على بني إسرائيل، لا فرق في موقفهم هذا مع الناس، أو مع الله ﷻ .
١١. من صور العناية الإلهية بنبي البشرية أنه ما استهزأ قوم من رسول الله ﷺ إلا قصمهم الله ﷻ ، وإن كان ذلك في وقت حرب كان ذلك عاجل البشرى بالنصر من الله ﷻ .
١٢. من أكبر خطر هدد الأمة الإسلامية على مر العصور هو خطر المنافقين، لأنهم يتكلمون بلسان المسلمين، والإسلام منهم براء، فذلك عظم خطرهم .
١٣. رغم تنوع أساليب الإساءة للنبي ﷺ في العصر الحاضر، إلا أنها تتفق وتتشابه من حيث المضمون مع الإساءات المتقدمة في صدر الإسلام .
١٤. الإساءة للنبي ﷺ بالسب، أو السخرية، أو بأي صورة يُعدُّ ناقضاً من نواقض الإيمان يوجب الرّدة والكفر؛ لأنه في الحقيقة السبُّ عائد على الله ﷻ لأنه هو سبحانه الذي ارتضى هذا الدين واختار هذا الرسول، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .
١٥. سيطرة اللوبي الصهيوني على الإعلام العالمي، أدى إلى بث معتقداته وأفكاره المسمومة في المجتمعات الغربية، وتحريضها على عداة الإسلام والمسلمين، وتشويه صورة النبي ﷺ بشتى الوسائل .
١٦. إنّ أعداء النبي ﷺ قابلوا القرآن الكريم الذي جاء به بحجج كثير باطلة حاولوا فيها رد الحق بكل وسيلة، ورمي النبي ﷺ بكل شنيعة من كذب، أو سحر، أو جنون .
١٧. كل خير دنيوي وأخروي نوفق إليه، ونتنعم به يعود الفضل فيه لله ﷻ أولاً، ثم للنبي ﷺ الذي كان سبباً فيه .

ثانياً: التوصيات:

١. ضرورة ترجمة معاني القرآن الكريم، والحديث النبوي، وما يلحقهما من السيرة والأحكام الشرعية؛ إلى لغات العالم المختلفة، وتعاون أهل العلم واللغة والمال والإعلام في إنجاح ذلك.
٢. ضرورة العناية بميراث النبي ﷺ من السُّنة؛ جمعاً وتحقيقاً وحفظاً ونفقهاً، ودعم البرامج العلمية والإعلامية والتربوية المتعلقة بها، ومن ذلك إقرار حصص دينية خاصة بدراسة هدي النبي ﷺ في مختلف المراحل الدراسية؛ معروضة بأحدث الوسائل، بما يناسب طبيعة كل مرحلة واحتياجاتها.

٣. رصد وجمع كل الشبهات المثارة حول النبي ﷺ ، والرد عليها بواسطة كبار العلماء من أهل الاختصاص ، ونشر هذه الردود في كتيبات ، وترجمتها إلى لغات الغرب لتعريف الغرب بحقيقة الرسول ﷺ وبطلان الشبهات المثارة حوله .

٤. تؤكد الدراسة على دور كل مسلم للقيام بالنصرة؛ سواء في دوره العام بتطبيقه لهدى النبي ﷺ ، ومشاركته في بناء أمة مؤمنة قوية، أو دوره الخاص في قضية النصر، واتخاذ آليات مناسبة لمشاركة فاعلة في الدفاع عن النبي ﷺ ، كما يدعو إلى إشراك الجهات السياسية في الدول الإسلامية للقيام بدورهم في هذا الميدان .

الفهارس

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	الصفحة
البقرة			
١.	﴿ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلْتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾	١٤٢	١١
٢.	﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا	١٤٦	٢١ - ٨٦
٣.	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾	٣٥	٣٠
٤.	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ... ﴾	٢٣	٣١
٥.	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٥١ - ٦٥
٦.	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾	١٥٨	٥٢
٧.	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ... ﴾	٢٢٢	٧٠
٨.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ... ﴾	٢٦٤	٧٠ - ٧١
٩.	﴿ ... أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ... ﴾	١٩٦	٧٠
١٠.	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا ﴾	١٠٩	٧٩ - ١٨٩
١١.	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾	١٧٠	٨٠
١٢.	﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمَشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ	١٠٥	٨٢
١٣.	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ	٨٩ - ٩٠	٨٢ - ٨٧ - ١٧٧
١٤.	﴿ .. أَفْكَلًا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا	٨٧	٨٣
١٥.	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ... ﴾	٣٤	٨٣
١٦.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ	١١٨	١٠٣
١٧.	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾	٨	١٢٣ - ١٢٧
١٨.	﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَدَابُ آلِيمٍ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾	١٠	١٢٦ - ١٩٩
١٩.	﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾	٩	١٢٧
٢٠.	﴿ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	١٢	١٢٨
٢١.	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا	١٤٤	١٤٤ - ١٥٠
٢٢.	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾	١٠١	١٧٧
٢٣.	﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾	٩٩	١٧٨
٢٤.	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً ﴾	٧٤	١٨٢
٢٥.	﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ	٩٠	٨٢ - ١٩٠

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٦.	﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ... ﴾	١١١	١٩٢
٢٧.	﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾	١١٢	١٩٢
٢٨.	﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا... ﴾	١٣٥	١٩٣
٢٩.	﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا	٩٥-٩٤	١٩٤
٣٠.	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	٢٢٢	١٩٥
٣١.	﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٠	٢٠٧
٣٢.	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾	٩٧	٢٠٩
٣٣.	﴿ ... فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ... ﴾	٩٠	٢٠٩-١٩٠-٨٢
٣٤.	﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾	١٤٤	٢١٨
٣٥.	﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾	١٤٢	٢٢٠
٣٦.	﴿ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾	١٤٥	٢٢٠
٣٧.	﴿ ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾	١٤٣	٢٢٠
آل عمران			
٣٨.	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	د
٣٩.	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ... ﴾	٨١	٢٦-١٣
٤٠.	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾	١٤٤	٣٢
٤١.	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ﴾	١٩	٨٤-٤٧
٤٢.	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾	٨٥	٤٧
٤٣.	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٧١	٨٩
٤٤.	﴿ .. وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	١٣٩	٩١
٤٥.	﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ... ﴾	١٢٨	٩٧
٤٦.	﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أذى وَإِنْ يُقَاتِلْكُمْ يُوَلُّوكمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾	١١١	٧٣
٤٧.	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا ﴾	٩٩	٨١
٤٨.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا	-١١٨ ١١٩	-١٢٩-٨٥ ١٥٨
٤٩.	﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٣٢	١٥١
٥٠.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾	١٥٦	١٥٨
٥١.	﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	-١٦٦ ١٦٨	١٦٠-١٥٩

م	الآية	رقمها	الصفحة
٥٢	﴿ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ﴾	١٦٧	١٥٩
٥٣	﴿ ... وَلَوْ آمَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ ﴾	١١٠	١٧١
٥٤	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾	١١٣	١٧٨
٥٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ﴾	١١٦	١٧٦
٥٦	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الَّذِينَ ﴾	٨٥	١٧٦
٥٧	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ... ﴾	١٩	١٧٤-٨٢-٤٦
٥٨	﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُبَشِّرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ ﴾	٧٩	١٨٥
٥٩	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	٦٤	١٨٦
٦٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾	١٠٠	٢٠٢
٦١	﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾	١٠١	٢٠٢
٦٢	﴿ ... وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ... ﴾	٧٥	٢٠٧
٦٣	﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	٧٢	٢٢١
النساء			
٦٤	﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا ... ﴾	١٦٣	٢٦
٦٥	﴿ .. إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مَطَرٍ .. ﴾	١٠٢	٧١
٦٦	﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ ﴾	١٦	٧١
٦٧	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ﴾	٤٥-٤٧	٨٦
٦٨	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾	١٥٠-١٥١	١٧٥
٦٩	﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاعُوتِ ﴾	٥١-٥٢	١٨١
٧٠	﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾	١٥٣	١٨٣
٧١	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا ... ﴾	٥٤	١٨٧
٧٢	﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾	٥٥	١٨٨-١٨٧
٧٣	﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾	١٥٥	١٩٩
المائدة			
٧٤	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ ﴾	٦٧	٣٧-٢٠
٧٥	﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾	١١٢	٣٩
٧٦	﴿ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾	٤٤	٤٤

م	الآية	رقمها	الصفحة
٧٧.	﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ...﴾	٣	٤٦
٧٨.	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا﴾	٤٨	٥٠
٧٩.	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ﴾	١٨	١٩٤ - ٨٧
٨٠.	﴿... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾	٦٤	٢٠٣
٨١.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾	١١	٢١٠ - ٢٠٥
٨٢.	﴿... وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ...﴾	١٣	٢٠٧
٨٣.	﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾	٥٨	٢١٢
٨٤.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا﴾	٥٧	٢١٤
الأنعام			
٨٥.	﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ...﴾	٣٣	١١٢ - ٢٣ - ١٥
٨٦.	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي﴾	١١٢	٧٧
٨٧.	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾	٢٠	٨٦
٨٨.	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾	٩	٩٨
٨٩.	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ﴾	٢٥	١٩٩ - ١١٠
٩٠.	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا...﴾	١٥٦	١٧٣
٩١.	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...﴾	١٩	١٧٩
الأعراف			
٩٢.	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	١٥٦	١٩
٩٣.	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ...﴾	١٥٧	١٩ - أ
٩٤.	﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي...﴾	١٤٤	٣٠
٩٥.	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾	١٥٨	٤٥
٩٦.	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي﴾	١١٦	٣٠
٩٧.	﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾	١٣٨	٣٩
٩٨.	﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾	٦٤	٤٩
٩٩.	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾	٧٢	٤٩
١٠٠.	﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا﴾	٧٩-٧٨	٤٩
١٠١.	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ...﴾	٨٤-٨٣	٤٩

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٠٢	﴿.. إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	٦٠	٧٢
١٠٣	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٦١	٧٢
١٠٤	﴿.. إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	٦٦	٧٢
١٠٥	﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٦٧	٧٢
١٠٦	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ﴾	٥٣-٥٢	١١٤
١٠٧	﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾	١٠	١١٥
١٠٨	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾	١٥٨	١٧٣
١٠٩	﴿... رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ...﴾	١٤٣	١٨٤
الأنفال			
١١٠	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٤	٣٠
١١١	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	٣٣	٤٧
١١٢	﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٦٨	٥٥
١١٣	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...﴾	٣٠	٩٣
١١٤	﴿وَإِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾	٣١	١٠٩
١١٥	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾	١٣	١٤٩
١١٦	﴿وَمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ...﴾	٥٨	٢٠٤
التوبة			
١١٧	﴿... بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	١٢٨	٤٧-٢٨
١١٨	﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾	٤٣	٣٤
١١٩	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾	٢٤	١٤٨-٣٧
١٢٠	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ﴾	٣٢	٩٧-١٣٠-١٣٨
١٢١	﴿... وَهُمْ أَوْبَاءٌ لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	٧٤	١٣٣-١٢٩
١٢٢	﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا﴾	١١٠	١٤١
١٢٣	﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾	١١٠	١٤٣-١٤١
١٢٤	﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾	١٠٩	١٤٤
١٢٥	﴿... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ...﴾	٦٧	١٤٥
١٢٦	﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنُّ...﴾	٦١	١٤٥

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٢٧	﴿... وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	١٤٨
١٢٨	﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾	٦٣	١٤٩
١٢٩	﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا﴾	٥٨	١٥٠
١٣٠	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ﴾	٥٩	١٥٢
يونس			
١٣١	﴿... قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾	٢	١٠٧
١٣٢	﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾	١٥	١٠٨
١٣٣	﴿... جَزَاءً سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا...﴾	٢٧	١٤٥
١٣٤	﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٩٧-٩٦	٢٢٠
هود			
١٣٥	﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي...﴾	٤٦	٣٠
١٣٦	﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ...﴾	٧٦	٣٠
١٣٧	﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ...﴾	٥٣	٣٩
يوسف			
١٣٨	﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجَنَنَّ...﴾	٣٢	٢٠
١٣٩	﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾	١٠٣	١١٠
١٤٠	﴿... فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾	١٨	١٣٥
الرعد			
١٤١	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾	٤٣	٣٤
١٤٢	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	١٨١
إبراهيم			
١٤٣	﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣	٨٩-٧٩
الحجر			
١٤٤	﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٧٢	٣٥
١٤٥	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٤٣
١٤٦	﴿مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾	٨	٩٨
١٤٧	﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	٩	١٠٣

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٤٨	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْبِ الْأَوَّلِينَ﴾	١١-١٠	٢١٥
١٤٩	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	٩٥	٢١٥
سورة النحل			
١٥٠	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ...﴾	٣٦	٣٢
١٥١	﴿.. إِنَّمَا أَنْتَ مُقَدَّرٌ..﴾	١٠١	١٠٨-٧٣
١٥٢	﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٠٢	٧٣
١٥٣	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ..﴾	٤٣	٩٨
١٥٤	﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ- لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾	١٠٣	١٠٨
١٥٥	﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	١١٠
الإسراء			
١٥٦	﴿... وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْنِيمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾	٢٤	ب
١٥٧	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾	١	٣١
١٥٨	﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ...﴾	٨٨	٤٤
١٥٩	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾	٧٩	٥٩
١٦٠	﴿.. إِنِّي لِأُظَنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾	١٠١	٧٢
١٦١	﴿وَإِنِّي لِأُظَنُّكَ يَا فِرْعَوْنَ مَثْبُورًا﴾	١٠٢	٧٢
١٦٢	﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ...﴾	٧٦	٩٣
١٦٣	﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾	٩٤	٩٧
١٦٤	﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمْشُونَ مُطْمَئِنِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا﴾	٩٥	٩٨
١٦٥	﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى...﴾	٤٧	١٠٧
الكهف			
١٦٦	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾	١	٣٠
١٦٧	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ﴾	-١٠٣ ١٠٦	١١٤
مريم			
١٦٨	﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا﴾	١٢	٣٠

م	الآية	رقمها	الصفحة
طه			
١٦٩.	﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾	٢-١	٣٥
الأنبياء			
١٧٠.	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	٤٧
١٧١.	﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتِرَاءُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾	٥	١١١-١٠٧
١٧٢.	﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذَّكَّرُ آلِهَتَكُمْ ﴾	٣٦	١١٤
الحج			
١٧٣.	﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	٥٢
١٧٤.	﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾	٦٩	٢١-١٥
النور			
١٧٥.	﴿ ... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ ﴾	٦٣	٣٨
١٧٦.	﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾	١٦	١٣٨-١٣٥
١٧٧.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسِبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾	١٢-١١	١٣٦
الفرقان			
١٧٨.	﴿ ... وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾	٨	١٠٧-١٠١
١٧٩.	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	١٧٣
١٨٠.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ... ﴾	٣٢	١٠٨
١٨١.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ... ﴾	٤	١٠٨
١٨٢.	﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾	٥	١٠٩
١٨٣.	﴿ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ﴾	٦	١١٠
١٨٤.	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	٣٣	١١٣
١٨٥.	﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾	٤١	١١٤
الشعراء			
١٨٦.	﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾	٣	٤٧
١٨٧.	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾	٢١٤	٩٤
١٨٨.	﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنْ السَّمْعِ .. ﴾	-٢١٠ ٢١٢	١٠٥
١٨٩.	﴿ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	١٩٧	١٧٨

م	الآية	رقمها	الصفحة
النمل			
١٩٠.	﴿... وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾	٤٠	ج
القصص			
١٩١.	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا...﴾	٥٤-٥٢	١٨
العنكبوت			
١٩٢.	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ...﴾	١٠	٧١
١٩٣.	﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾	٤٨	١١٠
لقمان			
١٩٤.	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	٦	١١٦
الأحزاب			
١٩٥.	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ...﴾	٧	٢٧
١٩٦.	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾	٥٦	٢٨
١٩٧.	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	٤٥	١٧
١٩٨.	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾	٢١	٩٢-هـ
١٩٩.	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ...﴾	٤٠	٣٢
٢٠٠.	﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾	٥٣	٤١
٢٠١.	﴿النَّبِيِّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾	٦	٥١
٢٠٢.	﴿... وَدَعَّ أَدَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾	٤٨	٧٠
٢٠٣.	﴿.. كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ..﴾	٦٩	٧١
٢٠٤.	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾	٥٧	١٤٨-٧١
٢٠٥.	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا﴾	٥٨	٧١
٢٠٦.	﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾	١٠	١٦٣
٢٠٧.	﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ﴾	٢٢	١٦٣
٢٠٨.	﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢	١٦٤
٢٠٩.	﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا...﴾	١٣	١٦٥

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢١٠	﴿ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَفْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلْبَثُوا بِهَا إِلَّا بَيْسِرًا ﴾	١٤	١٦٥
٢١١	﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾	١٥	١٦٥
٢١٢	﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	١٦-١٧	١٦٦
٢١٣	﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْوِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ ﴾	١٨	١٦٦
٢١٤	﴿ أَشْحَهَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوِيرًا أَعْيُنُهُمْ... ﴾	١٩	١٦٦
٢١٥	﴿ لَيْسَ لِمَنْ يَنْتَهِي الْمَنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾	٦٠-٦٢	١٦٧
٢١٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ ﴾	٩	٢١٠
٢١٧	﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾	٢٥	٢١٠
٢١٨	﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾	٢٦	٢١٠
سبأ			
٢١٩	﴿ وَإِذَا تَنَبَّأْتُمْ بِهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ ﴾	٤٣	٨١
٢٢٠	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٢٨	١٧٣ - ٤٥ - ٦
فاطر			
٢٢١	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	٢٤	٨١ - ٣٢
٢٢٢	﴿ ... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾	٨	٤٧
٢٢٣	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾	٤٢-٤٣	٧٨
٢٢٤	﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٤٧	١٠٠
٢٢٥	﴿ ... وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَى ﴾	٤٣	١٤٤
يس			
٢٢٦	﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ﴾	٥-١	٣٣
٢٢٧	﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾	٦٩	١٠٤ - ٧٣
٢٢٨	﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾	٧٧	١١٦
٢٢٩	﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾	٣٠	٢١٥

م	الآية	رقمها	الصفحة
الصفات			
٢٣٠.	﴿ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴾	١٧٣	٧٦
٢٣١.	﴿ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾	١٠-٨	٣٦
٢٣٢.	﴿ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾	١٥	١٠٧
ص			
٢٣٣.	﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾	٤	٩٨-١٠١-١٠٧
٢٣٤.	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ ... ﴾	٨٥-٧١	٨٤
٢٣٥.	﴿ وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبُرُوا عَلَىٰ آهْتِكُمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾	٦	١٠٠
٢٣٦.	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾	٦٥	١٠٢
٢٣٧.	﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴾	٧	١٠٨
الزمر			
٢٣٨.	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	٣٣	١٤
٢٣٩.	﴿ وَيَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾	٤٨	١١٦
٢٤٠.	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	٦٧	١٨٥
غافر			
٢٤١.	﴿ ... أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾	٢٨	٩٧
٢٤٢.	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾	٥١	١١٣
فصلت			
٢٤٣.	﴿ ... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ... ﴾	٤٤	٤٢
٢٤٤.	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	٤٣
٢٤٥.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٢٦	٨٠
٢٤٦.	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٢١٣
الشورى			
٢٤٧.	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ... ﴾	٥٢	٤٢-١١
٢٤٨.	﴿ ... وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾	٤٦	١١٣
الزخرف			
٢٤٩.	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ ﴾	٣١	٩٩-٨٢-٢٣
٢٥٠.	﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	٣٢	٩٩
٢٥١.	﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ .. ﴾	٤٤	١١٢

م	الآية	رقمها	الصفحة
الجاثية			
٢٥٢	﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾	١٠-٩	١١٥
٢٥٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ... ﴾	٢٣	١٩٩-١٧٨-١٤
٢٥٤	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ... ﴾	٢٤	٥٢
٢٥٥	﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ ﴾	٣٥-٣٤	١١٦
٢٥٦	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ... ﴾	٢٣	١١٧-١٤ ١٩٩-١٧٨
الأحقاف			
٢٥٧	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... ﴾	١٠	١٨
٢٥٨	﴿ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ... ﴾	٧	١٠٧-١٠٢
الفتح			
٢٥٩	﴿ لِيَعْرِفَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ... ﴾	٢	٢٩
٢٦٠	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ... ﴾	٢٩	٣٢
٢٦١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ... ﴾	١٠	١٤٨
الحجرات			
٢٦٢	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبًّا... ﴾	١٣	٧٨
٢٦٣	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ... ﴾	٤-٢	٣٩
الذاريات			
٢٦٤	﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَنُونَ ﴾	٥٢	١٠٣
الطور			
٢٦٥	﴿ فَذَكَرْ فَإِنَّكَ أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مُجْتَنُونَ ﴾	٢٩	١٠٤
٢٦٦	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾	٣٥	١١١
النجم			
٢٦٧	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾	٢	٧٣-٢٨
٢٦٨	﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾	٣	٢٨
٢٦٩	﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾	٥	٢٨
٢٧٠	﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾	١١	٢٨
٢٧١	﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾	١٠	٣١
٢٧٢	﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾	١٧	٢٨
الرحمن			
٢٧٣	﴿ .. فَبِئْسَ خَدَّ الْتَوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾	٤١	٩٦

م	الآية	رقمها	الصفحة
الواقعة			
٢٧٤.	﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴾	٧٧-٧٨	١١٢
٢٧٥.	﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٨٠	١١٢
الحديد			
٢٧٦.	﴿ ... وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ ... ﴾	١٦	١٨١
المجادلة			
٢٧٧.	﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ﴾	١٩	١٢١
٢٧٨.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾	٢٠	١٤٩
الحشر			
٢٧٩.	﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدٌ ... ﴾	٧	٢٠
٢٨٠.	﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾	١١	١٥٩-١٢٦
٢٨١.	﴿ لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ﴾	١٢	١٦١
٢٨٢.	﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	١٣	١٦١
٢٨٣.	﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾	١٦	١٦٢
٢٨٤.	﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾	١٧	١٦٢
الصف			
٢٨٥.	﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾	٦	١٧-١٣
٢٨٦.	﴿ .. يَا قَوْمِ لِمَ تُوذَوْنِي .. ﴾	٥	٧١
٢٨٧.	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	٨	١٢٨-٨٥
الجمعة			
٢٨٨.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا ﴾	٩	٥٦
٢٨٩.	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمُ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ ﴾	٧-٦	١٩٤-١٨٠
المنافقون			
٢٩٠.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	٣	١٢٣
٢٩١.	﴿ ... هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ ﴾	٤	١٢٥
القلم			
٢٩٢.	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾	٤	٢٨
٢٩٣.	﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾	٢	٧٣
الحاقة			
٢٩٤.	﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ ﴾	٤٢	٧٢
٢٩٥.	﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾	٤١	١٠٧-٧٣

م	الآية	رقمها	الصفحة
الجن			
٢٩٦.	﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾	١٩	٣١
٢٩٧.	﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرًّا شَدِيدًا وَشَهَبًا... ﴾	٩-٨	٣٦
٢٩٨.	﴿ ... وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ... ﴾	٢٣	١٤٩
المزمل			
٢٩٩.	﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴾	١	٣٠
المدثر			
٣٠٠.	﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾	١	٣٠
٣٠١.	﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾	٢٥-٢٤	١٠٨
عبس			
٣٠٢.	﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾	٣٧	١
التكوير			
٣٠٣.	﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾	٢٤	٧٣
٣٠٤.	﴿ فَلَا أَسِمْ بِالْحُنْسِ * الْجَوَارِ الْكُنْسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾	٢٢-١٥	١٠٣
الضحى			
٣٠٥.	﴿ فَأَمَّا الْبَيْتَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾	٩	١١
٣٠٦.	﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾	٥	٥١
٣٠٧.	﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾	٣-١	٧٣
الشرح			
٣٠٨.	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ... ﴾	٤-١	٢٩
العلق			
٣٠٩.	﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴾	١٨-٩	٩٥
٣١٠.	﴿ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ﴾	١٥	٩٦
الكوثر			
٣١١.	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾	١	٦١
٣١٢.	﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾	٣	٧٣-١١٦
المسد			
٣١٣.	﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ ﴾	١	٧٢-٩٣
الإخلاص			
٣١٤.	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾	٤-١	١٨٤

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الراوي	الحكم	الصفحة
١.	(... فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى)	مسلم	صحيح	٥٤
٢.	(آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَقْتِحْ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ)	مسلم	صحيح	٦٣
٣.	(إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ)	مسلم	صحيح	٦٠-٦٢
٤.	(أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهُمٍ بُوْهُمُ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ)	مسلم	صحيح	٦٧
٥.	(أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ)	مسلم	صحيح	٥٦
٦.	(إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثتَ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ)	ابن حبان	صحيح	٥٣
٧.	(إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنًّا كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ)	البخاري	صحيح	٦٠
٨.	(إِنَّ رَبِّي وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنِ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ)	ابن حبان	صحيح لغيره	٦٦
٩.	(إِنْ مِثْلِي وَمِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ)	البخاري	صحيح	٥٠
١٠.	(أَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ)	مسلم	صحيح	٦٣
١١.	(أَنْتُمْ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ)	مسلم	صحيح	٦٧
١٢.	(تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِهِ)	البخاري	صحيح	١٣٩
١٣.	(فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم)	مسلم	صحيح	٥٠
١٤.	(لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة)	مسلم	صحيح	٤٨
١٥.	(لَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيْفَيْنِ، سَيِّفًا مِنْهَا...)	أبو داود	صحيح	٥٥

٤١	صحيح	البخاري	(مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ)	.١٦
٦٤	صحيح	البخاري	(مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ)	.١٧
٦٦	إسناده صحيح	ابن ماجه	(نَحْنُ آخِرُ الْأُمَّمِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَحَاسِبُ ، يُقَالُ : آيَنَ الْأُمَّةُ الْأُمِّيَّةُ ، وَنَبِيِّهَا؟ ...)	.١٨
٥٦	صحيح	البخاري	(نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِيَدِ أُنْهَمُ أَوْثُوا الْكِتَابِ)	.١٩
٦٣	صحيح	البخاري	(هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ)	.٢٠
٤٥	صحيح	مسلم	(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ)	.٢١
٦٤	صحيح	مسلم	(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ)	.٢٢
٦٥	صحيح	البخاري	(يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ)	.٢٣
١٢	صحيح	أحمد بن حنبل	(... أَيَّ خَدِيجَةٍ ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ ، وَاللَّهِ لَا أَعْبُدُ الْعُزَّى أَبَدًا)	.٢٤
٢٠٨	حسن	ابن حبان	(... وَالْمُؤْمِنُونَ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَوْلَاهُمْ)	.٢٥
١٧٤	صحيح	مسلم	(... أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكُتَابِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ...)	.٢٦
١٨	صحيح	النيسابوري	(أَبَيْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ لِأَنَا الْحَاشِرُ ، وَأَنَا الْعَاقِبُ ، وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى ، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَبْتُمْ)	.٢٧
٢٠٥	صحيح	البخاري	(اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ)	.٢٨
١٢٥	صحيح	ابن حبان	(أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ جِدَالَ الْمَنَافِقِ عَليمِ اللسانِ)	.٢٩
٢١٢	صحيح	مسلم	(إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّائِدِينَ)	.٣٠
١٥	صحيح	البخاري	(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ ...)	.٣١
١٨	صحيح	النيسابوري	(أَرُونِي اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا)	.٣٢
٦	صحيح	ابن حبان	(أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ ...)	.٣٣
١١٥	صحيح	البخاري	(أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي سَنَمَ فُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ ، يَسْتَنَمُونَ مُدْمَمًا)	.٣٤

٦٧	صحيح	مسلم	(السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ)	٣٥
٢٠٨	صحيح	أحمد بن حنبل	(اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)	٣٦
٤٠	صحيح	البخاري	(اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا بِمِثْلِ مَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ...)	٣٧
٩٦	صحيح	مسلم	(اللَّهُمَّ عَلَيْنِكَ بِفُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكُ)	٣٨
١٣٢	صحيح	البخاري	(أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي)	٣٩
٤	صحيح	البخاري	(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَدِّ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى فُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ...)	٤٠
٥٣	صحيح	ابن حبان	(إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنِّ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ)	٤١
١٦٩	صحيح	البخاري	(إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ)	٤٢
٨٥	صحيح	ابن حبان	(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ؛ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ..)	٤٣
٥٤	صحيح	مسلم	(إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا)	٤٤
٤٩	صحيح	مسلم	(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)	٤٥
٥٣	صحيح	البخاري	(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ)	٤٦
٣	صحيح	مسلم	(إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ...)	٤٧
٥٩	صحيح	مسلم	(أَنَا سَيِّدُ وَدِّ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعِ)	٤٨
٦١	صحيح	الترمذي	(أَنَا سَيِّدُ وَدِّ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ)	٤٩
٤٩	صحيح	أبو داود	(إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْدَبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ)	٥٠
١٣	صحيح لغيره	أحمد بن حنبل	(إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ لَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمُنْجِدٌ فِي طِينَتِهِ)	٥١
٥٩	إسناده جيد	أحمد بن حنبل	(إِنِّي لِأَوَّلِ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَن جُمُجْمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ)	٥٢
٤٩	صحيح	البخاري	(بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاسْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِنْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا)	٥٣

٥٤.	(بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافظاه قباب الدر المجوف)	البخاري	صحيح	٦١
٥٥.	(تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ...)	البخاري	صحيح	٥
٥٦.	(تَعَسَّ عَبْدُ الدِّيَّانِ، وَالدَّرْهَمُ، وَالْقَطِيفَةُ، وَالخَمِيصَةُ، إِنَّ أُعْطِيَ رَضِي)	البخاري	صحيح	١٥١
٥٧.	(حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق)	مسلم	صحيح	٦١
٥٨.	(دَعُوها فَإِنَّهَا مُنْتَبَهَةٌ...)	البخاري	صحيح	١٧٠
٥٩.	(سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِنْ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللَّهِ)	أحمد بن حنبل	حسن	٢٠٨
٦٠.	(صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)	مسلم	صحيح	٤١
٦١.	(صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ)	مسلم	صحيح	٥٧
٦٢.	(عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ)	البخاري	صحيح	٦٤
٦٣.	(فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غَرًّا مُحْجَلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ إِلَّا لِيَدَانِ)	مسلم	صحيح	٦٧
٦٤.	(فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَفَهُوا)	البخاري	صحيح	٤
٦٥.	(فَضَلَ اللَّهُ فُرَيْشًا بِسَبْعِ خِصَالٍ، لَمْ يَعْطِهَا أَحَدٌ قَبْلَهُمْ، وَلَا يَعْطَاهَا أَحَدٌ بَعْدَهُمْ...)	النيسابوري	صحيح	١٠
٦٦.	(فَضَلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)	البخاري	صحيح	٥
٦٧.	(فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتِّ: أُعْطِيتُ جِوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنَصَرْتُ	مسلم	صحيح	٤٠
٦٨.	(قَوْمُوا إِلَيَّ سَيِّدُكُمْ)	البخاري	صحيح	٢١١
٦٩.	(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ...)	مسلم	صحيح	٥
٧٠.	(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ)	البخاري	صحيح	٤١
٧١.	(لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده...)	البخاري	صحيح	٣٢
٧٢.	(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)	البخاري	صحيح	٣٧
٧٣.	(لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ)	ابن حبان	صحيح	٨٨

٤٠	صحيح	البخاري	(لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعبُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، لَهَا يَوْمٌ سَبْعَةٌ أَبْوَابٍ...)	.٧٤
٢٧	صحيح	مسلم	(لَقَدْ رَأَيْتِي فِي الْحَجْرِ وَفُرَيْشٍ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلْتَنِي عَنْ أَشْيَاءَ...)	.٧٥
٩٦	صحيح	البخاري	(لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي)	.٧٦
١٩٤	صحيح	أحمد بن حنبل	(لَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، لَمَاتُوا، وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ)	.٧٧
٩٧	صحيح	مسلم	(لَوْ دَنَا مِنِّي لَأَخْتَطَفْتُهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا)	.٧٨
١٠١	صحيح	البخاري	(مَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا الشَّرْفَ فِيكُمْ؛ وَلَكِنْ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا)	.٧٩
٢٢	صحيح	النيسابوري	(مَا هَمَمْتُ بِمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَهْمُونَ بِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ...)	.٨٠
١٧٤	صحيح	البخاري	(مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابِينَ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجْرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ)	.٨١
١٠٦	صحيح	الترمذي	(مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)	.٨٢
٢١٤	صحيح	مسلم	(مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ)	.٨٣
١١٦	صحيح	النيسابوري	(نعم، يبعث الله هذا؛ يمينك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم)	.٨٤
٢٠٦	صحيح	البخاري	(هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟)	.٨٥
٦٦	صحيح	البخاري	(هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَنْطِيرُونَ، وَلَا يَكْتُونُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)	.٨٦
١٧٣	صحيح	مسلم	(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ)	.٨٧
١٥٠	صحيح	البخاري	(وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ)	.٨٨
٩٤	صحيح	مسلم	(يَا صَبَاحَاهُ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتَفُ؟)	.٨٩

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم
٢٦	النيسابوري
٣٣	القشيري
٣٣	ابن عباس
٣٦	القاسمي
٣٨	أبي زمنين
٤٤	يحيى بن أكرم
٨٦	مارك سلجاندر
١١١	جبير ابن مطعم
١١١	الطفيل بن عمرو الدوسي
١١٢	ابن الجوزي
١١٦	العاصم بن وائل
١١٧	الأسود بن عبد يعقوب
١١٧	الحارث بن قيس
١٢٤	ابن أبي مليكة
١٣٥	أم مسطح
١٣٩	أبو عامر الراهب
١٤٦	نبتل بن الحارث
١٤٦	جلاس بن سويد

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

١. الإبطل لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان - المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ) - الناشر: دار العاصمة - الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ .
٢. إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصديقة - المؤلف: ياسين الخليفة الطيب المحجوب - الناشر: مؤسسة الدرر السنية - المملكة العربية السعودية - الظهران - الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .
٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان- المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)- ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)- حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٤. أحكام القرآن - المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: ٣٧٠هـ) - المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ .
٥. إحياء علوم الدين- المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)- الناشر: دار المعرفة - بيروت .
٦. أرسيف ملتقى أهل التفسير (هو منتدى حوارى من أفضل المنتديات على شبكة الانترنت ، يضم نخبة طيبة من العلماء ، وطلاب العلم ، ويحرص على الالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة) ، الرابط : (<http://tafsir.net>) - تم تحميله في : المحرم ١٤٣٢ هـ = ديسمبر ٢٠١٠ م .
٧. أساس البلاغة- المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)- تحقيق: محمد باسل عيون السود- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٨. الاستذكار- المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)- تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ .

٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب - المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) - المحقق: علي محمد البجاوي - الناشر: دار الجيل، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
١٠. أسد الغابة في معرفة الصحابة- المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)- المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود- الناشر: دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى- سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م .
١١. الإصابة في الذب عن الصحابة - رضي الله عنهم - المؤلف: الشيخ الدكتور مازن بن محمد بن عيسى .
١٢. الإصابة في تمييز الصحابة - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ .
١٣. أصول الدعوة- المؤلف: عبد الكريم زيدان- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
١٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن- المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)- الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان- عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
١٥. إظهار الحق- المؤلف : محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ)- دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود - الرياض- الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية- الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م (أول طبعة تصدر مقابلة على نسختي المؤلف الذهبيتين المخطوطة والمقروءة) .
١٦. إعراب القرآن وبيانه - المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) - الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) - الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ .

١٧. الأعلام - المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) - الناشر: دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .
١٨. أعلام النبوة - المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) - الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٠٩ هـ .
١٩. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) - المحقق: د. أحمد حجازي السقا - الناشر: دار التراث العربي - القاهرة .
٢٠. إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - المحقق: محمد حامد الفقي - الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية .
٢١. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات - المؤلف: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣هـ) - المحقق: شعيب الأرنؤوط - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ .
٢٢. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم - المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) - المحقق: ناصر عبد الكريم العقل - الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان - الطبعة: السابعة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
٢٣. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء - المؤلف: سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: ٦٣٤هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ .
٢٤. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع - المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (المتوفى: ٨٤٥هـ) - المحقق: محمد عبد الحميد النميسي - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٢٥. إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم - المؤلف: حسن بن محمد المشاط المالكي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) - الناشر: دار المنهاج - جدة - الطبعة: الثانية - ١٤٢٦ هـ .
٢٦. أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب (مطبوع مع شرح محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، المسمى: فتح الكريم القريب شرح أنموذج اللبيب) - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - طبع بإذن من: وزارة الإعلام بجدة - الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ .
٢٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل - المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) - المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .
٢٨. أيسر التفاسير لكلام علي الكبير - المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري - الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م .
٢٩. الإيمان - المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) - المحقق: محمد ناصر الدين الألباني - الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن - الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
٣٠. بحر العلوم - المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) .
٣١. البحر المحيط في التفسير - المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) - المحقق: صدقي محمد جميل - الناشر: دار الفكر - بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ .
٣٢. بدائع الفوائد - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
٣٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) - المحقق: محمد علي النجار - الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة .

٣٤. بنو إسرائيل في ضوء الإسلام - المؤلف: محمد أمين سليم - الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - الطبعة: السنة السابعة - العدد الثالث - محرم ١٣٩٥ هـ - يناير ١٩٧٥ م .
٣٥. بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل - المؤلف: يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرصي (المتوفى: ٨٩٣هـ) - الناشر: دار صادر - بيروت .
٣٦. بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول] - المؤلف: عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) - الناشر: مطبعة الترقى - دمشق - الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م .
٣٧. تاج العروس من جواهر القاموس - المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) - المحقق: مجموعة من المحققين - الناشر: دار الهداية .
٣٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) - المحقق: عمر عبد السلام التدمري - الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٣٩. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس - المؤلف: حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى (المتوفى: ٩٦٦هـ) - الناشر: دار صادر - بيروت .
٤٠. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري - المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) - (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ) - الناشر: دار التراث - بيروت - الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ .
٤١. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) - المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - الناشر: دار التونسية للنشر - تونس - سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
٤٢. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي - المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .

٤٣. تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم) - المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) - تحقيق: طارق فتحي السيد - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
٤٤. تذكرة الحفاظ- المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .
٤٥. التذكرة الحمدونية - المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ) - الناشر: دار صادر، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ .
٤٦. تسهيل العقيدة الإسلامية - المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين - الناشر: دار العصيمي للنشر والتوزيع - الطبعة: الثانية .
٤٧. تفسير ابن عرفة- المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ) - المحقق: جلال الأسيوطي- الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م .
٤٨. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم - المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٤٩. تفسير الإمام الشافعي - المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) - جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرّان (رسالة دكتوراه) - الناشر: دار التدمرية - المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م .
٥٠. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن - المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسيني الإيجي الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ) - دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .
٥١. تفسير الجلالين - المؤلف: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - الناشر: دار الحديث - القاهرة - الطبعة: الأولى .

٥٢. التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]- المؤلف: دروزة محمد عزت- الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة- الطبعة: ١٣٨٣ هـ .
٥٣. تفسير الشعراوي - الخواطر- المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)- الناشر: مطابع أخبار اليوم- (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م) .
٥٤. تفسير الفاتحة والبقرة - المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) - الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .
٥٥. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)- المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) - المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي- الناشر: دار ابن حزم - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
٥٦. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) - المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - سنة النشر: ١٩٩٠ م .
٥٧. تفسير القرآن العزيز- المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)- المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز- الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٥٨. تفسير القرآن العظيم- المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)- المحقق: سامي بن محمد سلامة- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
٥٩. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) - المحقق: أسعد محمد الطيب - الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ .
٦٠. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية

- والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان - الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ .
٦١. تفسير القرآن - المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) - المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم - الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م .
٦٢. التفسير القرآني للقرآن - المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) - الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة .
٦٣. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) - المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) - المحقق: د. مجدي باسلوم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٦٤. تفسير الماوردي = النكت والعيون - المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) - المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
٦٥. تفسير المراغي - المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) - الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
٦٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي - الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق - الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ .
٦٧. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه - المؤلف: أحمد بن عبد الله الزهراني - الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - الطبعة: الأعداد ٨٥ - ١٠٠ السنوات ٢٢ - ٢٥ المحرم ١٤١٠ هـ - ذو الحجة ١٤١٣ هـ .
٦٨. التفسير الميسر - المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير - الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية - الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
٦٩. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) - المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) - حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي - راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٧٠. التفسير الواضح- المؤلف: الحجازي، محمد محمود- الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت- الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ .
٧١. التفسير الوسيط للزحيلي- المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي- الناشر: دار الفكر - دمشق- الطبعة : الأولى - ١٤٢٢ هـ .
٧٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم- المؤلف: محمد سيد طنطاوي- الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة- الطبعة: الأولى .
٧٣. تفسير عبد الرزاق - المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩ هـ .
٧٤. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم - المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ) - المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز - الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥ .
٧٥. تفسير مجاهد- المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)- المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل- الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر- الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
٧٦. تفسير مقاتل بن سليمان - المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ) - المحقق: عبد الله محمود شحاته - الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ .
٧٧. التّصير عبر الخِدْمات التفاعليّة لشبكة المعلومات العالميّة - دراسة عقديّة (رسالة ماجستير) - إعداد: محمد بن موسى المجمالي - إشراف: عبد الله بن عمر العبد الكريم - الناشر: رسالة ماجستير - كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية - عام النشر: ١٤٣٣ هـ .
٧٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال - المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبلي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ) - المحقق: د. بشار عواد معروف - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ .

٧٩. تهذيب اللغة- المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)- المحقق: محمد عوض مرعب- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م .

٨٠. التوحيد - المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) - المحقق: د. فتح الله خليف- الناشر: دار الجامعات المصرية - الإسكندرية .

٨١. التوقيف على مهمات التعاريف- المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)- الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠ م .

٨٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)- المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

٨٣. التيسير بشرح الجامع الصغير - المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) - الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .

٨٤. جامع البيان في تأويل القرآن- المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)- المحقق: أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .

٨٥. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري- المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٨٦. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي- المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

٨٧. جزيرة نت، برنامج الشريعة والحياة ، الرابط :

<http://www.aljazeera.net/programs/pages/c3878721-fd54-4453-85a4-934139b953fb>

٨٨. جمل من أنساب الأشراف - المؤلف: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) - تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي - الناشر: دار الفكر - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
٨٩. جمهرة اللغة- المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)- المحقق: رمزي منير بعلبكي- الناشر: دار العلم للملايين - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م .
٩٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح- المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)- تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد- الناشر: دار العاصمة، السعودية- الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
٩١. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- الناشر: دار المعرفة - المغرب- الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
٩٢. جوامع السيرة النبوية - المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .
٩٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن- المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)- المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .
٩٤. حقائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار - المؤلف: محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق» (المتوفى: ٩٣٠هـ) - الناشر: دار المنهاج - جدة - تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ .
٩٥. حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة- المؤلف: محمد بن خليفة بن علي التميمي- الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧ م .
٩٦. الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة- المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)- المحقق: عبد القادر الأرناؤوط- الناشر: دار المأمون - دمشق- الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٩٩٠ م .

٩٧. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى - المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني - أصل الكتاب: رسالة ماجستير، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٩٨. حوار الحضارات (دراسة عقديّة في ضوء الكتاب والسنة) - المؤلف: فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي - قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة - قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية - جامعة الملك سعود - إشراف الدكتور: مازن بن صلاح مطبقاني (الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية) - الفصل الدراسي الثاني - سنة ١٤٢٩ / ١٤٣٠ هـ .
٩٩. خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم - المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤ هـ) - الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة - عام النشر: ١٤٢٥ هـ .
١٠٠. الخصائص الكبرى - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .
١٠١. الخلاصة البهية في ترتيب أحداث السيرة النبوية - جمع وترتيب: وحيد بن عبد السلام بالي - الناشر: دار الفوائد - دار ابن رجب - الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٣ م .
١٠٢. خلق أفعال العباد - المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦ هـ) - المحقق: د. عبد الرحمن عميرة - الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض .
١٠٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ) - الناشر: دار الفكر - بيروت .
١٠٤. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية - المؤلف: سعود بن عبد العزيز الخلف - الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
١٠٥. دراسات في السيرة - المؤلف: د. طالب أبوشعر، د. سالم أحمد سلامة، د. نزار ريان - الناشر: الجامعة الإسلامية - غزة - فلسطين - الطبعة: الأولى - الإصدار الثاني ٢٠٠٢ م .
١٠٦. دراسات في علوم القرآن الكريم - المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي - الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف - الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

١٠٧. الدرّة الثمينة في أخبار المدينة - المؤلف: محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (المتوفى: ٦٤٣هـ) - المحقق: حسين محمد علي شكري - الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .
١٠٨. الدرر السنية في الأجوبة النجدية - المؤلف: علماء نجد الأعلام - المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
١٠٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) - المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان - الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند - الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
١١٠. الدرر في اختصار المغازي والسير - المؤلف: النمري، الحافظ يوسف بن البر - المحقق: الدكتور شوقي ضيف - الناشر: دار المعارف - القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ .
١١١. دلائل النبوة- المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) - المحقق: د. عبد المعطي قلججي - الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث - الطبعة: الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
١١٢. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني- المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) - حقه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس- الناشر: دار النفائس، بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
١١٣. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين- المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ) - اعتنى بها: خليل مأمون شيحا- الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان- الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
١١٤. ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم - المؤلف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي، أبو محمد الكتاني الدمشقي (المتوفى: ٤٦٦هـ) - المحقق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد - الناشر: دار العاصمة - الرياض - الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ .
١١٥. رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَيِّدُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ - نَشَاتُهُ، وَأَخْلَاقُهُ، وَمُعْجَزَاتُهُ، وَعُمُومُ رِسَالَتِهِ ﷺ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

١١٦. الرحيق المختوم - المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ) - الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) - الطبعة: الأولى .
١١٧. رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان - المؤلف: إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦هـ) - نقلها للعربية وقدم لها: أبو الحسن علي الحسيني الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ) - اعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري - الناشر: دار وحي القلم - دمشق، سورية - الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م .
١١٨. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) - المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ) - جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م .
١١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) - المحقق: علي عبد الباري عطية - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
١٢٠. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام - المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) - المحقق: عمر عبد السلام السلامي - الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠ م .
١٢١. زاد المسير في علم التفسير - المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) - المحقق: عبد الرزاق المهدي - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
١٢٢. زاد المعاد في هدي خير العباد - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت - الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
١٢٣. الزاهر في معاني كلمات الناس - المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) - المحقق: د. حاتم صالح الضامن - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م .
١٢٤. الزهد والورع والعبادة - المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى:

- ١٢٥ (٧٢٨هـ) - المحقق: حماد سلامة ، محمد عويضة - الناشر: مكتبة المنار - الأردن - الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ .
١٢٦. زهرة التفاسير- المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)- دار النشر: دار الفكر العربي .
١٢٦. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد- المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)- تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
١٢٧. سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد- المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)- تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض- الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
١٢٨. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير - المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) - الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة - عام النشر: ١٢٨٥ هـ .
١٢٩. سنن ابن ماجه- المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .
١٣٠. سنن أبي داود- المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)- المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد- الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت .
١٣١. سنن الترمذي- المؤلف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)- تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)- الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر- الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
١٣٢. سنن الدارمي- المؤلف: عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي- الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ .

١٣٣. سير أعلام النبلاء- المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)- المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط- الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
١٣٤. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)- المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)- تحقيق: سهيل زكار- الناشر: دار الفكر - بيروت- الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
١٣٥. السيرة النبوية - دروس وعبر- المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: ١٣٨٤هـ)- الناشر: المكتب الإسلامي- الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
١٣٦. السيرة النبوية - عرض وقائع وتحليل أحداث- المؤلف: علي محمد محمد الصلابي- الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان- الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
١٣٧. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)- المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)- تحقيق: مصطفى عبد الواحد- الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان- عام النشر: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م .
١٣٨. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة- المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)- الناشر: دار القلم - دمشق- الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ .
١٣٩. السيرة النبوية لابن هشام- المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)- تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي- الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر- الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م .
١٤٠. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي - المؤلف: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ) - الناشر: دار ابن كثير - دمشق - الطبعة: الثانية عشرة - ١٤٢٥ هـ .
١٤١. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي- المؤلف: عبد الشافي محمد عبد اللطيف- الناشر: دار السلام - القاهرة- الطبعة: الأولى - ١٤٢٨ هـ .
١٤٢. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي- المؤلف: أحمد أحمد غلوش - الناشر: مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

١٤٣. شبكة النبأ المعلوماتية - مقالة بعنوان (الإسلام - فوبي صناعة صهيونية تسوق في الغرب) الرابط: <http://www.annabaa.org/nbanews/68/116.htm>.
١٤٤. شرح (مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب) - المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان - الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض - الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٤٥. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢ هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م.
١٤٦. شرف المصطفى- المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (المتوفى: ٤٠٧ هـ)- الناشر: دار البشائر الإسلامية - مكة- الطبعة: الأولى - ١٤٢٤ هـ.
١٤٧. الشريعة - المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الأجرى البغدادي (المتوفى: ٣٦٠ هـ) - المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي - الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية - الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٤٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء- المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤ هـ)- الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (المتوفى: ٨٧٣ هـ)- الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
١٤٩. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام- المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢ هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م.
١٥٠. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم- المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣ هـ)- المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د. يوسف محمد عبد الله- الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
١٥١. الصارم المسلول على شاتم الرسول - المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي

- (المتوفى: ٧٢٨هـ) - المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد - الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية .
١٥٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- الناشر: دار العلم للملايين - بيروت- الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
١٥٣. صحيح السيرة النبوية- المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) - الناشر: المكتبة الإسلامية - عمان - الأردن- الطبعة: الأولى .
١٥٤. صراع مع الملاحدة حتى العظم- المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني دمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)- الناشر: دار القلم، دمشق- الطبعة: الخامسة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
١٥٥. صفات المنافقين - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات - عام النشر: ١٤١٠ هـ .
١٥٦. صفوة التفاسير- المؤلف: محمد علي الصابوني- الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
١٥٧. الطبقات الكبرى - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ) - تحقيق: محمد عبد القادر عطا - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
١٥٨. طريق الهجرتين وباب السعادتين - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر - الطبعة: الثانية، ١٣٩٤ هـ .
١٥٩. ظاهرة الإساءة للنبي ﷺ وشريعته في الغرب - ورقة الشيخ ناصر العمر في مؤتمر نبي الرحمة ﷺ ، تم تحميله من موقع (القرآن الكريم) الرابط:
١٦٠. العجائب في بيان الأسباب - المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) - المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس - الناشر: دار ابن الجوزي .
١٦١. العَدْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنَقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ - المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - المحقق: خالد بن عثمان

- السبت - إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد - الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة - الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ .
١٦٢. العصبية المؤمنة بين عناية الرحمن ومكر الشيطان - جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود - الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
١٦٣. العقد الفريد- المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .
١٦٤. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة - المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض - المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني - الناشر: مطبعة سفير، الرياض - توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض .
١٦٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته - المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ .
١٦٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) - تعليق: إبراهيم محمد رمضان - الناشر: دار القلم - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣ .
١٦٧. غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب - المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) - الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر - الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
١٦٨. غرائب التفسير وعجائب التأويل- المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) - الناشر: دار القبة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت .
١٦٩. غرائب القرآن ورجائب الفرقان- المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) - المحقق: الشيخ زكريا عميرات- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ .

١٧٠. غريب الحديث- المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)- المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي- الناشر: دار الفكر- الطبعة: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
١٧١. غريب الحديث- المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)- المحقق: د. محمد عبد المعيد خان- الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن- الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
١٧٢. غريب الحديث- المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)- المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .
١٧٣. الفائق في غريب الحديث والأثر- المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)- المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم- الناشر: دار المعرفة - لبنان- الطبعة: الثانية .
١٧٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري- المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي- رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي- قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب- عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز - الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ .
١٧٥. فتح البيان في مقاصد القرآن- المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)- عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري- الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت- عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
١٧٦. فتح القدير- المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)- الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .
١٧٧. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها - المؤلف: د. غالب بن علي عواجي - الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة - الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

١٧٨. الفروق اللغوية - المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) - حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم - الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر .
١٧٩. فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله) - المؤلف: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألويسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ) - تقديم وتعليق: علي بن مصطفى مخلوف - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .
١٨٠. الفصول في السيرة - المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) - تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو - الناشر: مؤسسة علوم القرآن - الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ .
١٨١. فقه السيرة - المؤلف: محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ) - الناشر: دار القلم - دمشق - تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ .
١٨٢. فقه السيرة - المؤلف: محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ) - الناشر: دار القلم - دمشق - تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني - الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ .
١٨٣. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة - المؤلف: محمد سعيد رمضان البوطي - الناشر: دار الفكر - دمشق - الطبعة: الخامسة والعشرون - ١٤٢٦ هـ .
١٨٤. الفقيه و المتفقه - المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ) - المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي - الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية - الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ .
١٨٥. الفوز الكبير في أصول التفسير - المؤلف: الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ) - عرّبه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي - الناشر: دار الصحوة - القاهرة - الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
١٨٦. في ظلال القرآن - المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) - الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة - الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ .
١٨٧. القرآن ونقض مطاعن الرهبان - المؤلف: د صلاح عبد الفتاح الخالدي - دار النشر: دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
١٨٨. الكامل في التاريخ - المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) - تحقيق:

- عمر عبد السلام تدمري- الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى،
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
١٨٩. كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة- المؤلف: نخبة من العلماء- الناشر: وزارة
الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى،
١٤٢١هـ .
١٩٠. كتاب التعريفات- المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى:
١٨١٦هـ)- المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر- الناشر: دار الكتب
العلمية بيروت -لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
١٩١. كتاب العين- المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي
البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- الناشر:
دار ومكتبة الهلال .
١٩٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،
الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)- الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت- الطبعة:
الثالثة - ١٤٠٧هـ .
١٩٣. كشف الشبهات- المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى:
١٢٠٦هـ)- الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية
السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ .
١٩٤. الكشف والبيان عن تفسير القرآن- المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق
(المتوفى: ٤٢٧هـ)- تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور- مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير
الساعدي- الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ -
٢٠٠٢م .
١٩٥. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية- المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني
القريني الكوفي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)- المحقق: عدنان درويش - محمد
المصري - الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت .
١٩٦. كواشف زيوف - المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (المتوفى:
١٤٢٥هـ) - الناشر: دار القلم، دمشق - الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

١٩٧. لباب التأويل في معاني التنزيل- المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)- المحقق: تصحيح محمد علي شاهين- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ .
١٩٨. لباب النقول في أسباب النزول - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي - الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
١٩٩. اللباب في علوم الكتاب- المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)- المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٢٠٠. لسان العرب- المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)- الناشر: دار صادر - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .
٢٠١. لطائف الإشارات = تفسير القشيري- المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)- المحقق: إبراهيم البسيوني- الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر- الطبعة: الثالثة .
٢٠٢. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف- المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)- الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤ م .
٢٠٣. اللطائف والظرائف- المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)- الناشر: دار المناهل، بيروت .
٢٠٤. لوابل الصيب من الكلم الطيب- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- تحقيق: سيد إبراهيم- الناشر: دار الحديث - القاهرة- رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م .
٢٠٥. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية - المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)- الناشر: مؤسسة الخافقين ومكنتبتها - دمشق - الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٢٠٦. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنَدَه العبدِي (المتوفى: ٣٩٥هـ) - حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري- الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٢٠٧. المؤلف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: ١٣٤٦هـ) - الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت- عام النشر: ١٩١٣ م .
٢٠٨. المآخذ على شُراح ديوان أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي - المؤلف: أحمد بن علي بن معقل، أبو العباس، عز الدين الأزدي المُهَلَّبِي (المتوفى: ٦٤٤هـ) - المحقق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع - الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض - الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٢٠٩. مباحث العقيدة في سورة الزمر - المؤلف: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ - الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، - الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
٢١٠. مباحث في إعجاز القرآن - المؤلف: د مصطفى مسلم - الناشر: دار القلم - دمشق - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٢١١. متن القصيدة النونية- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٤١٧ هـ .
٢١٢. مجاني الأدب في حدائق العرب
٢١٣. مجمل اللغة لابن فارس - المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) - دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان - دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
٢١٤. محاسن التأويل- المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)- المحقق: محمد باسل عيون السود- الناشر: دار الكتب العلميّه - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .
٢١٥. المحتضرين - المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) - المحقق: محمد خير رمضان يوسف - الناشر: دار ابن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م .
٢١٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) - المحقق: عبد

- السلام عبد الشافي محمد- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
٢١٧. المحكم والمحيط الأعظم- المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]- المحقق: عبد الحميد هنداوي- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
٢١٨. مختار الصحاح- المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)- المحقق: يوسف الشيخ محمد- الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا- الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
٢١٩. مختصر تفسير البيهقي- المؤلف: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد- الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض- الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ .
٢٢٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي- الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
٢٢١. مذكرة على العقيدة الواسطية- المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)- الناشر: مدار الوطن للنشر - الرياض- عام النشر: ١٤٢٦ هـ .
٢٢٢. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد- المؤلف: محمد بن عمر نوي الجاوي البنتي إقليميا، التتاري بلدا (المتوفى: ١٣١٦هـ)- المحقق: محمد أمين الصناوي- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٧ هـ .
٢٢٣. مرويات غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع - المؤلف: إبراهيم بن إبراهيم قريبي - الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية .
٢٢٤. المستدرک على الصحيحين- المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠ .

٢٢٥. مستعذب الإخبار بأطبيب الأخبار - المؤلف: أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي الفاسي (المتوفى: بعد ١١٣٢هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
٢٢٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل - المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) - المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون - إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - الناشر: مؤسسة الرسالة - الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
٢٢٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) - المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٢٢٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار - المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) - دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث .
٢٢٩. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار - المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) - حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي ابراهيم - الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
٢٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) - الناشر: المكتبة العلمية - بيروت
٢٣١. المعارف - المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) - تحقيق: ثروت عكاشة - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٩٩٢ م .
٢٣٢. المعالم الأثرية في السنة والسير - المؤلف: محمد بن محمد حسن شرَّاب - الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ .
٢٣٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي - المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) - المحقق: وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

٢٣٤. معتزك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعتزك الأقران) - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٢٣٥. معجم الصحابة- المؤلف : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى : ٣١٧هـ) - المحقق : محمد الأمين بن محمد الجكني - الناشر : مكتبة دار البيان - الكويت - الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
٢٣٦. المعجم الوسيط- المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة- (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)- الناشر: دار الدعوة .
٢٣٧. معجم مقاييس اللغة- المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)- المحقق: عبد السلام محمد هارون - الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
٢٣٨. معرفة أسامي أُرْداف النبي ﷺ المؤلف: يحيى بن عبد الوهاب بن محمد ابن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدى الأصبهاني، أبو زكريا، ابن منده (المتوفى: ٥١١هـ)- المحقق: يحيى مختار غزاوي- الناشر: المدينة للتوزيع - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ .
٢٣٩. معرفة الصحابة لابن منده
٢٤٠. المغازي - المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) - تحقيق: مارسدن جونس - الناشر: دار الأعلمي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩ .
٢٤١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .
٢٤٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
٢٤٣. المفردات في غريب القرآن- المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)- المحقق: صفوان عدنان الداودي- الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ .
٢٤٤. مِفْرَقُ الطَّرِيقِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود - الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .

٢٤٥. مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة - المؤلف: علي بن نايف الشحود - الطبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م .
٢٤٦. المفيد في مهمات التوحيد - المؤلف: الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي - الناشر: دار الاعلام - الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ١٤٢٣هـ .
٢٤٧. المقتنى من سيرة المصطفى ﷺ المؤلف: الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي (المتوفى: ٧٧٩هـ) - المحقق: د مصطفى محمد حسين الذهبي - الناشر: دار الحديث - القاهرة - مصر - الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٢٤٨. المقدمات الممهدة - المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ) - الناشر: دار الغرب الإسلامي - الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٢٤٩. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ - المؤلف: أحمد إبراهيم الشريف - الناشر: دار الفكر العربي .
٢٥٠. الملل والنحل - المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ) - الناشر: مؤسسة الحلبي .
٢٥١. المنتخب في تفسير القرآن الكريم - المؤلف: لجنة من علماء الأزهر - الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام - الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٢٥٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك - المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) - المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٢٥٣. منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - المؤلف: عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرمي الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: ١٤١٠هـ) - الناشر: دار المنهاج - جدة - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
٢٥٤. منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب - المؤلف: عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر (المتوفى: ١٢٤٤هـ) .
٢٥٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ .

٢٥٦. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام - المؤلف: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي - الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

٢٥٧. مُنْبِئَةُ السُّوْلِ فِي تَفْضِيلِ الرَّسُولِ ﷺ - المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) - رواية: الحافظ شرف الدين أبي عبدالله محمد الميذومي - تحقيق: د. صلاح الدين المنجد - الناشر: دار الكتاب الجديد - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٢٥٨. مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى - المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني - الناشر: مطبعة سفير، الرياض - توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض .

٢٥٩. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية - المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القنبيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) - الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر .

٢٦٠. المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجبية، الجزء الرابع، القسم الأول) - المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ) - الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، بمصر ١٣٤٩هـ، النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ .

٢٦١. مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة - المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ) - المحقق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة .

٢٦٢. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور - المؤلف: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين - الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

٢٦٣. موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي - المؤلف: عبد اللطيف عاشور - الناشر: القاهرة .

٢٦٤. موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني _ (موسوعة تحتوي على أكثر من (٥٠) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد) - المؤلف: أبو عبد الرحمن

محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى):
١٤٢٠هـ) - صَنَعَةُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان - الناشر: مركز النعمان للبحوث
والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء - اليمن - الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ
- ٢٠١٠ م .

٢٦٥. الموسوعة القرآنية- المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ) - الناشر:
مؤسسة سجل العرب- الطبعة: ١٤٠٥ هـ .

٢٦٦. موسوعة فقه القلوب- المؤلف: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري- الناشر: بيت
الأفكار الدولية .

٢٦٧. موقع قناة الجزيرة - برنامج (من واشنطن) - الرابط :

<http://www.aljazeera.net/programs/pages/fc8ca938-31f5-4437->

[971a-bdc2e8183f3b](http://www.aljazeera.net/programs/pages/fc8ca938-31f5-4437-971a-bdc2e8183f3b)

٢٦٨. ميزان الاعتدال في نقد الرجال - المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) - تحقيق: علي محمد البجاوي - الناشر: دار
المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

٢٦٩. الناشر: مطبعة سفير، الرياض- توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض .

٢٧٠. نداءات الرحمن لأهل الإيمان - المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر
الجزائري - الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية -
الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

٢٧١. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر- المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن
بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)- المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي-
الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢٧٢. نزهة المجالس ومنتخب النفائس - المؤلف: عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري
(المتوفى: ٨٩٤هـ) - الناشر: المطبعة الكاستلية - مصر - عام النشر: ١٢٨٣ هـ .

٢٧٣. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- المؤلف : عدد من
المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي- الناشر :
دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة- الطبعة : الرابعة .

٢٧٤. نظرات في كتاب الله - المؤلف: حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: ١٣٦٨هـ) - الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة - عام النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
٢٧٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) - الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
٢٧٦. نظم المتناثر من الحديث المتواتر - المؤلف: أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني - تحقيق: شرف حجازي - الناشر: دار الكتب السلفية للطباعة والنشر بمصر - الطبعة: الثانية المصححة ذات الفهارس العلمية .
٢٧٧. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - المؤلف: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (المتوفى: ٨٢١هـ) - المحقق: إبراهيم الإبياري - الناشر: دار الكتاب اللبنانيين، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
٢٧٨. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز - المؤلف: رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (المتوفى: ١٢٩٠هـ) - الناشر: دار الذخائر - القاهرة - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ .
٢٧٩. النهاية في غريب الحديث والأثر - المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي - الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
٢٨٠. نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي - المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين - المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة) - عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م .
٢٨١. نُورُ الإِيْمَانِ وَظُلْمَاتُ النَّفَاقِ فِي ضَوْءِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ - المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني - الناشر: مطبعة سفير، الرياض - توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض .
٢٨٢. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - المؤلف: محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ) - الناشر: دار الفيحاء - دمشق - الطبعة: الثانية - ١٤٢٥ هـ

٢٨٣. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - المحقق: محمد أحمد الحاج - الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة - السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٢٨٤. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى- المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- المحقق: محمد أحمد الحاج- الناشر: دار القلم- دار الشامية، جدة - السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
٢٨٥. هداية القرآن للتي هي أقوم- جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود- الناشر: دار المعمور، بهنج - ماليزيا- الطبعة: الثانية معدلة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٢٨٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه - المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) - المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي - الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة - الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
٢٨٧. وَ مُحَمَّدَاهُ {إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} - المؤلف: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني - الناشر: دار العفاني، مصر - الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٢٨٨. الوابل الصيب من الكلم الطيب - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - تحقيق: سيد إبراهيم - الناشر: دار الحديث - القاهرة - رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م
٢٨٩. الوافي بالوفيات- المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)- المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى- الناشر: دار إحياء التراث - بيروت- عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .
٢٩٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)- تحقيق: صفوان عدنان داوودي- دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ .
٢٩١. وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم- المؤلف: يوسف بن إسماعيل بن يوسف النَّبْهَانِي (المتوفى: ١٣٥٠هـ)- الناشر: دار المنهاج - جدة- الطبعة: الثانية - ١٤٢٥هـ .

٢٩٢. الوسطية في القرآن الكريم - المؤلف: الدكتور علي مَحْمَد محمد الصَّلَّابِي - الناشر: مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، مكتبة التابعين، القاهرة - مصر - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
٢٩٣. الوسيط في تفسير القرآن المجيد - المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) - تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس - قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
٢٩٤. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى - المؤلف: علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ) - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ .
٢٩٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) - المحقق: إحسان عباس - الناشر: دار صادر - بيروت .
٢٩٦. الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف - المؤلف: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني - تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - الناشر: دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى .

خامساً: فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	المحتويات
ب	الإهداء
ج	شكر وتقدير
د	المقدمة
هـ	أولاً : أهمية الدراسة وسبب اختيارها
و	ثانياً : أهداف الدراسة
و	ثالثاً : الدراسات السابقة
و	رابعاً : منهج الدراسة
ز	خامساً : خطة الدراسة
التمهيد	
١	أولاً: المقصود بالعناية الربانية لغة واصطلاحاً
٢	ثانياً : أنواع العناية
٢	ثالثاً : التعريف بنبي البشرية ﷺ
الفصل الأول	
عناية الله العامة بالنبي ﷺ	
٩	المبحث الأول : مظاهر عناية الله بالنبي ﷺ قبل بعثته
١٠	المطلب الأول : نسب النبي ﷺ والقوم الذين نشأ فيهم
١١	المطلب الثاني : حفظ النبي ﷺ عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام
١٤	المطلب الثالث: نشأة النبي ﷺ على الصدق والأمانة
١٧	المطلب الرابع: ذكر النبي ﷺ في الكتب السماوية السابقة والتبشير بقدومه
٢٠	المطلب الخامس: عصمة النبي ﷺ عما لا يليق به
٢٣	المطلب السادس: شرف النبي ﷺ بوضع الحجر الأسود في مكانه
٢٥	المبحث الثاني: مظاهر عناية الله بالنبي ﷺ بعد بعثته
٢٧	المطلب الأول: عناية الله التكرمية للنبي ﷺ
٤٢	المطلب الثاني: عناية الله برسالة النبي ﷺ
٥١	المطلب الثالث : عناية الله التشريعية للنبي ﷺ

٥٨	المبحث الثالث : مظاهر عناية الله بالنبي ﷺ بعد البعث
٥٩	المطلب الأول: ما اعتنى الله بالنبي ﷺ في ذاته
٦٣	المطلب الثاني : ما اعتنى الله بالنبي ﷺ في أمته
٦٨	الفصل الثاني عناية الله بالنبي ﷺ من إيذاء المشركين
٦٩	المبحث الأول: معنى الأذى وأنواعه
٧٠	المطلب الأول : معنى الأذى لغة واصطلاحاً
٧٢	المطلب الثاني : أنواع أذى المشركين للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به
٧٤	المبحث الثاني: حقيقة المشركين وأسباب إيذائهم للنبي ﷺ قديماً وحديثاً
٧٥	المطلب الأول : تعريف الشرك وحقيقته
٧٧	المطلب الثاني : أسباب إيذاء المشركين للنبي ﷺ قديماً
٨٤	المطلب الثالث: أسباب إيذاء المشركين للنبي ﷺ حديثاً (في الوقت المعاصر)
٩١	المبحث الثالث : أوجه إيذاء المشركين للنبي ﷺ وعناية الله به
٩٢	المطلب الأول : إيذاء المشركين الجسدي للنبي ﷺ
٩٧	المطلب الثاني : إيذاء المشركين للنبي ﷺ بافترائهم على شخصه
١٠٨	المطلب الثالث : إيذاء المشركين للنبي ﷺ بافترائهم على رسالته
١١٤	المطلب الرابع : إيذاء المشركين للنبي ﷺ باستهزائهم به
١١٩	الفصل الثالث عناية الله بالنبي ﷺ من أذى المنافقين
١٢٠	المبحث الأول : حقيقة المنافقين وبيان خطرهم
١٢٢	المطلب الأول: تعريف النفاق وأنواعه
١٢٥	المطلب الثاني : خطر المنافقين على الدعوة الإسلامية والمجتمع الإسلامي
١٢٩	المبحث الثاني: إيذاء المنافقين الجسدي والنفسي للنبي ﷺ
١٣٠	المطلب الأول : التآمر على قتل النبي ﷺ
١٣٤	المطلب الثاني : إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالطعن في عِزِّهِ الشَّرِيفِ ﷺ
١٣٩	المطلب الثالث : إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالتآمر على دعوته ببنائهم لمسجد ضِرار
١٤٤	المطلب الرابع : إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالسخرية والاستهزاء منه ﷺ ومن

	وأصحابه، والطعن في رسالته
١٥٠	المطلب الخامس : إيذاء المنافقين للنبي ﷺ بالطعن في قِسْمَتِهِ وأمانته
١٥٤	المبحث الثالث: خذلان المنافقين للنبي ﷺ (في أحوج الأوقات) وعناية الله ﷻ به
١٥٤	المطلب الأول : موقف المنافقين في غزوة أحد في ضوء (سورة آل عمران)
١٥٩	المطلب الثاني : موقف المنافقين في غزوة بني النضير في ضوء (سورة الحشر)
١٦٣	المطلب الثالث : موقف المنافقين في غزوة الخندق في ضوء (سورة الأحزاب)
١٦٨	المطلب الرابع : موقف المنافقين في غزوة بني المصطلق في ضوء (سورة المنافقون)
١٧٢	الفصل الرابع عناية الله بالنبي ﷺ من أذى أهل الكتاب
١٧٣	توطئة
١٧٦	المبحث الأول: إيذاء أهل الكتاب القولي للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به
١٧٧	المطلب الأول : إيذاؤهم للنبي ﷺ بالطعن في نبوته ﷺ بعد تيقنهم بصدقه وإيثارهم الشرك على الإيمان
١٨٣	المطلب الثاني : إيذاؤهم للنبي ﷺ بتعننتهم معه واتهامه في غايته النبيلة
١٨٧	المطلب الثالث : إيذاؤهم للنبي ﷺ بحسدهم وكبريائهم وجحودهم الحق الذي جاء به
١٩٢	المطلب الرابع : إيذاؤهم للنبي ﷺ بالتعالي عليه وادعائهم الخصوصية والأفضلية على أمته
١٩٨	المبحث الثاني: إيذاء أهل الكتاب العملي للنبي ﷺ وعناية الله ﷻ به
٢٠٠	المطلب الأول : إيذاؤهم للنبي ﷺ بإثارتهم الفتنة بين المسلمين، وتجروؤهم على نساء المؤمنين
٢٠٤	المطلب الثاني : إيذاؤهم للنبي ﷺ بمحاولة قتله، والغدر به
٢٠٧	المطلب الثالث: إيذاؤهم للنبي ﷺ بتأليبهم للناس ضده ، وخيانتهم ونكثهم لعهودهم معه
٢١٢	المطلب الرابع : إيذاؤهم للنبي ﷺ باستهزائهم به وبالموحدين معه

٢١٨	المطلب الخامس : إيذاؤهم للنبي ﷺ بالتشكيك في نبوته، ودخولهم في الإسلام ثم الارتداد عنه
الخاتمة	
٢٢٣	أولاً : نتائج الدراسة
٢٢٤	ثانياً : التوصيات
الفهارس	
٢٢٧	فهرس الآيات القرآنية
٢٤١	فهرس الأحاديث النبوية والآثار
٢٤٧	فهرس الأعلام المترجم لهم
٢٤٨	فهرس المصادر والمراجع
٢٨١	فهرس الموضوعات
٢٨٥	ملخص البحث باللغة العربية
I	ملخص الرسالة باللغة الانجليزية

ملخص البحث باللغة العربية

تم بحمد الله وتوفيقه إنهاء هذه الدراسة والتي بعنوان العناية الربانية بنبي البشرية ﷺ ، وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتحدث عن حامل ومبلِّغ هذا الدين خيرة خلق الله محمد ﷺ ، ومدى عناية الله ﷻ به في حياته منذ ولد، وفي حياته، وبعد مماته ﷺ ، وذلك على النحو التالي: فقد بدأت الدراسة بالمقدمة، ثم ذكرت التمهيد واشتمل على المقصود بالعناية الربانية، وأنواع العناية، وتعريف عام بنبي البشرية ﷺ ، ثم ذكرت عناية الله ﷻ العامة بالنبي ﷺ ، وذكرت فيه مظاهر هذه العناية الربانية ثم تحدثت بعد ذلك حول عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ من إيذاء المشركين، وذكرت فيه معنى الأذى وأنواعه، وحقيقة المشركين وأسباب إيذائهم للنبي ﷺ قديماً وحديثاً، وأوجه إيذاء المشركين الجسدي والنفسي للنبي وإبراز عناية الله به، ثم ذكرت عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ من إيذاء المنافقين، ثم تحدثت عن عناية الله ﷻ بالنبي ﷺ من إيذاء أهل الكتاب، وذكرت فيه تعريف أهل الكتاب وحقيقتهم، ثم ذكرت أوجه إيذاء أهل الكتاب القولي والعملي للنبي ﷺ ومدى عناية الله ﷻ به، وبعد ذلك الخاتمة: واشتملت على أهم النتائج والتوصيات .

Abstract

Was the praise of Allah and to reconcile end of this study, which entitled the Lord's prophet human care, The importance of this study lies in that they talk about the holder and the amount of this debt finest creation of Allah and Mohammed, The study began with head-, then boot and included meant the Lord's care, and the types of care, and a general definition of human prophet, According to the manifestation of this divine care and later talked about the grace of Allah to the Prophet from harming the idolaters, According to the meaning and types of harm, and the fact that the idolaters and causes harm to the Prophet, Aspects of harming the physical and psychological idolaters of the Prophet and highlight the grace of Allah, then Allah almighty Prophet said from harming the hypocrites and then from harming the people of the book, According to the definition of the people of the book and what they are, and then mentioned aspects of hurting the people of the book verbal and practical, Then Conclusion: included on the most important findings and recommendations.